منهج النشاط الدعوي

اعداد: تيتون بن راشد بن تيتون الراسبي

ولاية الكامل والوافي- الوافي

القسم الأول: فقه العبادات.

ويندرج تحته ستة مطالب.

المطلب الأول: الشهادتين:

وبها ثلاثة أقسام:

الأول: معناها.

الثانية: العمل بمقتضاها

الثالثة: الحذر من ما ينافيها.

المطلب الثاني: الطهارة.

وفيها خمسة أقسام.

القسم الأول: (أ) تعريف الطهارة، (ب) أدلتها من الكتاب والسنة.

وبها نوعان: الأول: الطهارة المادية. أدلته من الكتاب والسنة.

الثاني: الطهارة المعنوية. وأدلته من الكتاب والسنة.

القسم الثالث: الوضوء:

وبه أربعة أقسام.

الأول: تعريفه.

الثاني: أدلته من الكتاب والسنة.

الثالث: شروطه.

الرابع: واجباته.

الخامس: أركانه.

القسم الرابع: الحيض والنفاس.

أولاً: تعريفه: أدلة وجوده الكتاب والسنة والإجماع.

ثانياً: إذا تبين الحيض تمسك عن الصلاة والصيام والطواف بالبيت.

ثالثاً: إذا لم يتبين علاماته فتصلي ولا عبرة بخروجه، فإنه لا يمنع من الصلاة.

رابعاً: الاستحاضة: تعريفه.

خامساً: ما يمنع الحيض من العبادات والمباحات.

١- فعل الصلاة ووجوبها.

٢-فعل الصيام ولا يسقط وجوبه.

٣-الطواف بالبيت.

٤-الوطء في الفرج وهو الجماع.

٥-سنة الطلاق.

٦-الاعتداد به.

٧- يوجب الغسل.

٨-البلوغ.

٩- مس المصحف.

١٠-المكث في المسجد.

١١- الجماع.

سادساً: إذا انقطع الدم أبيح شيئين ولا يشترط الغسل منه.

سابعاً: فعل الصوم للحائض التي انقطع حيضها كما يباح للجنب.

ثامناً: يباح الطلاق إذا انقطع الدم لأنه حرم الطلاق للحائض وهذه طاهرة.

سادساً: النفاس. هو الدم الخارج بسبب الولادة، وحكمه حكم الحيض فيما يحل ويحرم، ويجب ويسقط به.

القسم الخامس: أحكام تغسيل الميت وتكفينه.

وفيه كيفية التغسيل والتكفين.

تبخير الميت ثلاثاً.

لا يجوز المغالاة في الكفن.

كيفية تغسيل المرأة.

المطلب الثاني: الصلاة:

وفيه خمسة أقسام:

القسم الأول وفيه: سبعة مطالب:

الأول: تعريف الصلاة لغة واصطلاحاً.

الثاني: أدلة مشروعيتها من الكتاب والسنة وإجماع علماء الأمة.

الثالث: شروطها.

الرابع: أركانها.

الخامس: واجباتها.

السادس: مكروهاتها.

السابع: مبطلاتها.

القسم الثاني: الصلوات المفروضة، وأدلة مشروعيتها من الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

وبه ثلاثة مطالب الأول: الترغيب فيها والحث عليها.

الثاني: الترهيب من التهاون من تركها.

الثالث: الترغيب على المحافظة عليها.

القسم الثالث: صلاة السفر. حكمها ومشروعيتها.

القسم الرابع: سنن الرواتب القبلية والبعدية.

القسم الخامس: صلاة التطوع:

القسم السادس: صلاة الجماعة: وبه ثلاث مباحث.

المبحث الأول: فضل صلاة الجماعة؛ وبه أربعة أقسام:

[١] فضل المشي إلى المسجد لأداء الصلاة في جماعة؛ وبه ستة مطالب.

١- كتابة آثار القادم إلى المسجد.

٢-اختصام الملأ الأعلى في كتابتها.

٣-المشي إلى صلاة الجماعة من أسباب ضمان العيش بخير والموت بخير.

٤- المشي إلى صلاة الجماعة من أسباب محو الخطايا ورفع الدرجات.

٥- أجر الخارج إلى صلاة مكتوبة متطهِّراً كأجر الحاج المحرم.

٦-الخارج إلى الصلاة ضامن على الله تعالى.

[٢] فضل انتظار الصفوف.

[٣] فضل الصفوف الأول. وبه ثمانية مطالب:

١- الصف الأول على مثل صف الملائكة.

٢- صلاة الله تعالى وملائكته على الصفوف الأول.

٣- فضل ميامن الصفوف.

٤-عجب الله تعالى من الصلاة في الجماعة.

٥-مغفرة الذنوب لمن صلّى مع الجماعة بعد إسباغ الوضوء.

٦-فضل صلاة الجماعة على صلاة المنفرد.

٧-الصلاة في الجماعة تعصم العبد من الشيطان.

٨-زيادة فضل الجماعة بزيادة عدد المصلين.

[٤] فضل صلاة العِشاء والفجر والعصر في جماعة. وبه ستة مطالب.

١- صلاة العِشاء في جماعة كقيام نصف الليل والفجر معها في جماعة كقيام الليل كله.

٢- مرافقة الملَك أول من يغدو إلى المسجد.

٣- كتابة صلاة الفجر مع الجماعة صلاة الأبرار، ومقيمها يصير من وفد الرحمن.

٤- مصلي الفجر مع الجماعة يصير في ذمة الله تعالى.

٥- مصلي الفجر في جماعة له أجر حجة وعمرة إذا قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين.

٧- اجتماع ملائكة الليل في الفجر والعصر، واستغفارهم لمن حضرهما مع الجماعة.

المبحث الثاني: وجوب صلاة الجماعة، وبه أحدى أثنى عشر مطلباً.

١-أمر الله تعالى بالركوع مع الراكعين.

٢-الأمر بأداء الصلاة مع الجماعة في حالة الخوف.

٣-أمر النبي ﷺ بأداء الصلاة مع الجماعة.

٤-النهي عن الخروج من المسجد بعد الأذان.

٥-عدم ترخيص النبي ﷺ للتخلف عن صلاة الجماعة لمن سمع النداء.

٦-لا صلاة للمتخلف عن صلاة الجماعة بغير عذر.

٧-التخلّف عن صلاة الجماعة من علامات النفاق.

٨-أستحواذ الشيطان على أعل قرية لا تقام فيهم الصلاة.

٩-التهديد بغضب الله تعالى بسبب ترك الجماعة.

١٠-همّ النبي ﷺ بتحريق البيوت على المتخلّفين عن صلاة الجماعة.

١١-سوء عاقبة من لم يستجب للدعوة إلى المسجد.

المبحث الثالث: اهتمام النبي ﷺوسلف هذه الأمة بصلاة الجماعة.

وبه مطلبان:

١-قيامه ﷺ بأداء الصلاة مع الجماعة في شدّة المعركة.

٢-جهود النبي الكريم ﷺ للخروج إلى صلاة الجماعة في شدة المرض.

المبحث الثالث: عناية السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين بصلاة الجماعة. وبه سبعة مطالب.

١-المقاربة في الخطا عند المشي إلى المسجد.

٢-اختيار مكان بعيد من المسجد كي يكثر الثواب.

٣-المسارعة إلى صلاة الجماعة.

٤-المداومة على حضور صلاة الجماعة.

٥-حضور صلاة الجماعة ليلة الزواج.

٦-حث الابن على ملازمة المسجد.

٧-تأديب الابن المتأخر عن صلاة الجماعة برفق.

المبحث الرابع: صلاة التطوع وفيه إحدى عشرة مبحثاً:

١-صلاة الضحى.

٢-صلاة الليل.

٤-صلاة التراويح.

٤-صلاة الجنازة، وهي من فروض الكفايات.

٥-صلاة الخوف.

٦-صلاة الاستخارة.

٧-صلاة التوبة.

٨-صلاة تحية المسجد.

٩-الصلاة قبل المغرب.

١٠- بين كل أذانين صلاة، والمراد بالأذنينِ الأذان والإقامة.

١١-صلاة الاستسقاء.

١٢-صلاة الكسوف.

١٣- سنن الراتبة.

أ- أربع ركعات قبل الظهر وركعتين بعدها.

ب- ركعتين قبل الفجر.

ج- ركعتين بعد المغرب.

د- ركعتين بعد العِشاء.

السنن المستحبة قبل وبعد صلاة الظهر.

يُستحب، أربع ركعات قبلها وأربع ركعات بعدها.

صلاة العصر: يُستحب أربع ركعات قبل صلاة العصر.

الوتر: أكثره إحدى عشرة ركعة وأقله ركعة واحدة.

صلاة الجمعة:

١- مشروعيتها. ٣- وقتها. ٤- عدد ركعاتها. ٥- الخطبة وما يتعلق بها من أحكام.

٦- يُستحب إطالة الصلاة وقصر الخطبة.

٧- يُستحب أن يكون الخطيب صوته مرتفعاً.

٨- تُدرك الجمعة بركعة واحدة.

٩- الجمعة لمن سمع النداء.

١٠- يُستحب التزين والتطيب يوم الجمعة.

١١- النهي عن تخطي رقاب الناس يوم الجمعة.

١٢- خطبة الجمعة خطبتين.

١٣- يخطب الإمام قائماً.

١٤- يصلى بعد الجمعة أربعة ركعات في المسجد، أو ركعتين في المنزل.

١٥- فضائل يوم الجمعة.

١٦- يُستحب من الإكثار من الصلاة يوم الجمعة.

١٧-يُحرم الكلام يوم الجمعة والإمام يخطب.

١٩- يُستحب قراء سورة الكهف يوم الجمعة.

٢٠- يؤذن المؤذن إذا صعد الإمام المنبر.

صلاة الجنازة.

صلاة الجنازة أشهرها أربع تكبيرات.

الأولى: قراءة الفاتحة.

الثانية: الصلاة على النبي ﷺ

الثالث: الدعاء للميت

الرابعة: التسليمة.

المطلب الثالث: الزكاة: وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول ما يتعلق بزكاة ولمن تصرف، وبه

الأول: تعريف الزكاة لغة واصطلاحاً.

الثاني: فرضية الزكاة من الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

الثالث: بيان: أدلة مشروعيتها.

الرابع: مصارف الزكاة للأصناف الثمانية الذين ذكرهم الله تعالى في سورة التوبة آية: ٦٠.

الخامس: التعريف بالأصناف الثمانية.

السادس: الزكاة تدفع للإمام أو ما ينوب عنه وهم السعاة؛ لصرفها لمن يستحقها من المسلمين؛ أو صندوق الزكاة المتمثل في وزارة الأوقاف والشؤون الدنية.

السابع: الأصناف التي يخرج عنها الزكاة.

الثامن: شروط الزكاة.

التاسع: زكاة الخارج من الأرض.

العاشر: زكاة الأموال.

الحادي عشر: زكاة النقدين. زكاة الأنعام: الإبل- البقر- الغنم والمواشي.

زكاة العسل:

الثاني عشر: نصاب الزكاة، يختلف باختلاف أنواع المخرج من الزكاة.

المبحث الثاني: وبه ستة مطالب.

١-الترهيب من منع الزكاة.

٢-شروط الزكاة وعلى من تجب عليهم.

٣-شروط أخذ أنعام الزكاة.

٤-شروط زكاة الثمار.

٥-زكاة الركاز.

٦- من تحرم عليه الزكاة.

المبحث الثالث: فوائد الزكاة وفيه خمسة مطالب:

١-فوائد الزكاة بالنسبة للمسلم.

٢-الزكاة تساعد على لحمة المجتمع بعضه لبعض.

٤-الزكاة توثق التكافل الاجتماعي، فيصبح المجتمع متماسك البنيان.

٥-من التمكين إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.

رابعاً: الصوم: وبه ثلاثة أقسام:

الأول: الصيام وما يتعلق به، وبه ثمانية عشر مسألة:

١- تعريف الصوم لغة واصطلاحاً.

٢- فرضية الصوم من الكتاب والسنة المطهرة.

٣- شروط الصوم.

٤- فضائل الصيام.

٥-الصيام كفارة.

٦-الصوم واجب على كل مسلم بالغ عاقل قادر مقيم.

٧- الكافر لا يصوم ولا يجب عليه القضاء إذا أسلم.

٨- الصغير الذي لم يبلغ لا يجب عليه الصوم ولكن يؤمر به ليعتاده.

٩-المجنون لا يجب عليه الصوم ولا الإطعام عنه، وإن كان كبيراً، ومثله المعتوه الذي لا تمييز له، والكبير المهذري الذي لا تمييز له.

١٠- العاجز عن الصوم لسبب ذلك كالكبير والمريض الذي لا يرجى برؤه يطعم عنه عن كل يوم مسكيناً.

١١-المريض مرضاً طارئاً ينتظر برؤه فيفطر إن شق عليه الصوم ويقضي بعد برئه.

١٢-الحامل والمرضع، تُفطر وتقضي إذا خافت على ولدها.

١٣-الحائض والنفساء، يحرم عليهما الصوم وقت النفاس، وتقضي بعد رمضان ما أفطرته.

المضطر للفطر لإنقاذه شخص يجب إنقاذه من غرق أو حريق يفطر لينقذه، ويقضي.

١٤-الاعتكاف وتعريه.

١٥-مبطلات الاعتكاف.

١٦-ما يستحب للمعتكف.

١٧-ليلة القدر.

١٨- قيامها والدعاء فيها.

القسم الثاني:

المفطرات، بأقسامها المادية والمعنوية.

القسم الثالث: صيام التطوع والترغيب فيه.

١- صيام الاثنين والخميس.

٢- صيام أيام البيض الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر.

٣- صيام ثلاثة أيام من كل شهر؛ والثلاثة أيام هي أيام البيض.

٤- صوم يوم عرفة لغير الحاج.

٦- صوم عاشوراء تسع محرّم.

القسم الثالث: صيام الكفارات.

١- صيام كفارة من جامع أهله في نهار رمضان. صيام شهرين متتابعين.

٢- صيام قتل الخطأ- صيام شهرين متتابعين.

٣- صيام كفارة الظهار- صيام شهرين متتابعين.

٤- صياح كفارة اليمين صيام ثلاثة أيام.

٥-صيام من لم يستطع أن يقدم هدي في الحج: صيام ثلاثة أيام في الحج، وسبعة أيام إذا رجع إلى أهله.

٨- صيام النذر.

خامساً: الحج وأحكامه: تعريف الحج لغة واصطلاحاً.

أشهر الحج: شوال وذو القعدة والعشر الأول من ذي الحجة.

-أنواع النسك: ثلاثة: متمتع، وقارن، ومفرد.

المتمتع: أن يحرم بالعمرة في أشهر الحج أي بعد دخول شهر شوال، ويفرغ منها قم يحرم بالحج من عامه.

الإقران: أن يقرن بين الحج والعمرة فيحرم بهما جميعاً أو يحرم بالعمرة وحدها، ثم يدخل عليها الحج قبل الشروع في طوافها.

الإفراد: أن يحرم بالحج وحده.

- كيفية العمرة – واجبات العمرة.
- كيفية حج التمتع.
- أركان الحج.
- واجبات الحج.
- شرح حديث جابر الوارد في صحيح مسلم في صفة حجة النبي ﷺ .
- محظورات الإحرام.

أخطاء الحجيج والمعتمرين.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعد:

فلما كان الحج إلى بيت الله الحرام، ركناً من الإسلام الخمسة، على القادر المستطيع، بينه ﷺ بياناً شافياً، بقوله، وفعله، وتقريره، وكان أصحابه رضي الله عنهم، يرقبون نبيهم ﷺ، ليقتدوا به، اتباعاً لقوله ﷺ **(خذوا عني مناسككم)** [أخرجه مسلم]

ونقلوا إلينا ذلك أتم النقل، وبينوه أكمل بيان، ومع هذا البيان والإيضاح ومع هذا كله؛ جنح بعض الناس إلى مخالفة الهدي النبوي، إما بتفريط في فضيلة، أو بوقوع في بدعة، أو معصية، وكان من أسباب ذلك: الجهل أو الاستحسان العقلي، أو تقليد غير أهل العلم الموثوق بعلمهم.

ولبيان شيء من تلك المخالفات التي يقع فيها كثير من الحجاج والمعتمرين نذكر منها ما يلي:

الأخطاء في الإحرام:

[١] بعض الحجاج القادمين عن طريق الجوا يؤخرون الإحرام حتى ينزلوا في مطار جدة، فيحرموا منه، أو دونه مما يلي مكة، وقد تجاوزا الميقات الذي مرّوا به من طريقهم، وقد قال رسول الله ﷺ : **(هنّ لهنّ ولمن أتى عليهن من غير أهلهن)** فمن مر بالميقات الذي في طريقه أو حاذه في الجو، وفي الأرض، وهو يريد الحج أو العمرة، وجب عليه أن يُحرِم منه، فإن تجاوزه وأحرم من دونه أثم وترك واجباً من واجبات النسك يجبره بدم، وجدة ليست ميقاتاً لغير أهلها ومن نوى النسك منها.

[٢] بعض الحجاج إذا أحرموا أخذوا لهم صوراً تذكاريّة، يحتفظون بها، ويطلعون عليها أصدقائهم ومعارفه، وهذا من خطأ من ناحيتين:

الأولى: أن التصوير في حد ذاتية معصية، للأحاديث الواردة في تحريمه.

الثانية: أن هذا يدخل في الرياء، لأن الحاج إذا أحب أن يطلع الناس على صورته وهو محرم، فإن هذا من الرياء والرياء يُحِبط العمل، وهو شِركٌ أصغر، وهو من صفات المنافقين.

[٣] ويظنُّ بعض الحجاج أنه يجب على الإنسان إذا أراد أن يُحْرِم أن يحضر عنده كل ما يحتاجه من الغذاء والدراهم وسائر الأغراض، ولا يجوز أن يستعمل الأشياء التي لم يحضرها عند الإحرام، وهذا خطأ كبير، وجهل فظيع.. لأنه لا يلزمه شيء من ذلك، ولا يحرم عليه أن يستعمل الحوائج التي لم يحضرها استعماله، وأن يغير ملابس الإحرام بمثلها، وأن يغير حِذاءهُ بحذاء آخر، ولا يتجنب إلا محظورات الإحرام المعروفة.

[٤] بعض الرجال إذا أحرموا كشفوا أكتافهم على هيئة الاضطباع، وهذا غير مشروع إلا في حالة الطواف. (طواف العمرة أو طواف القدوم) وما عدا ذلك يكون الكتف مستوراً.

[٥] وإذا حضرت الصلاة وصلى المحرم ينبغي عليه تغطية كتفيه وإن لم ينتهى من طوافه، وبعد الانتهاء من الطواف كشف عن كتفه، واستأنف الطواف.

[٦] بعض النساء يعتقدون أن الإحرام يُتخذ له لون خاص، كالأخضر مثلاً، وهذا خطأْ حِرم بثيابها لأنه الا يتعين لون خاص للثوب الذي تلبسه المرأة في الإحرام، وإنما تُ العادية، إلا في ثياب زينة أو الثياب الضيقة أو الشفافة، فالا يجوز لها لبسها الا في الإحرام والا في غيره.

[٧] بعض النساء إذا أحرمن يضعن على رؤوسهن ما يشبه العمائم، أو الرافعات لأجل غطاء الوجه حتى لا يلامس الوجه وهذا خطأ وتكلف لا داعي له ولا دليل عليه.

[٨] بعض النساء إذا مرت بالميقات تريد الحج أو العمرة وأصابها الحيض قد لا تحرم، ظناً منها أو من وليها أن الإحرام تشترط له الطهارة من الحيض، فتتجاوز الميقات بدون إحرام، وهذا خطأ واضح، لأن الحيض لا يمنع الإحرام، فالحائض تحرم وتفعل ما يفعل الحاج، غير الطواف بالبيت فأنها تؤخره إلى أن تطهر، كما وردت به السنة وإذا أخرت الإحرام، وتجاوزت الميقات بدونه فإنها إن رجعت إلى الميقات وأحرمت منه فالا شيء عليها، وإن أحرمت من دونه فعليها دم لترك الواجب عليها.

الأخطاء في الطواف

[١] كثير من الحجاج يلتزم أدعية خاصة في الطواف يقرأها من كتاب، وقد يكون مجموعة منهم يتلقونها من قارىء يلقنهم، ويرددونها بصوت جماعي، وهذا خطأ من ناحيتين :الأولى: أن التزم بدعاء لم يرد التزامه في هذا الموطن، لأنه لم يرد عن النبيﷺ في الطواف دعاء خاص

.الثانية: أن الدعاء الجماعي بدعة، وفيه تشوش على الطائفين، والمشروع أن يدعو كل شخص لنفسه بدون رفع صوته.

[٢] بعض الحجاج يُقبِل الركن اليماني، وهذا خطأ، لأن الركن اليماني يُستلم باليد فقط ولا يُقبَّل، وإنما يقبل الحجر الأسود، يُستلم ويُقبل إن أمكن، أو يُشار إليه مع الزحمة، والركن اليماني يُستلم، ولا يُقبل ولا يُشار إليه عند الزحمة، وبقية الأركان لا تُستلم ولا تُقبل.

[٣] بعض الناس يزاحم استلام الحجر الأسود وتقبيله، وهذا غير مشروع ألن الزحام فيه مشقة كبيرة شديدة، وخطر على الإنسان وعلى غيره وفيه فتنة بمزاحمة الرجال للنساء والمشروع تقبيل الحجر واستلامه مع الإمكان، وإذا لم يتمكن أشار إليه بدون مزاحمة ومخاطرة وافتتان .والعبادات مبناها على اليسر والسهولة، ولا سيما أن استلام الحجر وتقبيله مستحب مع الإمكان.. ومع عدم الإمكان تكفي الإشارة إليه، والمزاحمة قد يكون فيها ارتكاب محرمٍ لتحصيل سنة.

الأخطاء في التقصير

بعض الحجاج يكتفي بقص شعيرات من رأسه، وهذا لا يكفي ولا يحصل به اداء النسك، لأن المطلوب التقصير من جميع الرأس، لأن التقصير يقوم مقام الحلق، والحلق لجميع الرأس، فكذا التقصير يكون لجميع الرأس، كما قال تعالى (**مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ**) [الفتح: ٢٧] والذي يقصر بعض رأسه لا يقال إنه قصر رأسهُ وإنما يقال: قصر بعضه.

الأخطاء في الوقوف بعرفة

[١] بعضُ الحجاج لا يتأكد من مكان الوقوف، ولا ينظر إلى اللوحات الإرشادية المكتوبة عليها بيان حدود عرفة، فينزل خارج عرفة، وهذا إن استمر في مكانه ولم يدخل عرفة أبداً وقت الوقوف، لم يصح حجه، فيجب على الحاج الاهتمام بهذا الأمر، والتأكد من حدود عرفة ليكونوا داخلها وقت الوقوف .

[٢] يعتقد بعض الحجاج أنه لا بد من الوقوف بعرفة من رؤية جبل الرحمة، أو الذهاب إليه والصعود عليه.. فيكلفون أنفسهم عنتاً ويتعرضون لأخطار عظيمةً ، ومشقة شديدة، من أجل الحصول على ذلك، وهذا كله غير مطلوب منهم، وإنما المطلوب حصولهم الوقوف في عرفة في أي مكان منها لقوله ﷺ: (**وقفت هاهنا وعرفة كلها موقف، وارفعوا عن بطنُ عُرِنة**) سواء رأوا الجبل أولم يروه.

[٣] بعض الحجاج ينصرفون ويخرجون من عرفة قبل غروب الشمس وهذا لا يجوز لهم، لأن وقت الانصراف محدد بغروب الشمس.. فمن خرج من عرفة قبله ولم يرجع إليها فقد ترك واجباً من واجبات الحج، ويلزمه به دم مع التوبة إلى الله لأن الرسول ﷺ قال : (**خذوا عني منا سككم)**

الأخطاء بمزدلفة

[٤] المطلوب من الحاج إذا وصل إلى مزدلفة، أن يصلي المغرب والعشاء جمعاً، ويبيت فيها، فيصلي بها الفجر ويدعو إلى قبيل طلوع الشمس، ثم ينصرف إلى منى، ويجوز لأهل الأعذار خاصة النساء، وكبار السن، والأطفال، ومن يقوم بتولي شؤونهم الانصراف بعد منتصف الليل، ولكن يحصل من بعض الحجاج أخطاء في هذا النسك فبعضهم لا يتأكد من حدود مزدلفة، ويبيت خارجها وبعضهم يخرج منها قبل منصف الليل، ولا يبيت فيها ومن لم يبت بمزدلفة من غير عذر فقد ترك واجباً من واجبات الحج يلزمه به دم مع التوبة والاستغفار.

الأخطاء في رمي الجمار

رمي الجمرات واجب من واجبات الحج، وذلك بأن يرمي الحاج جمرة العقبة يوم العيد، ويرمي الجمرات الثالث في أيام التشريق بعد زوال الشمس، لكن يحصل من بعض الحجاج في النسك أخطاء وبيانها كما يلي:

[١] فمنهم من يرمي في غير وقت الرمي، بأن يرمي جمرة العقبة قبل طلوع الشمس، نعم هناك من يرى رميها بعد منتصف الليل لفعل أسماء رضي عنها عنها، لكن الصحيح؛ بعد طلوع الشمس لحديث ابن عباس رضي الله عنهما، قدم أهله وأمرهم أن لا يرموا جمرة العقبة حتى تطلع الشمس، والحديث [صححه الترمذي وحسّنه ابن حجر] وقال بعض أهل العلم في شرح حديث جابر في حجة النبي ﷺ: أو يرمي الجمرات الثلاث قبل زوال الشمس، وهذا الرمي لا يجزىء، لأنه في غير وقته المحدد له، فهو كما لو صلى قبل دخول وقت الصالة المحدد لها.

[٢] ومنهم من يُخِلُّ بترتيب الجمرات الثلاث، فيبدأ من الوسطى أو الأخيرة.. والواجب أن يبدأ بالصغرى، ثم الوسطى، ثم بالكبرى وهي الأخيرة. ويقف ويدعو في الأولى ثم الثانية ولا يقف يدعو في الثالثة.

[٣] ومنهم من يرمي في غير محل الرمي، وهو حوض الجمرة، وذلك بأن يرمي الحصى من بُعد فلا يقع في الحوض، أو يضرب به العمود فيطير ولا يقع في الحوض، وهذا الرمي لا يجزىء لأنه لم يقع في الحوض، والسبب في ذلك: الجهل أو العجلة أو عدم المبالاة.

[٤] ومنهم من يقوم برمي الأيام الأخيرة مع رمي اليوم الأول من أيام التشريق، ثم يسار قبل تمام الحج، وبعضهم إذا رمى اليوم الأول يُوكِل من يرمي عنه البقية، ويسافر إلى وطنه، وهذا تلاعب بأعمال الحج، وغرور من الشيطان، فهذا الإنسان تحمل المشاق، وبذل الأموال لأداء الحج فلما بقي عليه القليل من واجبات الحج، وهي رمي الجمرات الباقية، وترك المبيت بمنىٍ ليالي التشريق، وطوافه للوداع في غير وقته لأن وقته بعد نهاية أيام الحج وأعماله.

فهذا لو لم يحج أصلاً وسلم من التعب، وإضاعة المال لكان أحسن.. لأن الله تعالى أمر بقوله: (**وَأَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلّهِ**) [البقرة:١٩٦] ومعنى إتمام الحج والعمرة، إكمال لوجه تعالى .أعمالهما لمن أحرم بهما على الوجه المشروع، وأن يكون القصد خالصاً لوجه تعالى.

[٥] من الحجاج يفهم خطأ في معنى التعجل الذي قال الله تعالى فيه :م خطأ (**فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى**) [البقرة: ٢٠٣]وهذا خطأ فاحش سببه الجهل؛ لأن المراد باليومين يوم العيد ويوماً فيظنُ المراد يومان بعد يوم العيد، هما يوم الحادي عشر والثاني عشر، من تعجل فيهما فنفر بعد رمي الجمار بعد زوال الشمس من اليوم الثاني عشر فلا إثم عليه، ومن تأخر إلى اليوم الثالث عشر فرمى الجمار بعد زوال الشمس فيه، ثم نفر فهذا أفضل وأكمل.

وفي الختام أقول:

بعض الحجاج والمعتمرين وكذا المقاولين أصحاب الحملات- وهم قلّة والحمد لله- لا يستمعون إلى نصائح وتوجيهات البعثة العمانية في الحج، والتي هدفها وغايتها أن يكون كل حاج حجه صحيحاً مطابقاً لحجة النبي ﷺ ، فيجب على الحاج وكذا المقاول الذي وكله الله تعالى في حمل هؤلاء الحجاج أن يتقي الله تعالى فيهم ولا يجتهد في أشياء هو ليس له فيها علم، بل يرجع إلى مشايخ وعلماء البعثة العمانية التي وجدوا لتسيير أعمال الحج على النهج الصحيح ومن أجل راحة الحجاج؛ وجزاهم الله عنا كل خير وأثابهم الله على ذلك.

هذا وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

الثاني: الآداب الشرعية :

الأول: آداب تلاوة القرآن وما يتعلق به.

قال تعالى: ((**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**)) [الحجر:٩]

وقال تعالى: ((**أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا**)) [النساء:٨٢]

وقال تعالى: ((**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**)) [محمد:٢٤]

وقال ﷺ في الحديث والشاهد منه قوله: ((**وما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوتِ الله، يتلون كتاب اللهِ، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيما عنده..**)) [رواه مسلم (٢٦٩٩).]

وقال ﷺ : ((**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**)) [رواه البخاري (٥٠٢٧).]

وقال ﷺ : ((**الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة. والذي يقرأ القرآن ويتعتع فيه، وهو عليه شاقٌ، له أجران**)) [البخاري (٤٩٣٧)، ومسلم (٧٩٨)]

ومن خلال هذا الموضوع ندارس بعض الآداب ونتذكرها وما يتعلق بكتاب الله تعالى نحوه:

ومن الآداب: **١-تحري الإخلاص عند تعلم القرآن وتلاوته:**

لأن قراءة القرآن عبادة يبتغي بها وجه الله، وكل عمل يتقرب به إلى الله لا يتحقق فيه شرطاً قبول العمل- الإخلاص والمتابعة- فهو مردود على صاحبه.

قال النووي: فأول ما يؤمر به (أي القاري): الإخلاص في قراءته، وأن يريد بها وجه الله سبحانه وتعالى، وأن لا يقصد بها توصلاً إلى شيء سوى ذلك.

[(الأذكار المنتخب من كلام سيد الأبرار) (ص ١٦٠).]

وهذا ما ذهب إليه النووي صحيح، فإن القراء يبتغي بقراءته صرف أنظار الناس إليه، والإقبال على مجلسه وتبجيله وتوقيره- نسأل الله السلامة والعافية-

وكفى القاريء زجراً أن يعلم عقوبة من تعلم القرآن لكي يقال قاريء!

عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ : ((**إن أول الناس يقضي يوم القيامة عليه، رجل استشهد. فأُتِيَ به فعرفه نِعمهُ فعرفها. قال: ما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت. قال: كذبت. ولكنك قاتلت لأن يقال جريء. فقد قيل. ثم أُمر به فسحب على وجهه حتى أُلقيَ في النار. ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن. فأُتِيَ به. فعرفه نِعَمَهُ فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم. وقرأت القرآن ليقال قاريءٌ. فقد قيل. ثم أُمِرَ به فسُحِبَ على وجهه حتى أُلقيَ في النار**)) [أخرجه مسلم (١٩٠٥)]

٢-العمل بالقرآن:

وذلك بتحليل حلاله، وتحريم حرامه، والوقوف عند نهيه، والائتمار بأمره، والعمل بمحكمه، والإيمان بمتشابهه، وإقامة حدوده وحروفه، ولقد جاء نهي شديد فيمن آتاه الله القرآن ثم لم يعمل به.

ففي صحيح البخاري من حديث رؤيا النبيُّ ﷺ - الطويل-: ((**قالا: انطلق. فانطلقنا حتى أتينا على رجلٍ مضطجعٍ على قفاه، ورجل قائمٌ على رأسهِ بفهرٍ أو صخرة، فيشدخ به رأسه، فإذا ضربه تهدهده الحجر، فانطلق إليه ليأخذه فلا يرجع إلى هذا حتى يلتئم رأسه وعاد رأسه كما هو، فعاد إليه فضربه، قلت: من هذا؟ قالا: انطلق: –** ثم فسر له ذلك ﷺ فقال:- **والذي رأيته يُشدخ رأسه فرجلٌ علمه الله القرآن، فنام عنه بالليل ولم يعمل فيه بالنهار، يُفعل به إلى يوم القيامة))** [البخاري (١٣٨٦)]

٣-الحث على استذكار القرآن وتعاهده:

استذكار القرآن أي: المواظبة على التلاوة وطلب ذكره. والمعاهدة، أي: تجديد العهد به بملازمته وتلاوته. [(فتح الباري شرح صحيح البخاري) (٦٩٧/٨، ٦٩٩)]

فالمشتغل بحفظ كتاب الله العزيز، والحافظ له، إن لم يتعاهد بالمدارسة والاستذكار، فإن حفظه سيتعرض للنسيان، فالقرآن سريع التفلت من الصدور، ولذا وجب

العناية به وكثرة مدارسته وتلاوته، وقد ضرب لنا رسول الله ﷺ مثلاً يبين لنا حال صاحب القرآن المعتني به والمفرِّط فيه. روى ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول

الله ﷺ قال: ((**إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقَّلة، إن عاهد عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهبت**)) [البخاري (٥٠٣١)، مسلم (٧٨٩).]

ومن حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أن النبيَّ ﷺ قال: ((**تعاهدوا القرآن، فو الذي نفسي بيده لهو أشد تفصياً من الإبل في عُقلِها**)) [البخاري (٥٠٣٣)]

قال ابن حجر: مبيناً المثل الذي ضربه النبيُّ ﷺ : شبه درس القرآن واستمرار تلاوته بربط البعير الذي يخشى منه الشراد، فما زال التعاهد موجوداً فالحفظ موجود، كما أن البعير مادام مشدوداً بالعقال فهو محفوظ. وخص الإبل بالذكر لأنها أشد الحيوانات الإنسي نفوراً، وفي تحصيلها بعد استكمال نفورها صعوبة. [فتح الباري (٦٩٧/٨، ٦٩٨)]

٤-لا تقل نسيت؛ ولكن قل: أُنسيت، أو أُسقطت، أو نُسيت:

ودليل ذلك ما رواته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قالت: (**سمع رسول الله ﷺ رجلاً يقرأ في سورة الليل فقال: يرحمه الله، لقد ذكرني آية كذا وكذا أُنسيتها من سورة كذا وكذا**)) وفي رواية ((... **لقد أذكرني آية كنت أسقطتها من سورة كذا وكذا**)) [البخاري (٥٣٨) ومسلم (٧٨٨)]

وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : ((**بئس ما لأحدكم يقول: نسيت آية كيت وكيت، بل هو نُسي**))

[البخاري (٥٠٣٩) ومسلم (٧٩٠)]

قال النووي: وفيه- أي الحديث- كراهية قول نسي آية كذا وهي كراهة تنزيه وأنه لا يكره قول أُنسيتها وإنما نهي عن نسيتها لأنه يتضمن التساهل والتغافل عنها، وقد قال الله تعالى: ((**أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى**)) [طه:١٢٦]

[شرح صحيح مسلم (٦٣/٦) حديث رقم (٧٩٠)]

وقال القاضي عياض: أولى ما يتأول عليه الحديث أن معناه ذم الحال لا ذم القول، أي نسيت حالة من حفظ القرآن فغفل عنه حتى نسيه.

[إكمال المعلم بفوائد مسلم حديث رقم (٧٩٠)]

٥-وجوب تدبر القرآن الكريم:

تضافرت النصوص على تدبر آيات الكتاب العزيز، وقد سبق بيان طرفاً من ذلك.

وفي قوله تعالى: ((**أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا**)) [النساء:٨٢]

قال العلَّامة/ الشيخ ناصر السعدي: يأمر تعالى بتدبر كتابه، وهو التأمل في معانيه، وتحديث الفكر فيه، وفي مبادئه وعواقبه، ولوازمه ذلك.

فإن في تدبر كتاب الله مفتاحاً للعلوم والمعارف، وبه يستنتج كل خير وتستخرج منه جميع العلوم وبه يزداد الإيمان في القلب، وترسّخ شجرته.

فإنه يعرِّف بالرب المعبود، وما له من صفات الكمال؛ وما ينزه من سمات النقص.

ويعرِّف الطريق الموصلة إليه وصفة أهلها، وما لهم عند القدوم إليه.

ويعرِّف العدو، الذي هو العدو على الحقيق؛ والطريق الموصلة إلى العذاب، وصفة أهلها، وما لهم عند وجود أسباب العقاب.

وكلما ازداد العبد تأملاً فيه، ازداد علماً وعملاً وبصيرة. ولذلك أمر الله بذلك، وحث عليه، وأخبر أنه هو المقصود بإنزال القرآن، كما قال تعالى: ((**كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ**)) [ص:٢٩] [تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) (١١٢/٢)]

والسلف من الصحابة رضوان الله عليهم، ومن بعدهم من القرون الخيرية طبقوا ذلك عملياً.

روى الإمام أحمد–رحمه الله– بسنده عن عبد الرحمن قال: حدثنا من كان يقرئنا من أصحاب النبي ﷺ، أنهم كانوا يقترئون من رسول الله ﷺعشر آيات، فلا يأخون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل.

قالوا: فتعلمنا العلم والعمل. [المسند (٢٢٩٧١)]

٦–جواز تلاوة القرآن قائماً أو ماشياً أو مضطجعاً أو راكباً.

والأصل في ذلك قوله تعالى: ((**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ**)) [آل عمران:١٩١]

وقوله تعال: **لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ {١٣} وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ {١٤}))** [الزخرف:١٣-١٤]

والسنة المطهرة جاءت بهذا كله، فمن حديث عبد الله بن مغفل ﷺ أنه قال: **((رأيت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة وهو يقرأ على راحلته سورة الفتح))** [البخاري (٥٠٣٤) ومسلم (٧٩٤)]

ومن حديث أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- قالت: ((إن النبي ﷺ كان يتكىء في حجري وأنا حائض ثم يقرأ القرآن)) [البخاري (٢٩٧) ومسلم (٣٠١).]

أما الماشي فإنه يُقاس على الراكب ولا فرق.

فائدة:

في حديث أم المؤمنين عائشة-رضي الله عنها- دليل على جواز قراءة القرآن في حجر الحائض والنفساء.

والمراد بالاتكاء هنا: وضع الرأس في الحِجْرِ. بخفض المهملة التحتانية وإسكان المعجمة وكسر المهملة الأخرى.

قال ابن حجر: وفيه جواز القراءة قرب محل النجاسة، قاله النووي.

[فتح الباري (١/٤٧٩)، شرح صحيح مسلم (حديث رقم (٢٩٧) للنووي.]

٧-لا يمس القرآن، إلّا طاهر:

الأصل فيه قوله تعالى: ((**لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ**)) [الواقعة:٧٩]

والنهي عن مسه إلا المتطهر جاء مصرحاً به في الكتاب الذي كتبه النبي ﷺ لعمور بن حزم وفيه: ((**أن لا يمس القرآن إلا طاهر**))

[رواه مالك في (الموطأ) (٤٦٨) وهذا الكتاب الذي كتبه النبي ﷺ لعمرو بن حزم إلى أهل اليمن في السنن والفرائض والديات. قال ابن عبد البر: كتاب مشهور عند أهل العلم معروف يستغنى عن الإسناد. كذا في (التمهيد لما في الموطأ من المعاني والمسانيد) (١٧/٣٩٦) وذُكِرَ أن الإمام أحمد بن حنبل احتج به، وأن إسحاق بن راهويه صححه.]

فائدة:

حمل المصحف في الجيب جائز، ولا يجوز أن يدخل الشخص مكان قضاء الحاجة ومعه مصحف بل يجعل المصحف في مكان لائق به تعظيماً لكتاب الله واحتراماً له، لكن إذا اضطر إلى الدخول به خوفاً من أن يُسرق إذا تركه خارجاً جاز الدخول به للضرورة. للقاعدة المعلومة عند الفقهاء (المشقة تجلب التيسير) والله أعلم.

٨-جواز تلاوة القرآن للمحدث حدثاً أصغر عن ظهر قلب:

أما الجنابة، فإنه لا يجوز قراءة القرآن بحال من الأحوال ودليل ذلك ما رواه علي بن أبي طالب ﷺ أأنه قال: ((**كان رسول الله ﷺ يقرئنا القرآن ما لم يكن جنباً**)) [رواه الإمام أحمد (٦٢٧) قال أحمد شاكر في تحقيقة على المسند: إسناده حسن. وقال الحافظ ابن حجر: والحق أنه من قبيل الحسن يصلح للحجة]

٩-جواز قراءة القرآن للحائض والنفساء.

وذلك لأنه لم يثبت دليل يتعين المصير إليه على المنع من ذلك، ولكن بدون مس المصحف. ومن العلماء يرى بالجواز عند الضرورة كالتعليم وغيره.

١٠-استحباب تنظيف الفم بالسواك قبل التلاوة:

وذلك تأدباً مع كلام الله، فإن القارىء لما كان مريداً لتلاوة كتاب الله تعالى حَسُنَ منه أن يطيب فمه وينظفه بالسواك أو بما يحصل به التنظيف، ولا شك أن في هذا تأدباً مع كلام الله.

وقد يُستأنس لذلك بحديث حُذيفة بن اليمان ﷺ قال: ((**كان النبي إذا قام للتهجد من الليل يشوصُ فاه بالسواك**))

١١-من السنة الاستعاذة والبسملة عند التلاوة.

من السنة الاستعاذة قبل التلاوة، والأصل في ذلك قوله تعالى: ((**فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**)) [النحل:٩٨]

ومن السنة المطهرة ما رواه أبو سعيد الخدري ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ، إذا قام من الليل كبَّر ثم يقول: (. **سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى**

جدك ، ولا إله غيرك)) ثم يقول: **((لا إله إلا الله))** ثلاثاً، ثم يقول: **((الله أكبر كبيراً))** ثلاثاً **((أعوذ الله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه))**

همزه: همزَ الشيطان الإنسان همزاً. همس في قلبه وسواساً. وهمزات الشيطان: خطراته الي يخطرها بقلب الإنسان. [لسان العرب لبن المنظور (٤٢٦/٥) مادة: همز]

نفخه: الكبْر في قوله: أعوذ بك من همزه ونفخه ونفثه... لأن، المتكبر يتعاظم ويجمع نفْسَه فيحتاج أن ينفخ. [لسان العرب لابن المنظور (٦٤/٣) مادة: نفخ]

فتحصل لنا من الآية والحديث ثلاث صيَغ للاستعاذة.

الأولى: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

الثانية: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه.

الثالثة: أعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم.

[ذُكِرَت هذه الصيغة عند أبي داود رقم (٧٨٥) وصححها بعض أهل العلم.]

أما البسملة فهي سنة. فقد روى أنس ﷺ أنه قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا، إذ أغفى إغفاءةً. ثم رفع رأسه مبتسماً. فقلنا: ما أضحك يا رسول الله! قال: **((أنزلت عليَّ آنفاً سورةٌ))** فقرأ **((بسم الله الرحمن الرحيم))** **((إنَّا**

أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ{١}فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ{٢} إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ)) [سورة الكوثر] الحديث.[رواه مسلم (٤٠٠)]

١٢-استحباب ترتيل القرآن وكراهية السرعة المفرطة في التلاوة:

أمر المولى ﷻ بترتيل كتابه فقال عز من قائل: **((وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا))** [المزمل:٤]

والترتيل في القراءة: الترسل فيها والتبيين من ير بغيٍ... وقال بن عباس في قوله: **((وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا))** [المزمل:٤] قال: بينه تبييناً؛ وقال أبو إسحاق: والتبيين لا يتم بأن يعجل في القراءة، وإنما يتم التبيين بأن يُبيِّن جميع الحروف ويوفيها حقها في الإشباع. [كذا في لسان العرب لابن المنظور (٢٦٥/١١) ط- دار صادر.]

والفائدة المرجوة من الترتيل أنه أدعى لفهم معاني القرآن، والتدبر والخشوع.

وقد كره كثير من السلف من الصحابة ومن بعدهم؛ العجلة المفرطة في تلاوة القرآن، وعلة ذلك أن رغبة القاري في تكثير تلاوته في مدة أقصر، لأجل تحصيل أجر كثير، يفوت عليه مصلحة أكبر، وهي تدبر آيات القرآن، والتأثر بها، وظهور أثرها على القارىء، ولا ريب أن حال من قرأ القرآن وهو متأمل لآياته، مستحضرٌ لمعانيه؛ أكمل من الذي يستعجل به طلباً لسرعة ختمه وكثرة تلاوته.

١٣-استحباب مد القراءة:

وهذا ثابت عن النبي ﷺ ؛ سُئِلَ أنس ﷺ كيف كانت قراءة النبي ﷺ ؟

فقال: ((**كانت مداً. ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم ببسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم**)) [رواه البخاري (٥٠٤٥)]

١٤-استحباب تحسين الصوت بالقراءة، والنهي عن القراءة بالألحان المطربة.

يدل على ذلك ما رواه البراء بن عازب ﷺ أنه قال: ((**سمعت رسول الله** ﷺ يقرأ ((**والتين والزيتون**)) في العِشاء، وما سمعت أحداً أحسن صوتاً منه أو قراءة)) [البخاري (٧٦٩)]

وفي استحباب تحسين الصوت بالقراءة أحاديث صحيحة فمنها: قوله ﷺ : ((**لم يأذن الله لشيء ما أذن لنبي أن يتغنى بالقرآن**)) [البخاري (٥٠٢٣) ومسلم (٧٩٢)]

قال ابن كثير: ومعناه أن الله تعالى ما استمع لشيءٍ كاستماعه لقراءة نبي يجهر بقراءته ويحسنها، وذلك أنه يجتمع في قراءة الأنبياء طيب الصوت لكمال خُلُقهم وتمام الخشية، وذلك هو الغاية في ذلك، وهو سبحانه وتعالى يسمع أصوات العباد كلهم برهم وفاجرهم. [فضائل القرآن (ص١٧٩-١٨٠).]

قال الإمام أحمد-رحمه الله-: يحسِّن القاري صوته بالقرآن، ويقرؤه بحزنٍ وتدبر، وهو معنى قوله عليه السلام: ((**ما أذِن الله لشيء كأذنه لنبي يتغنى بالقرآن**))

[الآداب الشرعية (٢/٢٩٧) لابن مفلح]

ومنها قوله: ((**ليس منا من لم يتغن بالقرآن**)) [رواه أبو داود (١٤٦٩) بإسنادٍ صحيح]

ومن حديث البراء بن عازب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : ((**زينوا أصواتكم بالقرآن**)) [رواه أبو داود (١٤٦٨) بإسنادٍ صحيح] والمراد من تحسين الصوت بالقرآن تطريبه وتحزينه والتخشع به، قاله ابن كثير. [فضائل القرآن (ص١٩٠)]

١٥-البُكاء عنْد تلاوة القرآن وسماعه.

وكلا الأمرين جاءت به السنة؛ أما البكاء عند القراءة: ما رواه عبد الله بن الشخير ﷺ أنه قال: ((**أتيت النبي ﷺ وهو يصلي، ولجوفه أزيز كأزيز المرجل، يعني يبكي**)) [شرح السنة (٧٢٩) للبغوي. والحديث رواه الترمذي في كتاب (الشمائل) وأحمد، وأبو داود والنسائي وإسناده قوي.]

وقال عبد الله بن شداد: سمعت نشيج عمر وأنا في آخر الصفوف، قرأ ((**إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ**)) [يوسف:٨٦]

أما البُكاء عند سماع القرآن:

ما رواه ابن مسعود ﷺ قال: ((**قال لي النبي ﷺ اقرأ عليَّ**، قلت: يا رسول الله أقرأ عليك القرآن وعليك أنزل؟ قال: **نعم: فقرأت عليه سورة النساء حتى أتيت على هذه الآية: ((فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاء شَهِيدًا)) [النساء:٤١] قال: حسبك الآنز فالتفت إليه، فإذا عيناه تذرفان**)) [البخاري في صحيحه تعليقاً، وقال الحافظ ابن حجر: ووصل هذا الأثر سعيد بن منصور عن ابن عيينة

عن إسماعيل بن محمد بن سعد سمع عبد الله بن شداد بهذا وزاد في صلاة الصبح. كذا في (فتح الباري) (٢/٢٤١-٢٤٢)]

١٦-استحباب الجهر بالقرآن إذا لم يترتب عليه مفسدة:

قال النووي: جاءت آثار بفضيلة رفع الصوت بالقراء. وآثار بفضيلة الإسرار.

[الأذكار المنتخب من كلام سيد الأبرار (ص١٦٢)]

ثالثاً: آداب المساجد:

فاتحة القول:

بسم الله الرَّحمنِ الرَّحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شرك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

إن المساجد لها مكانة عظيمة في الإسلام، وهي التي يُشرع فيها إقامة الصلوات الخمس في جماعة، وقد حث الإسلام بالعناية بالمساجد والترغيب في بناءها ونظافتها.

ولقد خصها الله تعالى لعبادته، قال تعالى: ﴿ **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا** ﴾ [الجن:١٨]

وهي البيوت التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، قال تعالى: ﴿**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ** ﴾ [النور:٣٦]

لذلك جعل الإسلام لهذه المساجد فضائل في بنائها وآداب وأحكام لمن ارتادها، ومن فضائل بنائها:

١ – فضل بناء المساجد:

- عن عثمان بن عفان ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿ **من بنى مسجداً يبتغي به وجه الله بنى الله له مثله في الجنة**﴾

[رواه البخاري (٤٥٠) ومسلم (٥٣٣)]

قال الحافظ ابن حجر– رحمه الله–: ومن بناه بالأجر لا يحصل له هذا والوعد المخصوص لعدم الإخلاص وإن كان يؤجر في الجملة.

[فتح الباري (٣٠٨/٢)]

قال ابن الجوزي: من كتب اسمه على المساجد الذي يبنيه كان بعيداً من الإخلاص. [المصدر السابق]

وقوله ﷺ : ﴿**بنى الله مثله في الجنة**﴾ قال النووي: يحتمل قوله ﷺ في (مثله) أمرين:

أحدهما: لا أن يكون معناه بنى الله تعالى له مثله في مسمى البيت وأما صفته في السعة وغيرها فمعلوم أنها مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

الثاني: أن معناه أن فضله على بيوت الجنة كفضل المسجد على بيتو الدنيا. [شرح مسلم (٣/١٧-١٨)]

قال الحافظ: قوله: ﴿**في الجنة**﴾ فيه إشارة إلى دخول فاعل ذلك الجنة إذ المقصود بالبناء له أن يسكنه وهو لا يسكنه إلا بعد الدخول.

-عن أبي ذر الغفاري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿ **من بنى لله مسجداً قدر مفحص قطاة بنى الله له بيتاً في الجنة.**﴾ [الترغيب والترهيب]

قوله: ﴿ **مفحص قطاة**﴾ هو الموضع الذي تبيض فيه. [النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/٤١٥) لابن الأثير]

والحديث فيه دليل على حصول الأجر المذكور ولو كان المسجد صغيراً.

- عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : ﴿ **سبع يجري للعبد أجرهن وهو في قبره بعد موته: من علم علماً أو أجرى نهراً أو حفر بئراً أو غرس نخلاً أو بنى مسجداً أو ورث مصحفاً أو ترك ولداً يستغفر له بعد موته.**﴾ [رواه البزار وحسَّنه الإمام الألباني في (صحيح الجامع) (٣٦٠٢)]

- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : ﴿**إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علما علمه ونشره وولداً صالحاً تركه ومصحفاً ورثه أو مسجداً بناه أو بيتاً لابن السبيل بناه أو نهراً أجراه أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته يلحقه من بعد موته.**﴾ [رواه ابن ماجه وحسَّنه الإمام الألباني في (أحكام الجنائز) (١٧٦-١٧٧)]

ملاحظة هامة:

لا يعني يتوقف أجر باني المساجد إلى ما جاء في الحديث، بل يتعدى ذلك كل من صلى فيها وذكر الله تعالى واستغفر فيها أو مشى إليها، فإن باني المسجد له نصيب منها بفضل الله تعالى ومشيئته.

٢- فضل المساجد:

قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُوْلَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَآئِفِينَ لهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ [البقرة:١١٤]

وقال تعالى: ﴿ **فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۞ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ** ﴾ [النور:٣٦-٣٧]

وقال تعالى ﴿ **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا** ﴾ [الجن:١٨]

ومن السنة المطهرة:

- عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ **أحب البلاد إلى الله مساجدها وأبغض البلاد إلى الله أسواقها.** ﴾ [رواه مسلم (٦٧١)]

قال الإمام النووي- رحمه الله-: قوله: ﴿ **أحب البلاد إلى الله مساجدها**﴾ لأنها بيوت الطاعات وأساسها على التقوى.

وقوله: ﴿ **وأبغض البلاد إلى الله أسواقها.**﴾ لأنها محل الغش والخداع والربا والأيمان الكاذبة وإخلاف الوعد والإعراض عن ذكر الله وغير ذلك مما في معناه. [شرح مسلم (١٧٧/٣)]

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ﴿**خير البقاع المساجد وشر البقاع الأسواق** ﴾ [رواه الطبراني والحاكم)]

٣- فضل المشي إلى المساجد:

عن جابر قال: خلت البقاع حول المسجد فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا إلى قرب المسجد فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال لهم: إنه بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد قالوا: نعم يا رسول الله! قد أردنا ذلك. فقال: **يا بني سلمة دياركم تكتب أثاركم، دياركم تكتب أثاركم**﴾ [مسلم (٦٦٥) والبخاري من حديث أنس (٦٥٦)]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : ﴿ **صلاة الرجل في الجماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمساً وعشرين ضعفاً وذلك إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة وحط عه بها خطيئة**﴾ [البخاري (٦٤٧) ومسلم (٦٥٦)]

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ : ﴿**أعظم الناس أجراً في الصلاة أبعدهم فأبعدهم ممشى**﴾ [البخاري (٦٥١) ومسلم (٦٦٢)]

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ : ﴿ **من تطهر في بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله لقضي فريضة من فرائض الله كانت خطوتاه إحداهما تحط خطيئة والأخرى ترفع درجة**﴾ [مسلم (٦٦٦)]

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ﴿ **من غدا إلى المسجد وراح أعد الله له نزله من الجنة كلما غدا أو راح**﴾ [مسلم (٦٦٩) وكذا البخاري ٦٦٢ واللفظ له.]

وعن أبي أمامة الباهلي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ **من خرج من بيته متطهراً إلى صلاة مكتوبة فأجره كأجر المعتمر، وصلاة على إثر صلاة لا لغو بينهما كتاب في عليين** ﴾ [أبو داود (٥٢٢) بسند صحيح]

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ **ألا أدكم على ما تمحو الله به الخطايا ويرفع الدرجات؟** قالوا: بلى يا رسول الله. قال: **إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط**﴾ [مسلم (٢٥١)]

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ **من راح إلى مسجد جماعة فخطوة تمحو سيئة وخطوة تكتب له حسن، ذاهباً وراجعاً**﴾ [أحمد وصححه الإمام الألباني- رحمه الله- في صحيح الترغيب والترهيب (٢٩٥)]

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿ **لا يتوضأ أحدكم فيحسن وضوءه ويسبغ ثم يأتي المسجد لا يريد إلا الصلاة فيه إلا تبشبش الله إليه كما يتبشبش أهل الغائب بطلعته**﴾ [ابن خزيمة ،والترغيب والترهيب (٢٩٨)، وصحيح ابن خزيمة (١٤٩١) تحقيق مصطفى الأعظمي]

وعن سلمان الفارسي ﷺ أن النبي ﷺ قال: ﴿ **من توضأ في بيته فأحسن الوضوء ثم أتى المسجد فهو زائر الله وحق على المزور أن يكرم الزائر**﴾ [الطبراني ، الترغيب والترهيب (٣١٧).]

النبي ﷺ بشر المسلم بالنور التام يوم القيامة من ذهب إلى المسجد في الظُلَم.

عن بريدة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ﴿ **بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة**﴾ [أبو داود (٢٢٣) قال أبو داود: هذا حديث غريب من هذا الوجه مرفوعٌ؛ وهو صحيح مُسندٌ، وموقوف إلى أصحاب النبي ﷺ ولم يُسند إلى النبي ﷺ وابن ماجه (٧٧٩- ٧٨١)]

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ﴿ **من مشى في ظلمة الليل إلى المسجد لقي الله عز وجل بنور يوم القيامة**﴾

[الطبراني وهو صحيح - الترغيب والترهيب]

قال إبراهيم النخعي- رحمه الله-: كانوا يرون المشي إلى المسجد في الليلة المظلمة الموجبة. [(شرح السنة) (٣٥٨/٢) للبغوي.]

كرامات لبعض الصحابة؛ روى الإمام البخاري- رحمه الله-؛ عن أنس رضي الله عنه **أن رجلين من أصحاب النبي ﷺ خرجا من عند النبي ﷺ في ليلة مظلمة ومعهما مثل الصباحين يضيئان بين أيديهما، فلما افترقا صار مع كل واحد منهما واحد حتى أتى أهله)** [البخاري (٤٦٥)]

في (الفتح) فهذان الرجلان تأخرا مع النبي ﷺ في المسجد في تلك الليلة المظلمة لانتظار صلاة العشاء معه فأكرمهما الله تعالى بهذا النور الظاهر، وادخر لهما يوم القيامة ما هو أعظم وأتم من ذلك إن شاء الله تعالى.﴾ [فتح الباري (٣٣٠/٢) لابن حجر العسقلاني- رحمه الله-]

ومن الآداب التي ينبغي على المسلم اتباعها حين المشي إلى المساجد.

٤- الإخلاص لله تعالى. أي إخلاص النية لله تعالى عند الذهاب إلى المسجد.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : ﴿ **من أتى المسجد لشيء فهو حظه**﴾ [أبو داود (٤٤٧)].

أن يكون المسلم على طهارة. كما تقدم شيء من الأحاديث المطهرة في ذلك.

٥- عدم تشبيك الأصابع.

عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: ﴿ **إذا توضأ أحدكم في بيته ثم أتى المسجد كان في الصلاة حتى يرجع فلا يقل هكذا – وشبك بين أصابعه**﴾ [رواه ابن خزيمة، و(الترغيب والترهيب) (٢٨٩) للمنذري]

وعن كعب بن عجرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿ **إذا توضأ أحدكم ثم خرج عامداً إلى الصلاة فلا يشبكن بين يديه فإنه في صلاة** ﴾ [رواه الإمام أحمد وأصحاب السنن إلا النسائي وهو في الترغيب والترهيب للحافظ المنذري]

٦- المشي بالسكينة وعدم السعي عند سماع الإقامة:

عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿ **إذا أُقيمت الصلاة – وفي رواية للبخاري- إذا سمعت الإقامة- فلا تأتوها تسعون وأتوها تمشون، وعليكم السكينة فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا- وفي رواية لمسلم-: فإن أحدكم إذا كان يعمد إلى الصلاة فهو في صلاة.**﴾ [البخاري (٦٣٦) ومسلم (٦٠٢)]

قال الإمام النووي- رحمه الله-: وقوله ﷺ: ﴿ **إذا أُقيمت الصلاة**﴾ إنما ذكر الإقامة للتنبيه بها على ما سواها لأنه إذا نهي عن إتيانها سعياً في حال إقامة مع خوفه فوت بعضها فقبل الإقامة أولى، وأكد ذلك ببيان العلة فقال ﷺ: ﴿ **فإن أحدكم إذا كان يعمد إلى الصلاة فهو في صلاة.**﴾ وهذا يتناول جميع أوقات الإتيان إلى الصلاة، وأكد ذلك تأكيداً آخر قال: ﴿ **فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا**﴾ فحصل فيه تنبيه وتأكيد لئلا يتوهم أن النهي إنما هو لمن لم يخف فوت بعض الصلاة فصرح بالنهي وإن فات من الصلاة ما فات وبين ما يفعل فيما فات.[شرح صحيح مسلم (١٠٣/٣).]

وظاهر كلام النووي- رحمه الله- ضعف من رأى الإسراع على من خشي أن يفوته شيء من الصلاة.

قال المباركفوري في كتابه (تحفة الأحوذي) (٢٩٠/٢): أي أنه في حكم المصلي فينبغي له اعتماد ما ينبغي للمصلي اعتماده واجتناب ما ينبغي للمصلي اجتنابه وإذا ثبت أن العامد إلى الصلاة في صلاة فكيف يقال إنه لا بأس في الإسراع إن خاف فوت التكبيرة الأولى.

قال الإمام النووي- رحمه الله-: قوله ﷺ : ﴿ **فإن أحدكم إذا كان يعمد إلى الصلاة فهو في صلاة.**﴾ دليل على أنه يستحب للذاهب إلى الصلاة أن لا يعبث بيده ولا يتكلم بقبيح ولا ينظر نظرا قبيحا ويجتنب ما أمكنه مما يجتنبه المصلي فإذا وصل المسجد وقعد ينتظر الصلاة كان الاعتناء بما ذكرنا آكد. [المصدر السابق]

٧- التزين في اللباس والطيب والهيئة.

لقوله تعالى: ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ** ﴾

قال الإمام ابن كثير – رحمه الله – في (تفسيره): ولهذه الآية وما ورد في معناها من السنة يستحب التجمل عند الصلاة ولا سيما يوم الجمعة ويوم العيد والطيب لأنه من الزينة والسواك لأنه من تمام ذلك ومن أفضل اللباس البياض. [تفسير (القرآن العظيم) (٢/٢١٠)]

٨- آداب دخول المسجد والخروج منه.

عن أنس بن مالك ﷺ قال: **من السنة إذا دخلت المسجد أن تبدأ برجلك اليمنى وإذا خرجت أن تبدأ برجلك اليسرى.** [رواه الحاكم وسكت عنه الحافظ في الفتح (٢/٢٧٢) وهو حسن وروى البخاري تعليقاً بصيغة الجزم أن ابن عمر كان يبدأ برجله اليمنى فإذا خرج بدأ برجله اليسرى. [فتح الباري (٢/٢٧١)]

٩- الذكر عند دخول المسجد والخروج منه:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يقول إذا دخل المسجد: ﴿ **أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطانِ الرجيم**﴾ قال: ﴿**فإذا قال ذلك قال الشيطان حُفِظَ مني سائر اليوم**] [رواه أبو داود بإسناد صحيح. مشكاة المصابيح (٧٤٩) للتبريزي]

وعن أبي حميد قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ **إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي ﷺ ثم ليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك فإذا خرج فليقل اللهم إني أسألك من فضلك**﴾

[مسلم (٧١٣) وزيادة الصلاة على النبي عند أبي داود (٤٤٠) انظر (صحيح أبي داود) (٤٤٠)]

وعن أنس ﷺ قال: ﴿**كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد قال: بسم الله اللهم صلِّ على محمد وإذا خرج قال: بسم الله صلِّ على محمد**﴾

[ابن السني ٨٨) وضعفه ابن حجر. وصححه الألباني في الكلم الطيب) (٥١)]

قال الطيبي: لعل السر في تخصيص الرمة بالدخول والفضل بالخروج أنمن دخل اشتغل بما يزلفه إلى ثوابه وجنته فناسب ذكر الرحمة وإذا خرج اشتغل بابتغاء الرزق الحلال فناسب ذكر الفضل كما قال الله تعالى: ﴿**فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [الجمعة:١٠] [تحفة الأحوذي (٢/٢٥٤)]

١٠- تحية المسجد:

يجب على من دخل المسجد أن يصلي ركعتين قبل أن يجلس.

عن أبي قتادة السلمي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ﴿**إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس**﴾ [رواه البخاري (٤٤٤) ومسلم (٧١٤)]

ومما يدل على الوجوب هاتين الركعتين ما رواه مسلم برقم (٨٧٥) عن جابر بن عبد الله قال: جاء سليك الغطفاني يوم الجمعة ورسول الله ﷺ فجلس، فقال له: ﴿ **يا سليك قم فاركع ركعتين وتجوز فيهما**، ثم قال: **إذا جاء أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطب فليركع ركعتين وليتجوز فيهما**﴾

فأمْر النبي ﷺ سليكا أن يصلي التحية وقت خطبة الإمام علماً أن سماع الخطبة والإنصات لها من واجبات الجمعة فلو كانت التحية مستحبة، فلم يأمره ﷺ أن ينشغل عنها بمستحب وهي تحية المسجد كما يزعم البعض. وتحية المسجد ذوات الأسباب تُفعل حتى أوقات الكراهة.

ولهذا رجح بعض المحققين كالشوكاني في (نيل الأوطار) والشوكاني في (سبل السلام) والإمام الألباني وغيرهم وجوب التحية.

[وهذا ما ذكرته في كتابي (الفقه المختصر من الكتاب والسنة المطهرة) (ص١٠٨- ١١٠)]

١١- الصلاة في مسجد الحي عند قدومه من سفر.

عن كعب بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ﴿**كان لا يقدم من سفر إلا نهارا في الضحى فإذا قدم بدأ بالمسجد فصلى ركعتين ثم جلس فيه**﴾

[رواه مسلم (٧١٦)]

قال الإمام النووي: في هذه الأحاديث استحباب ركعتين للقادم من سفره في المسجد أول قدومه، وهذه الصلاة مقصودة للقدوم من السفر لا أنها تحية المسجد والأحاديث المذكورة صريحة فيما ذكرته.

[شرح صحيح مسلم (٢٣٥/٣)]

١٢- ملازمة المسجد والجلوس فيه.

من لازم المسجد كان من السبعة الذين يظلهم الله تعالى يوم القيامة.

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ﴿ **سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، الإمام العادل وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ورجل تصدق أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمين ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه**﴾ [رواه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١)]

قال النووي- رحمه الله-: ﴿ **ورجل قلبه معلق في المساجد**﴾ معناه شديد الحب لها والملازمة للجماعة فيها وليس معناه دوام القعود في المسجد. [شرح صحيح مسلم (١٢٧/٤)]

١٣- من جلس في المسجد فهو في صلاة مادام ينتظر الصلاة.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : ﴿ **لا يزال أحدكم في صلاة ما دامت تحبسه لا يمنعه أن ينقلب إلى أهله إلا الصلاة** ﴾ [البخاري (٦٥٩) ومسلم (٦٦١٠ ٦٦٢]

قال معاذ: من رأى أن من في المسجد ليس في صلاة إلا من كان قائماً يصلي فإنه لم يفقه. [شرح السنة (٣٥٩/٢) للبغوي]

١٤- صلاة الملائكة على من جلس في المسجد ينتظر الصلاة.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : ﴿ **إن الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مجلسه تقول: اللهم اغفر له اللهم ارحمه ما لم يحدث، وأحدكم في صلاة ما كانت الصلاة تحبسه.** ﴾ وفي رواية لمسلم: قلت ما يحدث؟ قال: يفسو أو يضرط. [صحيح مسلم (٦٦١)، (٦٦٢)]

قال ابن بطال: من أراد أن تحط عنه ذنوبه من غير تعب فليغتنم ملازمة مصلاه بعد الصلاة ليستكثر من دعاء الملائكة واستغفارهم له فهو مرجو إجابته لقوله تعالى: ﴿**وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ** ﴾ [الأنبياء: ٢٨]

قال العيني: وفيه أن الحديث يبطل ذلك ولو استمر جالساً. [عمدة القارىء (٣٩٢/٤)]

١٥- ملازمة المسجد تغسل الخطايا غسلاً.

عن علي بن أبي طالب ﷺ عن النبي ﷺ قال: ﴿ **الوضوء على المكاره وإعمال الأقدام إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة يغسل الخطايا غسلاً**﴾ [ابن ماجه وابن أبي شيبة وغيرهما وهو الترغيب والترهيب (٣٢٢) للمنذري]

١٦- ملازمة حلق العلم في المساجد.

عن أبي واقد الليثي ﷺ أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحد قال فوقفا على رسول الله ﷺ ، فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها وأما الآخر فجلس خلفهم وأما الثالث فأدبر ذاهبا فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: ﴿ **ألا أخبركم عن النفر الثلاثة أما أحدهم فأوى إلى الله فآواه الله وأما الآخر فاستحيى فاستحيى الله منه وأما الآخر فأعرض فأعرض عنه**﴾ [البخاري (٦٦)، مسلم (٢١٧٦)]

قال الحافظ: وفي الحديث فضل ملازمة حلق العلم والذكر وجلوس العالم والمذكِّر في المسجد. [فتح الباري (٣٠٣/١)]

١٧- تنظيف المساجد وتطييبها.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: ﴿**أمر النبي ﷺ ببناء المساجد في الدور وأن تنظف وأن تطيب**﴾ [أبو داود والترمذي]

وعن أبي هريرة ﷺ أن رجلاً أسود أو امرأة سوداء كان يقم المسجد فمات، فسأل النبي عنه فقالوا: مات، قال:﴿**أفلا كنتم آذنتموني له، دلوني على قبره- أو قال قبرها- فأتى قبره فصلى عليه**﴾ [البخاري (٤٥٨) ومسلم (٩٥٦)]

قال الحافظ: وفي الحديث فضل تنظيف المسجد. [فتح الباري) (٣٢٢/٢)]

وقال النووي: يُستحب استحباباً متأكداً كنس المسجد وتنظيفه للأحاديث الصحيحة المشهورة فيه. [شرح صحيح مسلم) (١٩٦/٤)]

وعن أنس ﷺ قال: رأى رسول الله ﷺ نخامة في قبلة المسجد، فغضب حتى احمر وجهه فقامت امرأة من الأنصار فحكتها وجعت مكانها خلوقاً، فقال سول الله ﷺ: ﴿**ما أحسن هذا**﴾ [صحيح النسائي، وصحيح ابن ماجه (٦١٦) للإمام الألباني- رحمه الله-]

١٨- حكم تعدد المساجد في المحلة الواحدة:

قال جلال الدين السيوطي في كتابه: (الأمر بالإتباع والنهي عن الابتداع): ومن تلك المحدثات كثرة المساجد في المحلة الواحدة وذلك لما فيه من تفريق الجمع وتشتيت شمل المصلين وحل عروة الانضمام في العبادة وذهاب رونق وفرة المتعبدين، وتعديد الكلمة واختلاف المشارب ومضادة حكمة مشروعية الجماعات أعني: اتحاد الأصوات على أداء العبادات وعودهم على بعضهم بالمنافع والمعونات والمضارة بالمسجد القديم أو شبهة المضارة أو محبة الشهرة والسمعة وصرف الأموال فيما لا ضرورة فيه.

[إصلاح المساجد (ص٩٦)]

١٩- النهي عن البيع والشراء في المسجد:

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ﴿**إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد فقولوا: لا أربح الله تجارتك وإذا رأيتم من ينشد ضالة فقولوا: لا رد الله عليك.**﴾ [رواه الإمام الترمذي- رحمه الله- وهو صحيح انظر (إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل) (١٢٩٥) للإمام الألباني- رحمه الله -]

قال الإمام الصنعاني- رحمه الله-: فيه دلالة على تحريم البيع والشراء في المساجد وأنه يجب على من رأى ذلك فيه أن يقول لكل من البائع والمشتري لا أربح الله تجارتك يقول جهراً زجراً للفاعل لذلك. [سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام (٢٦٠/١)]

قال الإمام البغوي-رحمه الله-: وروي عن عطاء بن يسار كان إذا مر عليه بعض من يبيع في المسجد قال: عليك بسوق الدنيا فإنما هذا سوق الآخرة. [شرح السنة (٣٧٣/٢)]

عن بريدة ﷺ أن رجلاً نشد في المسجد فقال: من دعاء إلى الجمل الأحمر فقال: ﴿ **النبي ﷺ لا وجدت لهذا إنما بُنيت المساجد لما بُنيت له.**﴾ [مسلم (٥٦٩)]

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسو الله ﷺ : ﴿ **من سمع رجلاً ينشد ضالة في المسجد فليقل لا ردها الله عليك فإن المساجد لم تبن لهذا**﴾

قال الصنعاني-رحمه الله-: والحديث دليل على تحريم السؤال عن ضالة الحيوان في المسجد وهو يلحق به السؤال عن غيرها من المتاع ولو ذهب في المسجد؟

قيل: يلحق للعلة وهي قوله فإن المساجد لم تبن لهذا وأن من ذهب عليه متاع فيه أو في غيره قعد في باب المسجد يسأل الخارجين والداخلين إليه. [سبل السلام (٢٥٩/١)]

قال الإمام النووي -رحمه الله-: ﴿ **إنما بُنيت المساجد لما بُنيت له.**﴾ معناه: لذكر الله تعالى والصلاة والعلم والمذاكرة في الخير ونحوها. [شرح صحيح مسلم (٥٨/٣)]

٢٠- النهي عن أكل الثوم والبصل ونحوهما .

عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: ثم إنكم أيها الناس تأكلون شجرتين لا أراهما إلا خبيثتين هذا البصل والثوم، **لقد رأيت رسول الله ﷺ إذا وجد ريحهما من الرجل في المسجد أمر به فأُخرِج إلى البقيع** فمن أكلهما فليمتهما طبخاً.) [مسلم (٥٦٧)]

قال النووي- رحمه الله-: قال العلماء ويلحق بالثوم والبصل والكراث كل ما له رائحة كريهة من المأكولات وغيرها.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: ﴿**من أكل من هذه البقلة** – الثوم- وقال مرة: **من أكل البصل والثوم والكرَّاث فلا يقْرَبَنَّ مسجدنا فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم**﴾ [مسلم (٥٦٤)]

قال النووي -رحمه الله-: قال العلماء وفي هذا الحديث دليل على منع آكل الثوم ونحوه من دخول المسجد وإن كان خاليا لأنه محل الملائكة ولعموم الأحاديث. [شرح صحيح مسلم (٥٣/٣)]

٢١-النهي عن إقامة الحدود في المسجد.

عن حكيم بن حزام أن النبي ﷺ ﴿ **نهى أن يستقاد بالمسجد وأن تنشد الأشعار وأن تقام فيه الحدود.**﴾ [أحمد وأبو داود وحسّنه الإمام الألباني-رحمه الله- في (الإرواء) (٢٣٢٧)]

قال الإمام الصنعاني-رحمه الله-: والحديث دليل على تحريم إقامة الحدود في المساجد وعلى تحريم الاستقادة فيها. [سبل السلام (١/٢٦٠)]

٢٢-النهي عن إبراز السلاح في المسجد.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: مر رجل في المسجد ومعه سهام فقال له رسول الله ﷺ : ﴿ **أمسك بنصالها**﴾ وفي لفظ من حديث حماد بن زيد عن عمرو: رجلا في المسجد بأسهم قد أبدى نصولها **فأمر أن يأخذ بنصولها كي لا تخدش مسلماً**﴾

[البخاري (٤٥١) ومسلم (٢٦١٤)]

٢٣- النهي عن رفع الصوت في المسجد.

قال الإمام البخاري-رحمه الله-: باب رفع الصوت في المسجد ثم روى بسنده عن السائب بن يزيد قال: كنت قائماً في المسجد فحصبني رجل فنظرت فإذا عمر بن الخطاب فقال: اذهب فاتني بهذين فجئته بهما. قال: من أنتما أو من أين أنتما؟ قالا: من أهل الطائف. قال: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما. ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ . [البخاري (٤٧٠)]

وعن كعب بن مالك أنه تقاضى ابن أبي حدر ديناً له عليه في عهد رسول الله ﷺ في المسجد فارتفعت أصواتهما حتى سمعهما رسول الله ﷺ وهو في بيته فخرج إليهما رسول الله ﷺ حتى كشف سحف حجرته ونادى ﴿ **يا كعب بن مالك**. قال: لبيك يا رسول الله **فأشار بيده أن ضع الشطر من دينك**. قال كعب: قد فعلت يا رسول الله. قال رسول الله ﷺ: **قم فاقضه**.﴾ [البخاري (٤٧١)]

٢٤- الجلوس للتعزية في المسجد:

نقل صاحب الإقناع أن الإمام أحمد -رحمه الله- قال: وما يعجبني أن يقعد أولياء الميت في المسجد يعزون أخشى أن يكون تعظيماً للموت.

٢٥- حكم زخرفة المساجد:

عن أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ قال: ﴿ **لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد**﴾ [رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه وصححه الإمام الألباني-رحمه الله- في (مشكاة المصابيح) رقم (٧١٩).]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : ﴿ **ما أمرت بتشييد المساجد**﴾ [رواه أبو داود وصححه الإمام الألباني في (صحيح أبي داود) رقم (٤٣٢).]

قال الإمام البغوي- رحمه الله-: والمراد من التشييد رفع البناء وتطويله ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿ **فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ** ﴾ [النساء: ٧٨] وهي التي تطول بناؤها. [(شرح السنة) (٣٤٩/٢)]

قال الشوكاني-رحمه الله-: والحديث يدل على أن تشييد المساجد بدعة. [(نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار) (٢١٥/٢)]

وقال الإمام البخاري-رحمه الله-: وأمر عمر ﷺ ببناء المساجد وقال: **أكن الناس من المطر وإياك أن تُحَمِّر أو تُصَفِّر فتفتن الناس.** [فتح الباري شرح صحيح البخاري (٢٩٧/٢)]

قال أبو الدرداء ﷺ: **(إذا زوقتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم)** [(رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١/١٠٠/٢) وعبد الله بن المبارك في الزهد رقم (٧٩٧)]

وقال ابن عباس —رضي الله عنهما-: **(لتزخرفها كما زخرفت اليهود والنصارى)** [(معالم السنن) (٣١٠/١) للخطَّابي.]

قال الإمام البغوي: معناه أن اليهود والنصارى إنما زخرفوا المساجد عندما حرفوا وبدلوا أمر دينهم، وأنتم تصيرون إلى مثل حالهم، وسيصير أمركم إلى المرارات بالمساجد والمباهاة بتشييدها وتزيينها. [(شرح السنة) (٣٥٠/٢).]

قال الحافظ: قال ابن بطال وغيره: هذا ما يدل على أن السنة في بنيان المسجد القصد وترك الغلو في تحسينه فقد كان عمر ﷺ مع كثرة الفتوح في أيامه وسعة المال عنده لم يغير المسجد عما كان عليه وإنما احتاج إلى تجديده لأن جريد النخل كان قد نخر في أيامه ثم كان عثمان ﷺ والمال في زمانه أكثر فحسنه بما لا يقتضي الزخرفة ومع ذلك فقد أنكر بعض الصحابة عليه... وأول من زخرف المساجد الوليد بن عبد الملك بن مروان وذلك في أواخر عصر الصحابة، وسكت كثير من أهل العلم عن إنكار خوفاً من الفتنة. [(فتح الباري) (٢/٣٠٠)]

قال الصنعاني: والحديث- يعني حديث ابن عباس- ظاهر في الكراهة أو التحريم لقول ابن عباس كما زخرفت اليهود والنصارى فإن التشبه بهم محرّم وذلك أنه ليس المقصود من بناء المساجد إلا أن تكن الناس من الحر والبرد وتزيينا يشغل القلوب عن الخشوع الذي هو روح جسم العبادة. [(سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام) (١/٢٦٥)]

وقال الصنعاني: قال المهدي في البحر: إن تزيين الحرمين لم يكن برأي ذي حل وعقد ولا سكوت رضي أي من العلماء وإنما فعله أهل الدول الجبابرة من غير مؤاذنة من أهل الفضل وسكت المسلمون والعلماء من غير رضى. قال الصنعاني: وهو كلام حسن. [(سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام) (٢١/٢٦٥)].

عند وضع الأعمدة وهي السواري الأخذ في الاعتبار مراعات الصفوص.

ينبغي أن يرعي عند بناء المساجد أن لا تكون السواري سبباً في قطع صفوف المصلين كما هو مشاهد في كثير من المساجد.

وقد كان الصحابة ﷺ يتقون الصلاة بين السواري. فعن عبد الحميد بن محمود قال: صليت مع أنس يوم الجمعة (**خلف أمير من الأمراء**) **فدفعنا إلى السواري فتقدمنا وتأخرنا، فقال أنس: كنا نتقي هذا على عهد رسول الله** ﷺ .) [رواه أبو داود واللفظ له والترمذي والزيادة بين المعكوفين له وصححه الإمام الألباني في (صحيح أبي داود) رقم (٦٢٥)]

وعن معاوية بن قرة عن أبيه قال: ﴿ **كنا ننهى أن نصفَّ بين السواري على عهد رسول الله** ﷺ **ونطرد عنها طرداً**﴾ [رواه ابن ماجه وابن خزيمة واللفظ لابن ماجه- في (التحفة): روى سعيد بن منصور في سننه النهي عن ذلك عن ابن مسعود وابن عباس قال ابن سيد الناس: ولا يعرف لهم مخالف من الصحابة. [(تحفة الأحوذي) (٢١/٢) للإمام الحافظ أبي العُلا محمّد بن عبد الرَّحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (ت-١٣٥٣هـ) بشرح جامع الترمذي- خرَّج أحاديثه/ عصام الصبابطي- دار الحديث- القاهرة.]

٢٦- موضع المدافئ والمجامر في المساجد:

ينبغي أن توضع المدافئ في المساجد خلف المصلين، ولا توضع في قبلة المصلين، حتى لا يستقبلوا بصلاتهم النار استقبالاً فقد كان السلف يكرهون الصلاة إلى ما عبد من دون الله ﷻ؛ فقد أخرج ابن أبي شيبة عن ابن سيرين أنه كره الصلاة إلى التنور. [(فتح الباري) (٢٧٩/٢).]

٢٧- استحباب جعل باب خاص بالنساء:

من هديه ﷺ أن يخصص للنساء باب يدخلن منه ويخرجن منه، فعن ابن عمر –رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : ﴿ **لو تركنا هذا الباب للنساء.** ﴾ قال نافع: فلم يدخل منه ابن عمر حتى مات. [رواه البخاري (٣٩٤) ومسلم (٢٦٤)]

٢٨- تسمية المساجد:

لا بأس بتسمية المساجد قال الإمام البخاري: باب هل يقال مسجد بني فلان ثم روى بسنده المتصل عن عبد الله بن عمر–رضي الله عنهما– ﴿**أن رسول الله ﷺ سابق الخيل التي لم تضمر من الثنية إلى مسجد بني زريق**﴾ [البخاري (٤٢٠)]

قال الحافظ في (الفتح): يستفاد منه جواز إضافة المساجد إلى بانيها أو المصلي فيها.

[(فتح الباري شرح صحيح البخاري) (٢٥٨/١)]

٢٩-إقامة حلق العلم في المساجد.

عن أبي واقد الليثي ﷺ أن رسول الله ﷺبينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحد قال فوقفا على رسول الله ﷺ، فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها وأما الآخر فجلس خلفهم وأما الثالث فأدبر ذاهبا فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: ﴿ **ألا أخبركم عن النفر الثلاثة أما أحدهم فأوى إلى الله فآوه الله، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه وأما الآخر فأعرض فأعرض عنه**﴾

[البخاري (٦٦) ومسلم (٢١٧٦)]

وقوله ﷺ : ﴿ **فأوى إلى الله فآوه الله** ﴾ فهذا الداخل إنما أوى أي أدخل نفسه من ضمن الجالسين إلى حلقة العلم، فأخبر النبي ﷺ أنه أوى إلى الله- وهو عَلَم من أعلام النبوة-.

فدل ذلك على أن المرء إذا حرص على مجالس العلم وأوى إليها فإنما يأوي إلى الرؤوف الرحيم سبحانه وتعالى، فما أعظمها من فضيلة لو كنا نعلم منزلتها وفضلها عند الله سبحانه وتعالى.

نسأل الله العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

فضل التفقه في الدين

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحابته والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن التفقه في الدين من أفضل الأعمال ، وعلامة الخير : قال ﷺ : ((**من يرد الله به خيراً ؛ يُفقِّهْه في الدين**)) [رواه أحمد والبخاري ومسلم من حديث معاوية بن الحكم رضي الله تعالى عنه]وذلك لأن التفقه في الدين يحصل به العلم النافع الذي يقوم عليه العمل الصالح . قال تعالى : ((**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً**)) [الفتح:٢٨]

فالهدى هو العلم النافع، ودين الحق هو العمل الصالح.

وقد أمر الله سبحانه ﷻ أن يسأله الزيادة من العلم : قال تعالى : ((**وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً**)) [طه:١١٤]

قال الحافظ ابن حجر : وهذا واضح الدلالة في فضل العلم ؛ لأن الله لم يأمر نبيه ﷺ بطلب الإزدياد من شيء ؛ إلا من العلم ، وقد سمى النبي ﷺ المجالس التي يتعلم فيها العلم النافع بـ(رياض الجة) وأخبر أن العلماء هم ورثة الأنبياء ، ولا شك أن الإنسان قبل أن يُقدم على أداء عمل ما ، لا بد أن يعرف الطريقة التي يؤدي بها ذلك العمل على وجهه الصحيح ، حتى يكون هذا العمل صحيحاً ، مؤدياً لنتيجة التي ترجى من ورائه ؛ فكيف يقدم الإنسان على عبادة ربه التي تتوقف عليها نجاته من النار ودخوله الجنة ؛ كيف يُقدم على ذلك بدون علم ؟

ومن ثم افترق الناس بالنسبة للعلم والعمل ثلاث فرق :

الفريق الأول: الذين جمعوا بين العلم النافع والعمل الصالح ، وهؤلاء قد هداهم الله صراط المنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً.

الفريق الثاني: الذين تعلموا العلم النافع ولم يعملوا به ، وهؤلاء هم المغضوب عليهم من اليهود ومن نحا نحوهم.

الفريق الثالث: الذين يعملون بلا علم ، وهؤلاء هم أهل الضلال من النصارى ومن نحا نحوهم. ويشمل هذه الفرق الثلاث قوله تعالى في سورة الفاتحة التي نقرؤها في كل ركعة من صلواتنا : ((**اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ {٦} صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ {٧}**)) [الفاتحة:٦-٧]

ثم اعلم أخي الكريم أن العلم النافع إنما يُستمد من الكتاب والسنة ؛ تفهماً وتدبراً، مع الاستعانة على ذلك بالمدرسين الناصحين وكتب التفسير وشروح الحديث وكتب الفقه وكتب النحو واللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم ، فإن هذه الكتب طريق لفهم الكتاب والسنة .فواجب عليك يا أخي المسلم وأختي المسلمة – ليكون عملكما صحيحاً – أن تتعلموا ما يستقيم به دينكم ، من صلاة وصوم وحج وزكاة ، وغيرها من العبادات التي لا بد من تعلمها .فاحرصوا على قراءة الكتب النافعة ، واتصلوا بالعلماء ؛ لتسألوهم عما اشكل عليكم ، وتتلقوا عنهم أحكام دينكم ، وكذلك حافظوا على الحضور لندوات والمحاضرات الدينية التي تُقام في المساجد والمراكز التعليمية وغيرها ، والاستماع إلى البرامج الدينية عبر القنوات الإذاعية المسموعة والمرئية المنضبطة بالضوابط الشرعية ، وقراءة المجلات الدينية والنشرات التي تُعنى بمسائل الدين ، فإذا حرصتم وتتبعتم هذه الروافد الخيرية ؛ نمت معلوماتكم، واستنارات بصيرتكم ، ولا ننسى أخوتي في الله أن العلم ينمو ويزكو مع العمل ، فإذا عملت بما علمت ؛ زادك الله علماً ؛ كما تقول الحكمة المأثورة : (**من عمل بما علم ؛ أورثه الله علم ما لم يعلم**)، ويشهد لذلك قوله تعالى : ((**وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ**

بِكُلِّ شَـــيْءٍ عَلِيمٌ)) [البقرة:٢٨٢] والعلم أحق ما تصـــرف فيه الأوقات، ويتنافس في نيله ذوو العقول، فبه تحيا القلوب وتزكو الأعمال.

ولقد أثنى الله جل ذكره وتقدست أسماؤه على العلماء العاملين، ورفع من شأنهم في كتابه المبيين ، قال تعالى: ((**قُلْ هَلْ يَسْـــتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ**)) [الزمر:٩]

ونحن عملاً بواجب التعاون بين المسـلمين وعملاً بقوله تعالى: ((**وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَـــدِيدُ الْعِقَابِ**)) [المائدة: ٢] [الملخص الفقهي]

العقيدة:

أركان الإيمان ستة

في حديث جبريل الطويل: قال أخبرني عن الإيمان ، قال ﷺ ((**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورســـله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشـــره**))[رواه مسلم من حديث عمر بن الخطاب ﷺ]

١- الإيمان بالله يتضمن أربعة أمور :

الأول : الإيمان بوجود الله تعالى :

الثاني : الإيمان بربوبيته :

الثالث : الإيمان بألوهيته :

الرابع : الايمان بإسمائه وصفاته ٠

الأول: الإيمان بوجود الله تعالى.

وقد دل على وجوده تعالى: **الفطرة ، والعقل ، والشرع ، والحس.**

– دلالة الفطرة على وجود الله تعالى: فإن كل مخلوق قد فُطِرَ على الإيمان بخالقه من غير سبق تفكير أو تعليم، ولا ينصرف عن مقتضى هذه الفطرة إلا من طرأ على قلبه ما يصرفه عنها لقول النبي ﷺ **((ما منْ مولودٍ إلاَّ يولدُ على الفطرةِ ، فأبواهُ يهودانه أو ينصِّرانه أو يمجسانه))** [رواه البخاري ومسلم]

– دلالة العقل على وجود الله : فلأن هذه المخلوقات سابقها ولا حقها لا بد لها من خالق أوجدها إذ لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها لأن الشيء لا يخلق نفسه ، لأنه قبل وجوده معدوم فكيف يكون خالقاً. لأن كل محدث لا بد له من محدث ٠ وإذا لم يمكنْ أنْ توجدَ هذه المخلوقات نفسها بنفسها، ولا أنْ تُوجَدَ صدفة تعيَّنَ أن يكون لها موجد وهو الله رب العالمين ٠ وقد ذكر الله هذه الدليل العقلي والبرهان القطعي **((أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ {٣٥} أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ {٣٦}))**[الطور:٣٥-٣٦]

– دلالة الشرع على وجود الله: أن الكتب السماوية كلها تنطقُ بذلك، وما جاءت به من الأحكام المتضمنة لمصالح الخلق دليلٌ على أنها من رب حكيم عليم بمصالح خلقه، وما جاءت به من الأخبار الكونية التي شهد الواقع بصدقها دليلٌ على أنها من رب قادر على إيجاد ما أخبر به.

- **أدلة الحس على وجود الله فمن وجهين :**

أحدهما : أننا نسمعُ ونشاهدُ من إجابة الداعين ، وغوث المكروبين ، ما يدلُ دلالة قاطعةً على وجود الله تعالى : ((**وَنُوحاً إِذْ نَادَى مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ {٧٦}**)) [الأنبياء:٧٦]

وقال تعالى : ((**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ {٩}**)) [الأنفال:٩]

وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك ﷺ قال : (إن أعرابياً دخلَ يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطبُ ، فقال : يا رسول الله ، هلك المال ، وجاع العيال ، فادعُ الله لنا ، فرفع يديه ودعا فثار السحاب أمثال الجبال فلم ينزلُ عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته . وفي الجمعة الثانية قام ذلك الأعرابي أو غيره فقال : يا رسول الله ، تهدم البناء ، وغرق المال ، فادع الله لنا ، فرفع يديه وقال : ((**اللهم حوَلْينَا ولا عَلَيْنا ، فما يُشيرُ إلى ناحية إلا انفرجت**))[البخاري ومسلم]

وما زالت إجابة الداعين أمراً مشهوداً إلى يومنا هذا لمن صدق اللجوء إلى الله تعالى وأتى بشرائط الإجابة

الوجه الثاني : أن(آيات الأنبياء) التي تُسمى (المعجزات) ويشاهدها الناس ، أو يسمعون بها ، برهان قاطع على وجود مرسلهم ، وهو الله تعالى ، لأنها أمور خارجة عن نطاق البشر، يجريها الله تعالى تأييداً لرسله ونصراً لهم.

مثال ذلك **آية موسى** ﷺ حين أمره الله تعالى أن ضرْبْ بعصاه البحر فضربه فانفلق اثنى عشر طريقاً يابساً، والماء بينهما كالجبال، قال تعالى: ((**فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ {٦٣}**)) [الشعراء:٦٣]

آية عيسى ﷺ حيث كان يحيي الموتى، ويخرجهم من قبورهم بإذن الله، قال تعالى عنه: ((**وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوتَى بِإِذْنِي**)) [المائدة:١١٠]

ومثال ثالث لمحمد ((حين طلبت قريش آية، فأشار إلى القمر فانفلق فرقتين فرآه الناس، وفي ذلك قوله تعالى: ((**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ {١} وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ {٢}**)) [القمر:١-٢]

الأول: الإيمان بربوبيته: أي بأنه وحده الرب لا شريك له ولا معين.

والرب: من له الخلق، والملك، والأمر، فلا خالق إلا الله، ولا مالك إلا هو، ولا أمر إلا له، قال تعالى: ((**أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**)) [الأعراف:٥٤]

الثاني: الإيمان بألوهيته:

أي (بأنه وحده الإله الحق لا شـــريك له و(الإله) بمعنى (المألوه) أي (المعبود) حباً وتعظيماً، وقال تعالى: ((**وَإِلَـهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ**)) [البقرة: ١٦٣] وكل ما اتخذ إلهاً مع الله يُعبد من دونه فألوهيته باطلة ، قال تعالى : ((**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ**)) [الحج: ٦٣]

الثالث : الإيمان بإسمائه وصفاته :

أي إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه، أو سنة رسوله ﷺ من الأسماء والصفات على الوجه اللائق به من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، قال الله تعالى: ((**وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْـنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَـيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**)) [الأعراف:١٨] وقال تعالى:((**وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**)) [الروم:٢٧]

وقال تعالى: ((**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**)) [الشورى:١١]

والايمان بالله تعالى على ما وصفنا يثمر للمؤمنين ثمرات جليلة منها:

الأولى: تحقيق توحيد الله تعالى بحيث لا يتعلقُ بغيره رجاء، ولا خوف، ولا يعبد غيره.

الثانية: كمال محبة الله تعالى، وتعظيمه بمقتضى أسمائه الحسنى وصفاته العليا.

الثالثة : تحقيق عبادته بفعل ما أمر به ، واجتناب ما نهى عنه.

٢- الإيمان بالملائكة :

عالم غيبي مخلوقون ، عابدون لله تعالى ، وليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء ، خلقهم الله تعالى من نور ، ومنحهم الانقياد التام لأمره ، والقوة على تنفيذه . قال تعالى : **((وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ {١٩} يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ))** [الأنبياء:١٩-٢٠]

وهم عدد كثير لا يحصيهم إلا الله تعالى، وقد ثبت في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه في قصة المعراج أن النبي ﷺ رُفِعَ له البيت المعمور في السماء يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودُوا إليه آخر ما عليهم.

والإيمان بالملائكة يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بوجودهم.

الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم (كجبريل) ومن لم نعلم اسمه نؤمن به إجمالاً.

الثالث: الإيمان بما علمنا من صفاتهم، كصفة (جبريل) فقد أخبر النبي ﷺ أنه رآه على صفتهِ التي خُلِقَ عليها وله ستمائة جناح قد سد الأفق. [البخاري ومسلم]

وقد يتحول الملك بأمر الله تعالى إلى هيئة رجل، كما حصـــل (لجبريل) حين أرســله تعالى إلى مريم قال تعالى: ((**فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَـلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَـراً سَـوِيّاً**))[مريم:١٧] وحين جاء إلى النبي ﷺ وهو جالس في أصحابه جاءه بصفة رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر.

الرابع: الإيمان بما علمنا من أعملهم التي يقومون بها بأمر الله تعالى، كتسبيحه، والتعبد له ليلاً ونهاراً بدون ملل ولا فتور.

وقد يكون لبعضهم أعمال خاصة

مثل جبريل الأمين: على وحي الله تعالى يرسله به إلى الأنبياء والرسل.

ميكائيل: الموكل بالمطر أي بالمطر والنبات.

إسرافيل: الموكل بالنفخ في الصور عند قيام الساعة وبعث الخلق.

ملك الموت: الموكل بقبض الأرواح عند الموت.

مالك: الموكل بالنار وهو خازن النار.

الملائكة الموكلين بالأجنة في الأرحام: ففي الحديث: ((**ثم يُرســـل إليه الملَك فيُنفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشـــقيٌ أو سعيد**)) [رواه البخاري ومسلم]

الملائكة الموكلين بحفظ أعمال بني آدم وكتابتها لكل شـــخص، ملكان: أحدهما عن اليمين والثاني عن الشمال.

الملائكة الموكلين بسؤال الميت إذا وضع في قبره يأتيه ملكان يسألانه عن ربه، ودينه، ونبيه. [رواه الإمام أحمد من حديث البراء بن عازب]

والإيمان بالملائكة يثمر ثمرات جليلة منها:

الأولى: العلم بعظمة الله تعالى، وقوته، وسلطانه، فإنه عظمة المخلوق من عظمة الخالق.

الثانية: شكر الله تعالى على عنايته ببني آدم، حيث وكلَّ من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم، وكتابة أعمالهم، وغير ذلك من مصالحهم.

الثالثة: محبة الملائكة على ما قاموا به من عبادة الله تعالى.

٣- الإيمان بالكُتُب

الكُتُب : جمع (كتاب) بمعنى (مكتوب)

والمراد به هنا : الكتب التي أنزلها الله جل وعلا ؛ على رســـله رحمة للخلق وهداية لهم ، ليصلوا بها إلى سعادتهم في الدنيا والآخرة .

والإيمان بالكتُب يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بأن نزولها من عند الله حقاً.

الثاني: الإيمان بما علمنا اسمه منها باسمه: كالقرآن الذي نزل على محمد ﷺ.

(**والتوراة**) التي أنزلت على موسى ﷺ و(**الإنجيل**) الذي أنزل على عيسى ﷺ و(**الزبور**) الذي أوتيه داود ﷺ وأما ما نعلم اسمه فنؤمن به إجمالاً.

الثالث: تصديق ما صح من أخبارها، كأخبار القرآن، وأخبار مالم يبدل أو يحرَّف من الكُتب السابقة.

الرابع: العمل بأحكام ما لم يُنسخ منها، والرضا والتسليم به سواء فهمنا حكمته أم لم نفهمها، وجميع الكتب السابقة منسوخة بالقرآن العظيم قال تعالى: ((**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ**)) [المائدة:٤٨] أي (حاكماً عليه) وعلى هذا فلا يجوز العمل بأي حكم من أحكام الكتب السابقة إلا ما صح منها وأقره القرآن .

والإيمان بالكتب يثمر ثمرات جليلة منها:

الأولى: العلم بعناية الله تعالى بعباده حيث أنزل لكل قوم كتاباً يهديهم به

الثانية: العلم بحكمة الله تعالى في شرعه حيث شرَّع لكل قوم ما يناسب أحوالهم. قال تعالى: ((**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً**)) [المائدة:٤٨]

الثالثة: شكر نعمة الله في ذلك.

٤- الإيمان بالرسل:

الرسل جمع (رسول) بمعنى (مرسَل) أي (مبعوث) بإبلاغ شيء.

والمراد هنا: من أوحي إليه من البشر بشرع وأُمر بتبليغه .

وأول الرسل نوح، وآخرهم محمد ﷺ، قال تعالى: ((**إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً**))

[النساء:١٦٣]

وفي السنة – عن أنس بن مالك ﷺ في حديث الشفاعة أنَّ النبي ﷺ ((**ذكر أنَّ الناس يأتون إلى آدم ليشفع لهم فيعتذر إليهم ويقول: أئتوا نوحاً أول رسول بعثه الله**))وذكر تمام الحديث [رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم]

والرسل بشر مخلوقين ليس لهم خصائص الربوبية والألوهية شيء، قال الله تعالى عن نبيه محمد ﷺ وهو سيد الرسل وأعظمهم جاهاً عند الله قال تعالى: ((قل **لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**))

[الأعراف:١٨٨]

وتلحقهم خصائص البشرية من مرض، والموت، والحاجة إلى الطعام والشراب، وغير ذلك، قال تعالى عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام في وصفه لربه تعالى: ((**وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ {٧٩} وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ {٨٠} وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ**)) [الشعراء: ٧٩- ٨١]

في الســـنة المطهرة قال النبي ﷺ : ((**إنما أنا بشـــرٌ أنس كما تنســـون ...**)) **الحديث**)) [رواه الإمام أحمد وابن ماجه من حديث ابن مسعودﷺ بسند صحيح]

الإيمان بالرسل يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بأن رســالتهم حقٌ من الله تعالى: فمن كفر برســالة واحد منهم فقد كفر بالجميع ، قال تعالى: ((**كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ**))

[الشعراء: ١٠٥]

فجعلهم الله مكذبين لجميع الرســل، مع أنه لم يكن رســول غيره حين كذبوه، وعلى هذا فالنصارى الذين كذَبوا محمداً ﷺ ولم يتبعوه هم مكذِّبون للمسيح بن مريم غير متبعين له.

الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم مثل محمد وإبراهيم وموســى، وعيســى ، ونوح (عليه الصلاة والسلام) وهؤلاء الخمسة هو ألو العزم من الرسل ، وقد ذكرهم الله تعالى في موضـــعين في قوله : ((**وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَـــى وَعِيسَـــى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً**)) [الأحزاب: ٧]

وفي سورة الشورى في قوله تعالى: ((**شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ**)) [الشورى:١٣] وأما من لم نعلم اسمه منهم فنؤمن به إجمالاً قال تعالى : ((**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ**)) [الأعراف:٧٨]

الثالث: تصديق ما صحَّ عنهم من أخبارهم.

الرابع: العمل بشريعة من أرسل إلينا منهم، وهو خاتمهم محمد ﷺ المرسل إلى جميع الناس قال تعالى: ((**فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً**)) [النساء:٦٥]

الإيمان بالرسل له ثمرات:

الأولى: العلم برحمة الله تعالى وعنايته بعباده حيث أرسل إليهم الرسل ليهدوهم إلى صراط لله تعالى، وبينوا لهم كيف يعبدون الله، لأن العقل البشري لا يستقل بمعرفة ذلك.

الثانية: شكره تعالى على هذه النعمة الكبرى.

الثالثة: محبة الرسل عليهم الصلاة والسلام وتعظيمهم، والثناء عليهم، لأنهم رسل الله تعالى، ولأنهم قاموا بعبادته، وتبليغ رسالته، والنصح لعباده.

٥- الإيمان باليوم الآخر :

اليوم الآخر: يوم القيامة الذي يُبْعَثُ الناس فيه للحساب والجزاء.

وسُمّي بذلك لأنه لا يوم بعده، حيث يستقرُ أهل الجنة في منازلهم.

والإيمان باليوم الآخر يتضمن ثلاثة أمور:

الأول: الإيمان بالبعث: وهو إحياء الموتى حين يُنفخُ في الصور النفخة الثانية، فيقوم الناس لرب العالمين، حفاة غير منتعلين، عُراةً غير مستترين، غُرلاً غير مختنين، قال تعالى: ((**كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ**))

[الأنبياء:١٠٤]

والبعث: حقٌ ثابت دلَّ عليه الكتاب، والسنة، وإجماع المسلمين. قال تعالى: ((**ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ {١٥} ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ**))[المؤمنون:١٥-١٦]

قال النبي ﷺ : ((**يُحشر الناس يوم القيمة حُفاةً، عُراةً، غرلاً، الأمرُ أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض**)) [رواه مسلم وغيره] أجمع المسلمون على ثبوته، وهو مقتضى الحكمة حيث تقتضي أن يجلَ الله تعالى لهذه الخليفة معاداً يجازيهم فيه على ما كلَّفهم به على ألسنة رسله.

الثاني : الإيمان بالحساب والجزاء : يُحاسب الإنسان على عمله ، ويجازى عليه ، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة ، وإجماع المسلمون. قال تعالى : ((**إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ {٢٥} ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ**)) [الغاشية: ٢٥-٢٦]

عن ابن عمر رضي الله عنهما – أن النبي ﷺ قال: ((**إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره ، فيقول : أتعرف ذنب كذا ؟ أتعرف ذنب كذا ؟ فيقول: نعم أي رب حتى إذا قَّرره بذنوبه ، ورأى أنه قد هلك قال: قد سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيُعطى كتاب حسناته، وأمَّا الكفار والمنافقون فينادي بهم على رؤوس الخلائق هؤلاء الذين كَذبو على ربهم ، ألا لعنةُ الله على الظَّالمين**))[متفقٌ عليه البخاري ومسلم]

الثالث: الإيمان بالجنة والنار: وأنهما المآل الأبدي للخلق.

فالجنة دار النعيم التي أعدها الله تعالى للمؤمنين المتقين. وأما النار فهي دار العذاب التي أعدَّها الله تعالى للكافرين الظالمين ، الذين كفروا به وعصوا رسله، فيها من أنواع العذاب ، والنكال ما لا يخطر على البال . قال تعالى : ((**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ {٦} إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ {٧} جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ**)) [البيّنة: ٦-٧]

ويلتحق بالإيمان باليوم الآخر الإيمان بكل ما يكون بعد الموت مثل: فتنة القبر، عذاب القبر ونعيمه.

الإيمان باليوم الآخر له ثمرات جليلة منها:

الأولى: الرغبة في فعل الطاعة والحرص عليها رجاء لثواب ذلك اليوم.

الثانية: الرهبة من فعل المعصية والرضى بها خوفاً من عقاب ذلك اليوم.

الثالثة: تسلية المؤمن عما يفوته من الدنيا بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها.

٦- الإيمان بالقدَر

(القدَر) بفتح الدال : تقدير الله تعالى للكائنات ، حسبما سبق به علمه واقتضتهُ حكمته .

والإيمان بالقدر يتضمن أربعة أمور :

الأول : الإيمان بأن الله تعالى علم بكل شيء جملةً وتفصيلاً ، أزلاً وأبداً ، سواء ذلك مما يتعلقُ بأفعاله أو بأفعال عباده .

الثاني: الإيمان بأن الله كتب ذلك في اللوح المحفوظ، وفي هذين الأمرين يقول الله تعالى: ((**أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاء وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ**)) [الحج:٧٠]

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة**)) [رواه مسلم]

الثالث : الإيمان بأن جميع الكائنات لا تكون إلا بمشيئة الله تعالى ، سواء كانت مما يتعلق بفعله أم مما يتعلق بفعل المخلوقين ، قال الله تعالى :

((**هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**)) [آل عمران:٦]

الرابع: الإيمان بأن جميع الكائنات مخلوقة لله تعالى بذواتها وصفاتها، وحركاتها، قال تعالى: ((**اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ**)) [الزمر:٦٢]

الإيمان بالقدر له ثمرات منها: الأولى: الاعتماد على الله تعالى، عند فعل الأسباب بحيث لا يعتمدُ على السبب نفسه لأن كل شيء بقدر الله تعالى.**الثانية**: أن لا يعجب المرء بنفسه عند حصول مراده، لأن حصوله نعمة من الله تعالى، بما قدره من أسباب الخير، والنجاح، وإعجابه بنفسه ينسيه شكر هذه النعمة.**الثالثة**: الطمأنينة، والراحة النفسية بما يجرى عليه من أقدار الله تعالى فلا يقلقُ بفوات محبوب، أو حصول مكروه، لأن ذلك بقدر الله الذي له ملك السماوات والأرض وهو كائن لا محالة وفي ذلك يقول الله تعالى: ((**مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ {٢٢} لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**)) [الحديد: ٢٢-٢٣]

ثانياً: علوم القرآن الكريم:

تعريف القرآن الكريم:

القرآن: هو كلام الله، المنزَّل على محمد صلى الله عليه وسلم ، المتعبد بتلاوته.

وتُفيد المنزَّل بكونه على محمد ، يخرج ما أُنزِلَ على الأنبياء قبله كالتوراة والإنجيل، وغيرها.

المتعبَد بتلاواته ؛ يخرج قراءات الآحاد ، والأحاديث القدسية ، إن قلنا إنها منزلة من عند الله بألفاظها. لأنه التعبد بتلاوته معناه الأمر بقراءته في الصلاة وغيرها على وجه العبادة .

وليست قراءة الآحاد والأحاديث القدسية كذلك .

التعريف بعلم القرآن وبيان نشأته وتطوره

- القرآن الكريم هو معجزة الإسلام الخالدة التي لا يزيدها التقدم العلمي إلا رسوخاً في الإعجاز

- أنزله الله على رسولنا محمد ﷺ ، ليُخرج الناس من الظلمات إلى النور، ويهديهم إلى الصراط المستقيم.

- كان الرسول ﷺ يُبلِّغه لصحابته؛ وهم عربٌ خُلَّص، فيفهمونه بسليقتهم.

- إذا التبس عليه آية من الآيات سألوا رسول الله ﷺ عنها لما نزلت هذه الآية :((**الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ**))

[الأنعام:٨٢]

شق ذلك على الناس، فقالوا: يا رسول الله، وأينا لا يظلم نفسه ؟ قال: ((**إنه ليس الذي تعنون ، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: (إن الشرك لظلمٌ عظيم) إنما هو الشرك**))[رواه البخاري ومسلم وغيرهما من حديث عبد الله بن مسعودﷺ]

* وكان رسول الله ﷺ يُفّسِر لهم بعض الآيات – عن عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر ((**وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ)) ألا إن القوة الرمي**))[رواه مسلم وغيره]

* حرص الصحابة على تلقي القرآن الكريم من رسول الله ﷺ وحفظه وفهمه، وكان ذذلك شرفاً لهم . عن أنس رضي الله عنه قال : **كان الرجل منا إذا قرأ البقرة وآل عمرآن جدَّ فينا : أي عظُمَ** . [رواه الإمام أحمد في المسند]

* وكان الصحابة رضي الله عنهم يحرصون على العمل به والوقوف عند أحكامه – عن أبي عبد الرحمن السلمي أنه قال: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن، كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: تعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً. [أخرجه عبد الرزاق ما في معناه عن معمر عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمي. وأخرجه ابن جرير في مقدمة تفسيره عن عطاء بن ابي عبد الرحمن وصححه أحمد شاكر، فإن أبا عبد الرحمن تابعي لا يُحدِّث إلا عن الصحابة.]

* وفي أول الأمر لم يأذن لهم ﷺ إلا بكتابة القرآن الكريم خشية الالتباس بين القرآن والحديث – عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: ((**لا تكتبو عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه، وحدِّثوا عني ولا حرج ، ومن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**)) [رواه مسلم]

ثم بعد ذلك أذن لبعض الصحابة في كتابة الحديث، فإن ما بالقرآن ظلَّ يعتمد على الرواية بالتلقين في عهد رسول الله ﷺ، وفي خلافة أبي بكر وعمر رضي عنهما.

لكن أول جمع للقرآن في **عهد أبي بكر الصديق** رضي الله عنه بعد معركة اليمامة. وفي خلافة عثمان، جمع المسلمون القرآن على مصحف واحد، وأرسلت نسخ منه إلى الأمصار، وسميت كتابته بالرسم العثماني نسبةً إليه ٠ وهي بداية العلم رسم القرآن

* **في خلافة علي بن أبي طالب**، وضع قواعد النحو صيانة لسلامة النطق.

وضع النحو أبو الأسود الدؤلي [أبو الأسود الدؤلي، ويقال: الديلي: العلاَّمة الفاضل، قاضي البصرة. واسمه ظالم بن عمرو على الأشهر . ولد عام النبوة ولد عام النبوة ٠وحدَّثَ عن عمر، وعليّ، وأبي بن كعب، وأبي ذرٍّ، وعبد الله بن مسعود، والزبير بن العوَّام، وطائفة وحدثَّ عنه ابنه، ويحيى بن يَعْمَر، وابن بُريدة، وعُمر مولى غُفْرة، وآخرون. قال أحمد العجلي: ثقةٌ، كان أوَّلَ من تكلم في النحو. قال محمد بن سلاَّم الجُمحي: أبو الأسود هو أوَّلَ من وضع باب الفاعلِ والمفعول والمضاف، وحرف الرفع والنصب والجر والجزْم، فأخذ ذلك عن يحيى بن يَعْمَرَ ٠ انظر (سير أعلام النبلاء)(٨٢/٤) لذهبي ٠]

ضبطاً للقرآن الكريم وأُعتبرَ هذا بداية —

(علم إعراب القرآن) استمر الصحابة يتناقلون معاني لقرآن الكريم وتفسير بعض آياته على تفاوت قدرتهم على الفهم، وتفاوت ملازمتهم لرسول الله ﷺ وتناقل عنهم ذلك تلاميذهم من التابعين.

*** من أشهر المفسرين من الصحابة:**

١- الخلفاء الرشدين.

٢- عبد الله بن مسـعود، وعبد الله بن عباس، وأُبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير.

وما روي عنهم لا يتضـمن تفسـيراً كاملاً للقرآن، وإنما يقتصـر على معاني بعض الآيات، بتفسير غامضها، وتوضيح مجملها.

*** التابعون.**

اشتهر منهم جماعة، أخذوا عن الصحابة، واجتهدوا في تفسير بعض الآيات.

*** تلاميذ عبد الله بن عباس بمكة المكرمة:**

١- سعيد بن جبير.

٢- مجاهد.

٣- عكرمة مولى ابن عباس.

٤-طاوس بن كيسان اليماني.

٥-جابر بن زيد أبو الشعثاء

*** تلاميذ أُبيَّ بن كعب بالمدينة.**

١- زيد بن أسلم

٢- وأبو العالية ، البراء بن عازب

٣- محمد بن كعب القرضي.

*** تلاميذ عبد الله بن مسعود بالعراق.**

١- علقمة بن قيس.

٢- مسروق.

٣- الأسود بن زيد.

٤- عامر الشعبي.

٥- الحسن البصري.

٦- قتادة بن دعامة السدوسي.

* **الذين روا عن الصحابة والتابعين يتناول:**

١- علم التفسير.
٢- علم غريب القرآن.
٣- علم أسباب النزول.
٤- علم المكي والمدني .
٥- علم الناسخ والمنسوخ .

* **عصر التدوين في القرن (الثاني الهجري)**

أشهر المفسرين:

١- يزيد بن هاورن (ت ١١٧هجرية)
٢- شعبة بن الحجاج (ت١٦٠ هجرية)
٣- وكيع بن الجرَّح (ت١٩٧خجرية)
٤- سفيان بن عيينة (ت ١٩٨هجرية)
٥- عبد الرزاق بن همام (ت ٢١١هجري)

وهولاء من أئمة الحديث. فكان جمعهم للتفسير جمعاً للباب من أبوابه، ولم يصلنا من تفاسيرهم شيء مكتوب.

ثم نهج نهجهم بعد ذلك جماعة من العلماء وضعوا تفسيراً متكاملاً للقرآن وفق ترتيب آياته. منهم ابن جرير الطبري المتوفى (٣١٠هجرية).

*** التأليف الموضـوعي في موضـوعات تتصـل بالقرآن ولا يُسـتغنى عنها من علماء القرن الثالث الهجري ؛ فألف :**

١- علي بن المديني شيخ البخاري (ت٢٣٤هـ) أسباب النزول.

٢- أبو عبيدة القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ) الناسخ والمنسوخ، وفي القراءت

٣- ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) مشكل القرآن.

من علماء القرن الرابع الهجري :

١-محمد بن خلف بن المرزبان (ت٣٠٩هـ) الحاوي في علوم القرآن

٢-أبو بكرمحمد بن القاسم الأنباري (ت ٣٢٨هـ) في علوم القرآن.

٣-أبو بكر السجستاني (ت٣٣٠ هـ) في غريب القرآن.

٤- محمد بن علي الأدفوي (ت٣٨٨هـ) الاستغناء في علوم القرآن.

التفاسير المعتبرة من المتأخرين :

١-(تفسير القرآن العظيم) اسماعيل بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤ هـ)

٢-(الجامع لأحكام القرآن) محمد بن أحمد القرطبي (ت ٦٧١هـ)

٣-(فتح القدير) محمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)

٤-(تفسير الجلالين) جلال الدين السيوطي)(ت٩١١هـ)

الحديث القدسي

الحديث القدسي في الاصطلاح: هو ما يضيفه النبي ﷺ إلى الله تعالى – أي أن النبي ﷺ يرويه على أنه من كلام الله.

الفرق بين القرآن الكريم والحديث القدسي الشريف.

١- أن القرآن الكريم كلام الله أُوحي به إلى رسول الله ﷺ **بلفظه، وتحدى** وتحدى به العرب، فعجزوا أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور مثله، أو بسورة من مثله.

- والحديث القدسي لم يقع فيه التحدي والإعجاز.

٢- القرآن الكريم لا ينسب إلا إلى الله تعالى، فيقال: قال الله تعالى.

- الحديث القدسي – يروى مضافاً إلى الله وتكون النسبة إليه حينئذ نسبة إنشاء فيُقال: قال الله تعالى أو يقول الله تعالى، وقد يروى مضافاً إلى رسول الله ﷺ وتكون النسبة حينئذ إخبارية لأنه عليه السلام هو المخبر به عن الله، فيقال قال رسول الله فيما يرويه عن ربه ﷻ.

٣- القرآن الكريم جميعه منقول بالتواتر، فهو قطعي الثبوت.

٤- الأحاديث القدسية أكثرها أخبار آحاد. فهي ظنية الثبوت، وقد يكون الحديث القدسي صحيحاً، وقد يكون حسناً وقد يكون ضعيفاً.

٥- القرآن لكريم من عند الله لفظاً ومعنىً فهو وحيٌ باللفظ والمعنى.

٦- الحديث القدسي معناه من عند الله، ولفظه من عند الرسول ﷺ على الصحيح فهو وحيٌ بالمعنى دون اللفظ، ولذا تجوز روايته بالمعنى عند جمهور المحدثين.

٥- القرآن الكريم مُتعبد بتلاوته، فهو الذي تتعين القراءة به في الصلاة قال تعالى: ((**فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ**)) [المزمل:٢٠]

وقراءته عباده يثيب الله عليها بما جاء في الحديث : ((**اقرؤوا القرآن فإنكم تؤجرون عليه أما أني لا أقول (الم) حرف ، ولكن ألفٌ عشرة ، ولام عشرة ، وميم عشرة فتلك ثلاثون**)) [حديث صحيح وأصله في الصحيحين]

والحديث القدسي لا يجزيء في الصلاة ويُثيب الله على قراءته ثواباً عاماً [مباحث في علوم القرآن- لمناع القطان- مؤسسة الرسالة]

الـوحي

معنى الوحي: الإعلام الخفي الســـريع الخاص بمن يوجه إليه بحيث يخفى على غيره.

الوحي بالمعنى الإصطلاحي:

هو إعلام الله تعالى من يصطفيه من عباده أراد من هداية بطريقة خفية سريعة.

* الوحي بمعناه اللغوي يتناول:

١- **الإلهام الفطري للإنســان** كالوحي إلى أم موسـى قال تعالى : ((**وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى**)) [القصص:٧]

٢- **الإلهام الغريزي للحيوان** كالوحي إلى النحل قال تعالى: ((**وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ**)) [النحل: ٦٨]

٣- **الإشـــارة الســـريعة على ســـبيل الرمز والإيحاء** كإيحاء زكريا قال تعالى: ((**فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَـبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِـيّاً**)) [مريم:١١]

٤- **وسوسة الشيطان وتزينه الشر في نفس الإنسان** . قال تعالى :((**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً**))[الأنعام:١١٢] ((**وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ**)) [الأنعام:١٢١]

٥- **وما يلقيه الله إلى ملائكته من أمر ليفعلوه.** قال تعالى: ((**إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ**)) [الأنفال:١٢]

كيفية وحي الله إلى رسله.

- يوحي الله إلى رسله بواسطة وبغير واسطة

الأول: بواسطة جبريل ملك الوحي: وله حالتان.

الحالة الأولى : وهي أشد على الرسول – أن يأتيه مثل صلصلة الجرس والصوت **القوي يثير عوامل الانتباه فتهيأ النفس بكل قواها لقبول أثره** ؛ فإذا نزل الوحي بهذه الصورة على الرسول ﷺ نزل عليه وهو مستجمع القوى الإدراكية لتلقيه وحفظه وفهمه . وقد يكون هذه الصوت خفيف أجنحة الملائكة المشار إليه في الحديث ((**إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله، كأنه سِلسِلةٌ على صَفْوانٍ ينفذهم ذلك**)) [البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ] وقد يكون صوت الملك نفسه في أول سماع الرسول له [مباحث في علوم القرآن- لمناع القطان- مؤسسة الرسالة]

الحالة الثانية: أن يتمثل له الملك رجلاً ويأتيه في صـــورة بشـــر، وهذه الحالة أخف من سـابقاتها حيث يكون التناسـب بين لمتكلم والسـامع، ويأنس رسـول النبوة عند سماعه من رسول الوحي، ويطمئن إليه الإنسان لأخيه الإنسان ٠وكِلتا الحالتين مذكور فيما روي عن عائشة أم المؤمنين

رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله ﷺ : ((**أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس ، وهو أشده ، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال. وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمنى فأعي ما يقول**)) [البخاري ومســـلم من حديث أبي هريرة ﷺ] وروت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ما كان يصيب رسول الله ﷺ من شدة فقالت : ((**ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عَرَقاً**)) [البخاري]

والحالتان هما القســـم الثالث من أقســـام التكليم الإلهي المشـــار إليه قال تعالى: ((**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ**)) [الشورى:٥١]

أما النفث في الروع أي القلب؛ قال عليه السلام: ((**إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تســـتكمل رزقها وأجلها ، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب**)) [رواه أبو نُعَيْم في الحلية وسنده صحيح.]

الثاني: الوحي الذي لا واسطة فيه.

أ) منه الرؤيا الصالحة في المنام: عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((**أول ما بدىء به ﷺ الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح**)) [البخاري]

ب) ومنه الكلام الإلهي من وراء حجاب بدون واسطة يقظة: وهو ثابت لموسى عليه السلام ((**وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ**)) [الأعراف:١٤٣] وقوله تعالى: ((**وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيماً**)) [النساء:١٦٤]

الوسطية في الإسلام:

١-التعريف بالوسطية والاعتدال لغةً واصطلاحاً.

٢-الوسطة في القرآن الكريم.

٣-الوسطية في السنة المطهرة.

٥-معالم الخيرية في أمة الوسطية.

٦-سمات الوسطية وخصائصها في إسلام.

٧-ضوبط الوسطية في الإسلام.

٨-مجالات الوسطية.

٩-أهمية الوسطية خاصة لشباب الأمة وفتياتها.

-تربية النشء على الوسطية والاعتدال ويشمل أربع عناصر:

١-التربية الروحية.

٢-التربية الفكرية.

٣-التربية الجسدية.

٤-العناية بقضايا المرأة.

٩-تحقيق الوسطية: السبل والثمار والآثار.

الحديث الشريف:

الشرك بالله وعقوق الوالدين

عن أبي بكرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((**ألا أُنبئكم بأكبر الكبائر**: ؟ قلنا: بلى يا رسول الله ، قال: **الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين** ، وكان متكئاً فَجَلَسَ فقال : **ألا وقول الزور** ، فما زال يكرِّرُها حتى قُلْنَا لَيْتَه سكت)) (**أي** شفقةً عليه وكراهيةً لما يزعجه ﷺ) [البخاري ومسلم]

ومعنى **الكبائُر**: أي الذنوبُ الكبيرةُ العظيمةُ.

الشرح :

الشرك بالله: وهو أن تجعل لله نِداً – وهو خلقك – وتعبدَ معه غيره من حجرٍ، أو بشرٍ، أو شمس، أو قمرٍ، أو نبيٍّ، أو شيخٍ، أو جنيٍ، أو نجمٍ، أو ملَكٍ، أو غير ذلك. قال تعالى: ((**إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ**)) [النساء:٤٨]

عقوق الوالدين: قال تعالى: ((**وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً**)) [العنكبوت:٨]

قال عليه السلام : ((**رِضا الرب في رضا الوالد، وسُخطُ الرَّبِّ في سخط الوالدِ**))

[البخاري في الأدب المفرد والترمذي والحاكم مرفوعاً بسند حسن]

جاءه ﷺ رجلٌ يستأذنه في الجهاد معه – فقال: ((**أحيٌ والداك ؟**)) قال: نعم. قال: ((**ففيهما فجاهد**)) [البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما]

شهادة الزور: وهي الشهادةُ الكاذبة، من كبائر الذنوب التي حذّرَ الرسول ﷺ أُمتَه منها، لأنها تجمعُ بينَ الكذب الذي هو من أقبح الخصالِ وبين التسبب في إضاعة حقوق المسلمين، فلذلك عدَّها الرسول ﷺ أكبر الكبائرِ وتَأَثَّرَ تأثراً شديداً وهو يذكرُ ذلك للصحابة محذراً منها حتى أشفقوا عليه ﷺ ورضي عنهم أجمعين .

الفوائـد:

١- أن الله تعالى قرنَ عبادته برضى الوالدين .

٢- بر الوالدين والقيام على واجبتهما أفضل الجهاد .

٣- التغليظ في تحريم شهادة الزور .

٤- أنها من أعظم الذنوبِ لما فيها من الكذب وإضاعة حقوقِ المسلمين .

فضل الصلاة

عن ابنِ عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : ((**بُنِيَ الإسلام على خَمْس : شهادة ألا إله إلا الله وأنَّ محمد رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحجِّ البيتِ وصوم رمضان**)) [البخاري ومسلم]

وعن ابن عمر أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ : ((**أمرت أنْ أُقاتل الناسَ حتى يشهدوا ألا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عَصَمُوا مني دِماءَهُم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحِسابهم عَلَى الله**)) [البخاري ومسلم]

عَنْ أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : ((**أوَّلُ ما يُحاسبُ عَلْيهِ العبدُ يَوْمَ القيامةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلاتَهُ، فإن صَلُحت فقد أفلح** – أي: فاز وظفِرَ– **وإنْ فَسَدَتْ فقْد خابَ وخَسِرَ، فإن انتقص من فريضتهِ شيئاً قال الربُّ عز وجل: انظروا هل لعبدي من تطوُّعٍ؟ فيكملُ بها ما انتقص من الفريضة، ثُمَّ يكونُ سائرُ أعماله على هذا**)) [أبو داود والترمذي وقال: حسنٌ غريب، وهو في صحيح الجامع.]

الشـرح:

الصـلاة ركنُ الإسـلام الثاني ومن أفضـل الأعمال وأحبِّها إلى اللهِ تعالى، جعلها الرسـولُ عاصـمةً للدم والمال، ولأهميتها فإنها أول ما يحاسـب عليه العبدُ من الأعمال يوم القيامةِ، وصـلاحُها – بالمحافظة عليها وإتمامُها – سـببٌ للفوزِ والنجاة؛ وإضاعتُها والتساهل فيها سببٌ للخسارةِ يومَ القيامة.

الفـوائد:

١- عظمُ قدْرِ الصلاةِ وأنها الركنُ الثاني من أركان الإسلام.

٢- إن إقامتها سببٌ لعصمة دمِ المسلمِ.

٣- أنها أولُ ما يحاسـب عليه العبدُ يوم القيامةِ. [(الدروس اليومية من السـنن والأحكام الشرعية) راشد بن حسين العبد الكريم)

أفضل الأعمال

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، قال : سألت رسول الله ﷺ أي العمل أفضل ؟ قال : ((**الصلاة لِوقتها**)) قُلتُ : ثم أيٌّ ؟ قال ((**بر الوالدين**)) قال قلت : ثُمَّ أيٌّئ ؟ قال : ((**الجهاد في سبيل الله**)) فما تركتُ استزيدُهُ إلا إرعاءً عليه. [رواه أبو داود والترمذي والحاكم]

الشرح:

كان الصحابة رضي الله عنهم حريصين على الخير حتى يسألوا عنه ويفعلوا وكذا الشر حتى يعلموا عنه ويتركوه، قال أنس ابن مالك ﷺ : كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخيرِ وكنت أسأله عن الشرِ مخافةً أن يدركني.

فهذا عبد الله ابن مسعود يسأل رسول الله ﷺ عن أفضل الأعمال ليس حبُ الاستطلاع كما يفعل الناس اليوم ولكن لكي يقتفي أثره.

فأخبر عليه الصلاة السلام أن أفضل الأعمال الصلاة لوقتها. فهل الناس علموا هذا الفضل العظيم؛ وجعلوا الصلاة نصب أعينهم ووقتها هو ديدنهم دئماً لكي يفوزوا بأفضل الأعمال؛ ويسعدوا بالفلاح في الدارين.؟

فيجب علينا من منطلق هذا الحديث الشريف أن نحافظ على الصلاة في وقتها؛ ومع الأسف الشديد تجد الرجال يتخلفون عن صلاة الجماعة مما يجعلهم يتهاونون في وقت الصلاة الفضل وهو أوله كذلك النساء يتهاونَّ أن يصلين الصلاة في أول وقتها مما يفوتها الأجر العظيم وهذا الفوات يجرها إلى التهاون في الصلاة بالكلية؛ نسأل الله العافية في الدنيا والآخرة.

الفوائد:

١- أفضل الأعمال الصلاة لوقتها.

٢- برُّ الوالدين من أفضل القربات.

٣- الجهاد في سبيل الله من أفضل الأعمال بعد الصلاة وبرُّ الوالدين.

الترهيب من ترك الصلاةِ

قال تعالى: ((**خَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً**)) [مريم:٥٩]

وقال تعالى: ((**مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ {٤٢} قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ**)) [المدثر:٤٢-٤٣]

وقال تعالى: ((**فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ {٤} الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ**)) [الماعون:٤-٥]

وعن بُرَيدة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاةُ فمن تركها فقد كفر**)) [الترمذي وقال: حديث حسن]

الشرح :

للصلاة منزلةٌ عظيمةٌ في الإسلام حذَّر اللهُ تعالى وحذّرَ رسولهُ ﷺ من تَرْكها أو التساهل في أمرها ، وأخبر ﷺ أن بين الرجل والكفر تركُ الصلاةِ ، وهي علامة تميزُ المؤمنَ عن المنافقِ ، ولذلك قال كثيرٌ من العلماءِ إن تركها كافرٌ حتى لو كان مقراً بوجوبها

الفوائد:

١- الترهيب الشديد من تركِ الصلاة، أو التهاون فيها.

٢- أنَّ تركَ الصلاةِ كفرٌ-نعوذ بالله من ذلك ولجميع المسلمين.

تربية الأولاد

قال تعالى : ((**وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ {١٤} وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ {١٥} يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ {١٦}يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**)) [لقمان:١٣- ١٧]

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : ((**مروا أبناءكم بالصلاة وهو أبناءُ سَبْعِ سِنينَ واضْرِبُوهُم عليها وهو أبناءُ عَشْر، وفرّقوا بَيْنَهم في المضاجع**)) [أخرجه أبو داود وحسّنه النووي] المضاجع يعني : النوم

عن عُمرَ بن سَلمَة رضي الله عنه قال: كنت غُلاماً في حِجرِ رسول الله ﷺ وكانت يَدِي تَطِيْشُ في الصفحةِ فَقال لِي رسولُ اللهِ ﷺ : ((**يا غلام سَمِّ الله وكل بيمنك وكل مما يليك**)) [متفق عليه]

عن ابن عباس رضـــي الله عنهما قال: كنتُ خَلْفَ النبيّ ﷺ يوماً فقال: ((**يا غُلاَمُ إنيَّ أُعلّمك كَلِماتٍ : احْفَظِ اللهَ يَحفَظْكَ ، احْفظِ الله تجدْهُ تُجاهَك ، إذا سَـــألتَ فاسْـــأل الله وإذا اسْـــتَعَنْتَ فاســـتَعِنْ بالله ، واعْلَم أنَّ الأمُة لو اجتَمَعَتْ عَلَى أنْ يَنْفَعوكَ بشـــيءٍ لم يَنْفَعوك إلا بشـــيءٍ قَدْ كَتبهُ الله لكَ ، وإنْ اجتمعوا على أنْ يَضُرُّوكَ بشيءٍ لَمْ يَضُروكَ إلا بشيءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله عليك ، رُفِعَتِ الأققلامُ وَجَفَّتِ الصُحُف**)) [الترمذي وقال: حسنٌ صحيح]

الشرح:

من الأمور التي يغفل عنها كثيرٌ من الآباء والأمهات تعليمُ أولادهم وتوجيهُم ووعظُهم، لا على ســـبيل التعنيف أو التأنيب على الأخطاءِ فقط، بل يكون ابتداء مع إظهارِ الحرصِ والشفقةِ عليهم ليكونَ أدعى للقبولِ، ولا ينبغي إهمالهم بحجةِ أنّهم صغارٌ لا يفهمون.

الفوائد:

١- مشروعية الأولادِ وتوجيههم ولو كانوا صغاراً.

٢- مشروعية مراعات اختلاف مراحِلِ نموِ الأولاد في تربيتهم.

الأصدقاء والقرناء

قال تعالى: ((**الْأَخِلَّاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ**)) [الزخرف:٦٧]

عن أبي موسى ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((**إنما مَثَلُ الجَلِيْسِ الصَّالِحِ والجليسِ السُّوءِ كحامل المسكِ ونافخ الكيْر، فحاملُ المِسْكِ إما أنْ يُحْذِيَك وإمَّا أنْ تبتاعَ منه وإما أنْ تَجِدَ منه ريْحاً طيبةً، ونافخُ الكيرِ إمَّا أنْ يُحْرِقَ ثِيابَكَ وإمها أنْ تجِدَ منه ريْحاً خَبيْثةً**)) [متفق عليه]

عن أبي هريرة ﷺ أن النبيَّ ﷺ قال : ((**الرَّجُلُ عَلَ دِينِ خَلِيلِه فَلْينظرْ أحَدُكُم مَنْ يُخالِلْ**)) [أبو داود والترمذي وقال: حسن، وقال النووي في رياض الصالحين: إسناده صحيح]

الشرح:

للأصدقاء والقرناء تأثير كبيرٌ على الإنسان، وفي الغالبِ أن الإنسانَ بأخلاق أصدقائه حسنةً كانت أم سيئةً، فلذلك حثَّ الرسول ﷺ على اختيار الصديق الصالح وشبهه بايع المسكِ الذي لن تُعْدَمَ منه الفائدة بعكس صديقِ السوءِ فإنَّه لا بد أنْ يصلك من شرِّه. فأحذر يا أخي المسلم من أصدقاء السوء حتى لا تتلوث أفكارك وتبعدك عن مجالس العلم التي هي مجالس الملائكة كما جاء في الحديث: ((**لله ملائكةٌ طوَّافٌ في الطرقات يلتمسون حِلق الذكر حتى إذا وجدوها تنادوا هلموا هذه حاجتكم..**)) الحديث [مالك وغيره من حديث أبي هريرة ﷺ].

فتبعدك عن هذه المجالس وتقربك من مجالس الشياطين مثل الحفلات والتسكع في الأسواق والمجمعات التجارية وهذا خلاف المعهود عن المرأة المسلمة التي جعلها الله ركيزة المجتمع وأحد بنيانه العظيمة. وعليكِ بالصديقة الصالحة التي تعينك على طلب الخير وتذكر إذا جهلت، وتصَّبرك على طاعة الله إذا سئمت، فهذا دأب وديدن الرجل الصالح، فكن كذلك لكي تفوز بالدارين الدنيا بصلاحك فيها، والآخرة بدخول جنات ربك الذي لا يضيع عمل عاملاً منا من ذكراً أو أنثى. قال تعالى: ((**فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ**)) [آل عمران:١٩٥]

الفوائد:

١- أنّ من كانت صداقته على غير تقوى ولغير محبة في الله، فإنها تنقلب عداوةً يوم القيامة.

٢- وجوب اختيار الصديق الصالح.

٣-أن للصديق تأثير كبيراً على صديقهِ.

تحريم الكَذِبِ والترهيب منه

قال تعالى: ((**إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ**)) [النحل:١٠٥]

عن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((**إنَّ الصِّدق يَهدي إلى البِرِّ وإنَّ البرَّ يهدي إلى الجنة، وإنَّ الرجُلَ ليصدُقُ ويَتَحَرَّى الصِّدقَ حتى يُكتبّ عِندَ اللهِ صِدِّقاً، وإن الكذِبَ يَهدي إلى الفجورِ وإنَّ الفجورَ يهدِي إلى النار، وإن الرَّجُلَ ليكذبُ ويَتَحَرَّى الكذِبَ حتى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كذَّباً**)) [متفق عليه]

وعَنْ عبدِالله بنِ عمرو رضي اللهُ عنهما أن النبي ﷺ قال: ((**أربَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافقاً، ومن كانتْ فيه خَصلَةٌ منهنَّ كانتْ فيه خَصَلَةٌ من نفاقٍ حتى يَدَعَها: إذا اؤتُمِنَ خَانَ، وإذا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذا عَاهّدَ غَدَر، وإذا خَاصَمَ فَجَرَ**)) [متفق عليه]

وعَنْ سَمُرَةَ بن جُنْدبٍ ﷺ قالَ: قال رسول الله ﷺ : ((**إنَّه أتَانِي الليلةَ آتيانِ وإنهما قالا لي انطلقْ، وإنِّي انْطَلَقْتُ معهما...** (حتى قال) **فأتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ وإذا قَائِمٌ عليه بكَلُّوبٍ من حديدٍ وإذا هو يأتي أحَدَ شِقَّيْ وَجْهِه فيُشَرشرُ شِدْقه إلى قفاه، ومَنخَرهُ إلى قفاه، وعَيْنَهُ ثمَّ يتحول إلى**

الجانب الآخر فيفعلُ به مثل مَا فَعَلَ في الجانب الأولِ، فما يَفْرُغُ من ذلك الجانب حتى يَصحَّ ذلك الجِانب كما كانَ، ثم يعودُ عليه فيفعلُ مثلما فعلَ في المرَّةِ الأولى ، قال : قُلْتُ سبحَان اللهِ ما هذان ؟ ... قالا : إنه الرَّجُلُ يُغْدُو من بيتهِ فَيَكذبُ الكْذبَةَ تَبْلغُ الآفاقُ)) [متفق عليه والحديث تقدم]

الـشرح

الكذبُ من صـفاتِ المنافقين التي حذَرَ منها الرسـول ﷺ وكان من أبغض الأخلاق إليه ﷺ وأخبر عنه أنه يجُرُّ صـاحبه إلى المعاصـي التي توردُه النار، وأنه إنْ اسـتمرَّ على عادةِ الكذب فإنه يُكتبُ عندَ الله كاذباً، ثم أخبر بعقوبة الذي ينشرُ الكذب بينَ الناس وأنه يُعذبُ به يوم القيامة .

الفوائد:

١- الترهيب من الكذب وأنه من خِصال المنافقين.
٢- أنه يجرُّ إلى الفجور أي: المعاصي.
٣- أنه من أسباب دخول النار فيجبُ الحذرُ منه.
٤- شدة عذاب من ينشر الكذب بين الناس.
٥- ذكر الرجل في الكذب أو الصدق لا يدل على أن المرأة غير معنية به.

النهي عُنِ الغَضب

وما يقُولُ ويفعَلُ عند الغَضَب

عن أبي هريرة ﷺ أنَّ رجلاً قال للنبيِّ ﷺ : أوصِـني، قال: ((**لا تغْضَـبْ، فَرَدَّ ذلكَ مِراراً، قال: لا تغْضَبْ**)) [البخاري ومسلم]

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : ((**ليس الشَّـدِيْدَ بالصُّـرعةُ وَلكن الشَّدِيْدَ الذي يَمْلِكُ نَفْسِه عِنْدَ الغَضَبِ**)) [متفق عليه]

عن أبي ذَرٍ ﷺ قال: أنَّ رسول الله ﷺ قال : قال: ((**إذا غَضِبَ أحَدُكم وهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلسْ، فإن ذَهَبَ عَنْهُ الغَضَبُ وإلا فليضْطَجع**)) [أبو داود]

عن سليمان بن صُرَدٍ ﷺ قال: اسْتَبَّ رَجُلانِ عِنْدَ النبيَّ ﷺ ونحنُ عِندَهُ جلوسٌ وأحدهما يسُـبُّ صـاحبه مُغْضَـباً، قد احمَرَّ وجْهُه، فقال النبي ﷺ ((**إنِّي لأعْلَمُ كَلِمَةً لوْ قَالها لذهبَ عَنْهُ ما يجِدُ: أعوذُ باللهِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيمِ**)) [متفق عليه]

الشـــرح: الغضبُ خُلقٌ ذميمٌ يجر صاحبَه غالباً إلى ما لا يحبُّ من الأعمال، وهو مِنَ الشيطانِ، فلذلك أوْصَى الرسولُ ﷺ بالبعدِ عنه وأرشدَ إلى ما يخففُ حدّتَه عند وقوعِه.

الفـــوائد: ١- وصيةُ الرسولِ ﷺ بتركِ الغضبِ وامتداحِه لمن يملكُ نفسَه عندَ الغضب.

٢- إرشـــاد من غضـــبَ وهو قائمٌ أنْ يجلس، فإن ذهبَ عنه الغضـــبُ وإلا فليضطجع.

٣- إرشاد الرسول ﷺ مَنْ غَضِبَ أن يستعيذَ بالله من الشيطانِ الرجيم.

النهي عن الحسد

عَنْ أنسٍ رضي الله عنه أنَّ النبيَ ﷺ قال: ((**لا تَباغَضـوا ولا تحاسـدوا ولا تدابَروا ولا تقـاطعُوا وَكوُنوا عِبـادَ الله إخواناَ، لا يحـلُ لمســلمٍ أنْ يهجرَ أخـاهُ فوْقَ ثلاث**))[متفق عليه]

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسـول الله ﷺ : ((**لا تَحَاسَـدُوا ولاَ تَنَاجشـوا ولا تَبَاغَضـــوا وَلا تدابروا ولا يبع بعضـــكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً، المســـلم أخو المســـلم: لا يظلمه ولا يخذله ولا يُكذِّبه ولا يحْقرُه، التقوى ههُنَا – يُشيرُ إلى صَدره، ثلاث مرَّتٍ – بحسبِ امْرِيءٍ مِنَ الشَّرِ أنْ يحْقرَ أخاه المسْلِمَ كُلَّ المسـلمِ على المسـلم حرامٌ دَمُه ومَاله وعِرضـه**)) [أخرجه مسلم]

عن بن مسـعود رضـي الله عنه قال: قال رسـول الله ﷺ : ((لا حسـدَ إلا في اثنتين: رجلٌ آتاه الله مالاً فَســـلَطه على هلكته بالحقِ – أي: إنفاقه، **ورجلٌ آتاه الله الحِكمة فهوَ يَقضي بها ويعلمّهُا))** [متفق عليه]

ومعنى لا حسد: أي لا ينبغي أن يغبط أحد إلا على إحدى هاتين الخصلتين.

الشــرح:

الحســدُ هو كراهة النعمة على الغيرِ وتمنِّي زَوالها، وهو خصْـلةٌ ذميمة نهى رسـول الله ﷺ عنها لما فيها من فســادِ ذات بيْنِ المســلمين وحقدِ بعضــهم على بعضٍ وتسَـبُبهم في ضـرر بعضـهم بعضـاً، وأخبر ﷺ أن تمني مثلَ ما عند الآخرين من السبق في أمور الدين ليس من الحسدِ المذموم. [رياض الصالحين للنووي]

الفوائد:

١- النهيُ عن الحسدِ بينَ المؤمنين.

٢- أن الغبطة على أمور الخيرِ ليستْ من الحسدِ.

٣- نهى ﷺ عن النجش، وهو رفع السلعة في المزاد من أجل رفع الثمن لا من أجل شرائها.

السيرة النبويَّة والنتائج والعِبر منها

[نسبه صلى الله عليه وسلم]

فهو أبو القاسم، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصـــيّ بن كلاب بن مرَّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النّصـــر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مُضَـــر بن نزار بن معد بن عدنان) [1]

[أمه ﷺ]

وأمّ رســول الله ﷺ ، آمنة بنت وهب بن عبد مَنَاف بن زُهْرَة بن كِلاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤي بن غالب.

فتلتقي مع النبي ﷺ مع كلاب بن مرَّة

---

(١) هذا ما اقتصر الإمام البخاري – رحمه الله – على ذكره في (صحيحه)، (صحيح البخاري – فتح الباري) لابن حجر العسقلاني (١٦٢/٧) ، وانظر(سيرة ابن هشام)(٢،٣/١) ، (الرحيق المختوم)(ص٥٤) لمباركفوري.

[طلوع الفجر المحمدي أو الميلاد السعيد ﷺ]

ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين، لأثني عشرة ليلةً خلتْ من شهر ربيع الأول، عام الفيل.[١] الموافق(٥٧١ ميلادي)[٢]

هذا الذي عليه أكثر المؤرخين للميلاد النبوي السعيد.

في بطحاء مكة، وفي بيت عريق في الشرف بيت شيبة الحمد عبد المطلب، زوّج عبد المطلب ولده عبد الله الذبيح سليلة الشَّرف أشرف فتاة وأعفها وأكملها خَلْقاً وخُلُقاً آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب الزهرية القرشية.

أما عبد الله الولد فلُلقبه بالذبيح قصة من أظرف القصص وأطرفها تتشنف اذان بسماعها، وتهفو القلوب لذكرها، وهذا عرضها باختصار حتى لا نبعد من ساحة الأنوار.

---

(١) انظر (السيرة النبوية) (١/١٥٨)، (مختصر السيرة، وسيرة أصحابه العشرة) (٢٣) لعبد الغني المقدسي – تحقيق / خالد بن عبد الرحمن الشايع) –

(٢) (الرحيق المختوم)(ص٦٢) للمباركفوري .

كانت زمزم قد طمرتها جرهم عند مغادرتها مكة لظلمها فانهزامها وكان ذك منها نقمة على أهلها الذين حاربوها وطردوها. وظلت زمزم مطمورة إلى عهد شـــيبة الحمد عبد المطلب فأُرِيَ في المنام مكانها وحاول إعادة حفرها، ومنعته قريش ، ولم يكن له يومئذ من ولد يعينه على تحقيق مراده إلا الحارث فنذر لله تعالى إن رزقه عشرة من الولد يحمونه ويعينونه ذبح أحدهم ، ولما رزقه الله عشرة من الولد وأراد أن يفيَ بنذره لربّه فاقترع على أيهم يكون الذبيح فكانت القرعة على عبد الله ، وهَمَّ أن يذبحه عند الكعبة فمنعته قريش ، وطلبوا إليه أن يرجع في أمره إلى عرَّفة بالمدينة تفتيه في أمر ذبح ولده.

فأرشـدته إلى أن يضـع عشـراً من الإبل وهي دية عندهم، وأن يضـرب بالقداح على عبد الله وعلى الإبل، فإن خرجت على عبد الله الذبيح زاد عشراً من الإبل وإن خرجت على الإبل فانحرها عند فقد رضـــيها ربكم ، ونجا حاحبكم !! فوصـــلوا إلى مكة وجيء بالإبل وصـــاحب القداح، وقام عبد المطلب عند هُبل داخل الكعبة يدعو الله عز وجل، وأخذ صاحب القداح يضربها، وكلما خرجت على عبد الله زادوا عشـــراً من الإبل حتى بلغت مائ، كل ذلك وعبد المطلب قائم يدعو الله ﷻ عند هبل ؛ فقال رجل من قريش قد انتهى رضا ربك يا عبد المطلب فأبى إلا أن يضـــرب عنها القداح ثلاث مرات ففعل فكانت في كل مرة تخرج على الإبل ، وعندها رضـــي عبد المطلب ونحر الإبل وتركها لا يصـــد عنها إنســـان ولا حيوان ، ونجّى الله تعالى والحمد لله لا لســـواه عبد الله والد رســـول الله ﷺ.

فهذا سبب لقب عبد الله بالذبيح، وهو أحب أولاد عبد المطلب العشـرة إليه ، وزاده حُبَّاً فيه هذه الحادثة العجيبة.[١]

وأكرم الله تعالى عبد المطلب بإعادة حفر زمزم إذ وافقته قريش على حفرها، وكانت موافقتها لآية شاهدتها لعبد المطلب وهي أنهم لما منعوه من حفرها وأبى عليه ذلك؛ قالوا: نختصم إلى الكاهنة وهي كاهنة بني سعد، وكانت بأعالي الشام ، فذهبوا إليها وأثناء سيرهم في طريقهم إليها عطشوا لنفاد مائهم فلما ظنوا الهلاك ، وإذا بعين تنفجر تحت خف ناقة عبد المطلب فقاموا فشربوا وسقوا وعندها أذعنوا لأمر عبد المطلب ورضوا له بحفر بئر زمزم خالصة له دون غيره من أهل مكة.

---

(١) انظر (السيرة النبوية) (١/١٤٩- ١٥٥) لابن هشام، (هذا الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم يا محب)(ص٦٢) لشيخ / أبو بكر جابر الجزائري – بارك الله في عمره .

(٢) انظر (السيرة النبوية) (١/١٤٢ – ١٤٥) (ذكر حفر زمزم، وما جرى من الحلف فيها) وكذا (هذا الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم يا محب) لأبي بكر الجزائري) (ص٦٢).

النتائج والعبر:

إن من نتائج وعبر هذه المقطوعة من السيرة العطرة ما يلي:

(١) فزع عبد المطلب إلى الله تعالى يدعوه وفي كل النوائب دليل على أن مشركي العرب ما كانوا ملاحدة بل كانوا يؤمنون بالله رباً خالقاً رازقاً مدبِّراً والقرآن شاهد بهذا.

(٢) دعاء عبد المطلب الله تعالى عند هبل استشفاعاً به وتوسُّلاً ورَّثه الشيطان جهال المسلمين فإن أحدهم يأتي قبر الولي ويدعو الله تعالى عنده استشفاعاً بالولي وتوسلاً به على سنة عبد المطلب الجاهلي والعياذ بالله.

(٣) كرامات عبد المطلب التي أكرمه الله بها كرؤيا بئر زمزم وحفرها، والماء الذي نبع من تحت خف ناقته ، وخروج القداح على الإبل لا على ولده هي في الظاهر كرامات لعبد المطلب إلا أنها في الحقيقة هي آيات النبوة المحمدية وتباشيرها .

(٤) مواصلة ضرب القداح حتى بلغت مائة كانت مبدأ تقرير دية الرجل وهي مائة من الإبل وأقرها الإسلام فكانت دية الرجل المؤمن والمرأة على النصف منها. [١]

---

(١) انظر (هذا الحبيب يا محب) (ص٦٣) لأبي بكر جابر الجزائري.

الحمل والميلاد :

لقد تزوج عبد المطلب آمنة زوجه بها والده عبد المطلب على أثر نجاته من الذبح وفاءً بالنّذر، وبنى بها عبد المطلب وحملت منه بالحبيب ﷺ وواكبت حمله ووضعه آيات نبوّته التالية: [١]

(١) إنه ولد ﷺ من نكاح شرعيّ لا من سفاح جاهليّ وهي عصمة إلهية لا يقد عليها إلا الله.

(٢) إن آمنة لم تجد أثناء حملها به ﷺ ما تجد الحوامل عادة من الوهن والضعف فكان هذا آية .[٢]

(٣) إن آمنة لما حملت به ﷺ ولما وضعته رأت نوراً خرج منها فأضاء لها قصور الشام. [٣]

(٤) إن آمنة لما حملت به ﷺ أتاها آت: إنك حملت بسـيّد هذه الأمة، فإذا وضـع في الأرض فقولي: أعيذه بالواحد، من شر كل حاسد ولآية ذلك أنه يخرج معه نور يملاء بُصرى من أرض الشام فإذاً فسميه محمداً فإن اسمه في التوراة أحمد يحمده أهل السماء والأرض.[٤]

(٥) ارتجاج إيوان كسرى بفارس وسقوط أربع عشرة [٥] شرفة من شرفاته [٦]

(٦) خمود نار فارس التي لم تخمد منذ ألف سنة .

(٧) امتلاء البيت الذي ولد به نوراً، ورؤية النجوم وهي تدنو منه حتى لتكاد تقع عليه ﷺ ، رأت هذا أمه والقابلة التي كانت معها وحدثتا به ، وهو حقٌ لا باطل وصدق لا كذب.[٧]

نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبر نذكرها فيما يلي :

أولا: بيان شرف أبوي الرسول ﷺ وطهارتهما وفي هذا ما يوجب إكباره ﷺ ومحبته وتقديره .

ثانياً : الآيات التي واكبت حمله وولادته تقرر نبوّته وسيادته على الناس أجمعين .

ثالثاً : سـقوط أربع عشـرة شـرفة من شـرفات القصـر آية نبوّتهﷺ إذ تداول ملك الفرس في خلال أربع سنوات عشرة ملوك وملكات ، وتمَّ الأربعون الباقون في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

---

(١) انظر (هذا الحبيب يا محب) لأبي بكر جابر الجزائري .

(٢) انظر (قصص الأنبياء)(ص٤٩٨-٤٩٩)(قصص الأنبياء) لابن كثير .

(٣) انظر (مختصر سيرة الرسول ﷺ للشيخ عبد الله االنجدي (ص١٢٩) وابن سعد(٦٣/١) ، (الرحيق المختوم)(ص٦٢) ، (هذا الحبيب يا محب) لأبي بكر الجزائري ٠(صحيح السيرة النبوية)(ص١٨) للألباني ٠

(٤) ارجع (السيرة النبوية)(١٥٨/١) لابن هشام ، (هذا الحبيب يا محب) لأبي بكر الجزائري (ص٦٤) ٠

(٥) أول هذا اللفظ: بسقوط أربعة عشراً ملكاً من ملوكهم وملكاتهم ، فسقط عشرة منهم في أربع سنوات ، تم سقوطهم على عهد الفتح الإسلامي ٠انظر(هذا الحبيب يا محب)(١) الحاشية) لأبي بكر الجزائري ٠

(٦) (صحيح السيرة النبوية)(ص١٤)

(٧) (هذا الحبيب يا محب)(ص٦٥)لأبي بكر الجزائري ٠

[وفاة والد رسول الله ﷺ وأمه وجده]

*مات **أبوه** عبد الله بن عبد المطلب بدار النابغة [١] ورسول الله ﷺ حمْل[٢]

* **ماتت أمه** ﷺ وهو ابن ست سنين ودخل في السابعة ولم يستكملها [٣] وكانت وفاتها في موضع يقال له الأبواء بين مكة والمدينة، حيث كانت راجعة به، ﷺ ، من أخوال أبيه بني عدي بن النجار بعد زيارتهم. [٤]

* **مات جدّه** عبد المطلب وه ابن ثمان سنين [٥]

[**رضاعه ﷺ**] : أرضعته ، ﷺ ، **ثويبة** جارية أبي لهب [٦]، وأرضعت معه حمزة بن عبد المطلب ، وأبا سلمة عبد الله بن الأسد المخزومي ، وأرضعتهم بلبن ابنها مَسْرُوح. **وأرضعته حليمة السعدية بن أبي ذؤيب السَّعدية** . [٧]

---

(١) دار النابغة: لأحد بني النجار بالمدينة .

(٢) هذا هو الراجح وما ذهب إليه الجمهور، بأن والد نبينا ﷺ عبد الله بن عبد المطلب توفي والنبي، ﷺ جنين في بطن أمه، وهذا أبلغ وأعلى مرتبه، قال تعالى: (**أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى {٦}**)[سورة الضحى آية : ٦] وممن رجح هذا القول الحاكم في (المستدرك) للحاكم ما يؤيده(٢/٦٠٥) ابن القيم في (زاد المعاد)(١/٧٦) ، وابن كثير في (البداية والنهاية)(٣٢٢- ٣٢٣) والذهبي في (السيرة)(ص٥٠) وابن حجر في (فتح الباري شرح صحيح البخاري) (١٦٣/٧)وابن الجوزي في (الوفا بأحوال المصطفى)(١٥٣/١)

(٣) انظر (مصنف عبد الزاق)(٣١٨/٥) ،(صحيح السيرة) للشيخ الطرهوني الحاشية : (١٦٥- ١٦٦) (مختصر السيرة) لعبد الغني المقدسي – تحقيق خالد عبد الرحمن الشايع / (ص٢٥- الحاشية – ١) (٤) (مختصر السيرة) لعبد الغني المقدسي)(ص٢٥) تحقيق خالد عبد الرحمن الشايع .

(٥) المصدر السابق – انظر (زاد المعاد)(٧٦/١) لابن القيم.

(٦) ثبت ذلك في (صحيح البخاري في عدة مواضع متعددة منها (٥١٠١) و(صحيح مسلم (١٤٤٩) وغيرهما .

(٧) هذا مشهور ولا يحتاج إلى بيان . انظر (السلسلة الصحيحة وشيء من فقها وفوائدها) (١٥٤٥).

عن خالد بن معدان عن أصـــحاب رســـول الله ﷺ، أنهم قالوا له: أخبرنا عن نفسك ؟ ! قال : ((**نعم أنا دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى أخي عيس – عليهما السلام ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نورُ أضاءت له قصور الشام واسترضعت في بني سعد** ..)) الحديث

*** قصة رضاعته من السيدة حليمة السعدية :**

وقد رأت في إرضاعه ﷺ آيات عما شاهدت من آيات نبوته ﷺ: إنها قالت : خرجت من بلدي مع زوجي وابن صـغير لنا نرضـعه في نسـوة من بني سـعد نلتمس الرضـعاء وذلك في سـنة شـهباء لم تبق لنا شـيئاً خرجنا على أتان[1] لنا قمْراء ، ومعنا شـــارف لنا ، والله ما تبض بقطرة ، وما ننام ليلنا أجمع من بكاء صـبيّنا الذي معنا من الجوع ؛ إذ ما في ثديّ ما يغنيه وما في شـارفنا ما يغذيه ، ولكنا كنا نرجو الغيث والفرج ، خرجنا نلتمس الرُّضعاءَ في مكة فما منّا إلا وقد عرض عليها رســـول الله ﷺ فتأباه إذ قيل لها : إنه يتيم ، وذلك أنا كنا نرجو المعروف من أبي الصـبيّ فما بقيت امرأة قدمت معي إلا أخذت رضـيعاً غيري ، فلما أجمعنا العودة إلى بلدنا قلت لزوجي : والله إني لأكره أن أرجع ولم آخذ رضـــيعاً ، والله لأذهبنّ إلى ذلك اليتيم فآخذه ، فقال لي : لا عليك أن تفعلي عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة فذهبت إليه فأخذته ، وما حملني على ذلك إلا

---

(١) أتان: انثى الحمار.

أنني لم أجد غيره ، فلما رجعت به إلى رحلى ووضـــعته في حجري أقبل عليه ثدياىَ بما شاء من لبن ، فشرب حتى رُوِيَ وشربَ معه أخوه حتى روى ، ثم نام ، وقام زوجي إلى شارفنا تلك فإذا هي حافل [١] فحلب منها ما شرب وشربت معه حتى انتهينا ريّاً وشِبَعاً فبتنا بخير ليلة ، فلما أصبحنا قال لي زوجي : تعلمين والله يَا حليمة لقد أخذت نســـمة مباركة ، قلت : والله إني لأرجو ذلك ، ثم خرجنا وركبت أتاني وحملته عليها معي فوالله لقطعتْ بالركب ما يقدر عليها شـــيء من حُمُرهم حتّى إن صـــواحبي قلن لي يا ابنة أبي ذؤيب ويحك اربِعِي [٢] علينا ، أليست هذه أتانك التي كنت خرجت عليها ؟ فقلت لهن: بلى والله إنها لهي هي ، فقلت والله إن لها لشـأناً . ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سـعد ، وما أعلم أرضـاً من أرض الله أجدب منها ، فكانت غنمي تروح عليَّ حين قدمنا به معنا شـباعاً لُبّناً[٣] فنحلب ونشـرب وما يحلب إنســان قطرة لبن ولا يجدها في ضـــرع حتى كان الحاضـــرون من قومنا يقولون لرعيانهم : ويلكم اســـرحوا حيث يســـرح راعي بنت أبي ذؤيب فتروح أغنامهم جياعاً ما تبض بقطرة لبن ، وتروح غنمي شباعاً لُبّناً ، فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه

(أي سنتا رضاعه) وفصلته، وكان يَشِبُّ شباباً لا يشبه الغلمان، فلم يبلغ

---

(١) حافل: اجتمع فيه اللبن.

(٢) ربعت الإبل: سرحت في لمرعى وأكلت وشربت كيف شاءت .

(٣) كثيرة اللبن

سنتيه حتى كان غلاماً خفراً (غليظاً شديداً) فقدمنا به على أمه ونحن أحرص شيء على مكثه فينا ؛ لما كنا نرى من بركته ؛ فكلمنا أمه وقلتُ لها : لو تركت بنّي عندي حتى يغلظ فإني أخشى عليه وباء مكة ، فلم نزل بها حتى ردته معنا ، فرجعنا به ، وبعد مقدمنا بأشهر وإنه لفى بَهم [1] لنا مع أخيه خلف بيوتنا ، إذ أتانا أخوه يشتدّ ، فقال لي ولأبيه : ذاك أخي القرشي قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه فشقا بطنه ، قالت : فخرجت أنا وأبوه نحوه فوجدناه قائماً منتِقِعاً(متغير) وَجْهُهُ فالتزمته والتزمه أبوه فقلنا له : مالك يا بنيّ ؟ قال : جاء لي رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاني وشقّا بطني فالتمسا فيه شيء لا أدري ما هو ؛ فرجعنا به إلى خبائنا ، وقال لي أبوه : يا حليمة لقد خشيت أن يكون هذه الغلام قد أصيب فألحقيه بأهله قبل أن يظهر ذلك به ، فاحتملناه فقدمنا به على أمه ، فقالت : ما أقدمك به يا ظئرُ[2] وقد كنت حريصة عليه وعلى مكثه عندك ؟

فقلت لها: قد بلغ الند بأبني، وقضيت الذي عليّ وتخوفت الأحداث عليه فأديته إليك كما تحبين، قالت: ما هذا شأنك؟ فأصدقيني خبرك فلم تدعني حتى أخبرتها.

---

(١) البهم جمع بهيمة: صغار الغنم.

(١) الظئر: العاطفة على ولد غيرها المرضعة له.

قالت: فتخوفت عليه الشيطان ؟ قلت: نعم. قالت: كلا والله ما للشيطان عليه من سبيل وإن لبنيّ لشأناً، أفلا أخبرك به ؟ قلت: بلى قالت : رأيت حين حملتُ به أنه خرج مني نورٌ أضاء لي قصور بصرى من أرض الشام ، ثم حملت به فوالله ما رأيت من حمل قط كان أخفّ عليَّ ولا أيسر منه ووقع حين ولدته وإنه لواضع يديه بالأرض رافع رأسه إلى السماء. دعيه عنك وانطلقي راشدة.

هكذا كان استرضاعه ﷺ في بادية بني سعد شأنه شأن أبناء سادات قريش يرضعون أولادهم في البوادي ليصحوا أجساماً، ويفصحوا لساناً، ويقوا جَناناً.(١)

وثبت في (صحيح مسلم) عن أنس بن مالك :

أن ﷺ رسول الله أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه، فشق عن قلبه، واستخرج القلب، واستخرج معه علقه سوداء، فقال: هذا حظ الشيطان. ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأَمَهُ، ثم عاده في مكة، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه – يعني: ظئره – فقالوا: إن محمداً قد قُتِلَ. فاستقبلوه وهو منتقع الون. قال أنس: وقد كنت أرى ذلك المخيط في صدره. (٢)

---

(١) (السيرة النبوية) (١/١٦٢-١٦٥) لابن هشام، (زاد المعاد) (١/٨٢) لابن القيم (البداية والنهاية) (٢/٢١٨)، (الرحيق المختوم) (ص٦٤) للمباركفوري، (صحيح السيرة النبوية)(ص١٠) للألباني(هذا الحبيب يا محب) (ص٦٨) لأبي بكر الجزائري.

(٢) انظر (صحيح السيرة النبوية) (ص١٦) للألباني.

نتائج وعبر:

لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبر نوجزها فيما يلي:

(١) بيان عدد مرضعاته وأنهن ثلاث الأم السريّة آمن، وثويبة مولاة عمه أبي لهب، وحليمة السعدية – رضي الله عنها.

(٢) بيان مدة رضاعه وأنها كانت حولين كاملين وهي المدة التي قررها الإسلام.

(٣) بيان ما نال حليمة السعدية وأسرتها من خير وبركة وما فازت من شرف لا يقادر قدره بإرضاعها رسول الله ﷺ وحبها له.

(٤) حبّ النبي ﷺ موجب للخير دافع للشّر فإن حب أبي لهب له لما بشر بولادته نفعه فرؤى في المنام وإنه يعذب لموته الشرك والكفر إلا أنه يمتص من أنملته ماءً كل يوم اثنين وهو يوم ولادته ﷺ وتبشيره به.

(٥) تقرير الإسلام لمشروعية الإرضاع حولين كاملين لمن أراد ذلك.

(٦) بيان إعداد الله تعالى عبده ورسوله محمداً ﷺ لتلقي الوحي عنه بشق صدره ونزع مغمز الشيطان منه حتى لا يبق له محل ينزل به ليوسوس.

(٧) بيان آيات نبوّته التي رأتها آمنة والدته يوم حملها ويوم وضعها.

(٨) جواز الاعتزاز بالخير الذي يعطيه الربّ تبارك وتعالى عبده، ويكرمه به لكن مع شكر المنعم سبحانه وتعالى على ما أولى العبد من خير وفضل.

[في اسمائه ﷺ] روى جبير بن مطعم قال : قال رســـول الله ﷺ : ((**إني أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي حشر النّاس** [١]**، وأنا العاقب الذي ليس بعدي نبي**))[٢]

وروى أبو موسى عبد الله بن قيس: قال: سمى لنا رسول الله، ﷺ، نَفْسَهُ أسماء، منها ما حفظنا ، فقال: ((**أنا محمد ، وأنا أحمد، والمقفّي ، وونبي التوبة ، ونبي الرحمة**)) وفي رواية : ((**ونبي الملحمة**)) وهي المقتلة. [٣]

وسمَّاه الله عز وجلّ – في كتابه العزيز:

(بشيراً) و(نذيراً) قال تعالى : ((**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلاَ تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ**)) [البقرة:١١٩]

و(رؤوفاً) و(رحيماً) قال تعالى: ((**لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ**)) [التوبة:١٢٨]

و(رحمة للعالمين) قال تعالى: ((**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**)) [الأنبياء:١٠٧]

---

(١) الحاشر: يتقدم عليه السلام الناس يوم المحشر ويحشر الناس على أثره .

(٢) رواه البخاري (٣٥٣٢) ،(٤٨٩٦) ، ومسلم(٢٣٥٤) .

(٣) رواه مسلم (٢٣٥٥) ، أما رواية (نبي الملحمة) فهي عند أحمد في (المسند)(٤/٤٠٧،٤٠٤،٣٩٥) وابن حبان في (صحيحه)(٦٣١٤) وفي لفظ (نبي الملاحم) في (المسند)(٥/٤٠٥) و(الشمائل)(١٩١) تحقيق الألباني ، وقال : إسناده حسن ، والملاحم : جمع ملحمة وهي الحرب ، سميت بذلك لاشتباك لحوم الناس فيها بعضهم ببعض .

[كفلاء الحبيب محمد ﷺ وحاضنته]

لقد عادت بالحبيب ﷺ مرضعته حليمة السعدية لتكفله أمه آمنة، ويرعاه جده عبد المطلب، والله تعالى وحافظهم، وبهذا كانت آمنة الوالدة أول كافل للنبي ﷺ في صباه، وشاء الله تعالى أن تخرج آمنة بغلامها الزكي النقي الطاهر إلى يثرب

{المدينة المنورة} لتزيره أخواله من بني عدي بن النجار إذ هم أخوال أبيه، وخال الأب خال الابن، لأن أم عبد المطلب، والدة عبد الله هي سلمى بنت عمرو النجارية. ولما وصلت آمنة الأبواء عائدة من المدينة إلى مكة أدركتها المنية فماتت بها، وحضنت الحبيب محمداً الغلام اليافع مولاة أبيه أم أيمن بركة باركها الله ورضي عنها، إنها أم أسامة حب رسول الله ﷺ ابن حبه زيد بن حارثة مولاه ﷺ وأرضاه، فوصلت به حاضنته أم أيمن مكة المكرمة، فسلمته إلى جده عبد المطلب فكفله، فكان ثاني الكفلاء لرسول الله ﷺ ، ولقد لقى محمد الغلام الطاهر من الحفاوة والتكريم والإجلال والتقدير من جده الكفيل ما لا يقادر قدره، ولا يعرف مداه. ومات الجد الرحيم والكافل الكريم وسن النبي ﷺ ثمان سنوات ليكفله بوصية خصوصيته من عبد المطلب عمه أبو طالب وهو شقيق أبيه. فكان أبو طالب ثالث الكفلاء لرسول الله ﷺ في صباه، وما زال في كفالته حتى بلغ سن الرشد، ثم لا زمه أبو طالب العم الكفيل فلم يتركه ولم يسلمه لقريب ولا لبعيد حتى قبضه الله، في السنة الحدية عشرة من البعثة النبوية العظيمة . ومات أو طالب – مع الأسف – على غير ملة الإسلام – لما سبق في قضاء الله تعالى – أنه يموت غير مسلم، ولا راد لما قضى الله.

نتائج وعبر :

إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً هي كالتالي:

(١) بيان يُتْمْ النبي ﷺ ، إذ مات والده وهو حمل لم يولد بعد، وماتة والدته وهو في السنة السادسة من عمرة ٠ وفي القرآن الكريم: ((**أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى**)) [الضحى:٦]

(٢) بيان من شرّفه الله تعالى بكفالة نبيه أيام طفولته ﷺ.

(٣) بيان شرف بركة أم أيمن مولاة رسول الله ﷺ إذ أكرمها الله بحضانته بعد وفاة أمه ﷺ .

(٤) تقرير عقيدة القضاء والقدر، وأن السعيد من سعد في بطن أمه، والشقي من شقى في بطن أمه كذلك، إذا رفعت الأقلام وجفت الصحف بما هو كائن.

(٥) بيان أن فعل الخير لا يعدم فاعله جوازيه. [١] فإن أبا طالب أخبر النبي ﷺ عنه أن في النار لموته على غير الإسلام وأخبر أنه يخفف عنه العذاب لما قد لرسول الله ﷺ من عون وحماية طيلة حياته معه في مكة.[٢]

---

(١) الجوازي: جمع جاز أي لا يعدم جزاء عليه

(٢) (هذا الحبيب يا محب)(ص٦٩-٧١) لأبي بكر الجزائري.

[نشأته ﷺ بمكة وخروجه مع عمه أبي طالب إلى الشام وقصته مع بَحيرى الراهب ، وزواجه بخديجة]

طهَّره الله – عز وجل – من دَنَس الجاهلية ومن كلّ عيب ، ومنحه كل خلق جميل ، حتى لم يكن يُعرف بين قومه إلاّ بالأمين، لما شاهدوا من أمانته وصدق حديثه وطهارته . خرج أبو طالب إلى الشام ومعه رسول الله ﷺ في أشياخ من قريش ، فلما أشرفوا على الراهب – يعني : بَحيرى – هبطوا فحلوا رحالهم، فخرج إليهم الراهب، وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج ولا يلتفت إليهم. قال: فنزل وهو يحلون رحالهم ، فجعل يتخللهم حتى جاء فأخذ بيد النبي ﷺ ، فقال: هذا سيد العالمين – وفي رواية البيهقي – هذا رسول رب العالمين، يبعثه اللخ رحمة للعالمين.

فقال له أشياخ من قريش: وما علمَّك؟ فقال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجداً، ولا يسجدون إلا لنبي، وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه ثم رجع فصنع لهم طعاماً، فلما أتاهم به – وكان هو في رعية الإبل – فقال: أرسلوا إليه . فأقبل وغمامة تظله، فلما دنا من القوم قال: انظروا إليه عليه غمامة! فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء شجرة، فلما جلس مال فيء الشجرة عليه، قال: انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه.

قال: فينما هو قائم عليهم وهو ينشـــدهم ألا يذهبوا به إلى الروم، فإن الروم إن رأوه عرفوه بالصفة فقتلوه، فالتفت، فإذا هو بسبعة نفر من الروم قد أقبلوا، قال: فاستقبلهم، فقال: ما جاء بكم؟ قالوا: جئنا أن هذا النبي خارج في هذا الشهر، فلم يبق طريق إلا بعث إليه ناس، وأخبرنا خبره إلى طريقك هذا.

قال: فهل خَلْفكم أحد وهو خير منكم؟ قالوا: لا إنما أخبرنا خبره إلى طريقك هذه. قال أفرأيتم أمراً أراد الله أن يقضيه ،؛ هل يستطيع أحد من الناس رده؟

فقلوا لا. قال: فبايعوه وأقاموا عنده، قال:

فقال الراهب: أنشـدكم الله أيكم وليه؟ قالوا: أبو طالب ٠فلم يزل يناشـده حتى رده، وبعث معه أبو بكراً وبلالاً، وزوده الرهب من الكعك والزيت. [1] ثم خرج ثانياً ﷺ إلى الشام مع مَيْسَرة غلام خديجة – رضي الله عنها – في تجارة لها قبل أن يتزوّجها، حتى بلغ إلى سوق بصرى، فباع تجارته.

---

(١) رواه الحافظ أبو بكر الخرائطي من طريق يونس بن أبي إسحاق عن أبي بكر بن أبي موسى عن أبيه ٠ فذكره ٠٠) قال الألباني : هكذا رواه الترمذي والحاكم والبيهقي وابن عســاكر وغير واحدمن الحفاظ ، وقال الترمذي : (حســن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ٠) قلت : وهو قول الألباني : فيه من الغرائب أنه من مرسلات الصحابة ؛ فإن أبا موسى الأشعري إنما قدم في (سنة خيبر سـنة سـبع من الهجرة فهو مرسـل – ثم قال – رحمه الله تعالى : ولمثل هذه الاحتمالات تقرير في مصـطلح الحديث / أن مراسـيل الصــحــابــة حــجــة ٠ انــظــر(صــحــيــح الســيــرة الــنــبــويــة لــلألــبــاني)(ص٢٩-٣١).

نتائج هذا المظهر:

إن لهذا المظهر من الكمال المحمدي نتائج نجملها فيما يلي:

(١) بيان مدى حب أبي طالب للنبي ﷺ.

(٢) آية تظليل الغمامة للنبي ﷺ.

(٣) تقرير النبوة المحمدية بشهدة بحيرى الراهب.

(٤) عصمة النبي ﷺ قبل بعثته من الشرك لبغضه الحلف باللات والعزى.

(٥) حرمة الحلف بغير الله تعالى، وأن الحلف بغير الله شرك.

[في منشئته عليه الصلاة والسلام ومرباه وكفاية الله له، وحياطته، وكيف كان يتيماً فأواه وعائلاً فأغناه]

قال جابر بن عبد الله:

لما بنيت الكعبة ذهب رسول الله ﷺ ينقل الحجارة ، فقال العباس لرسول الله ﷺ : اجعل إزارك على عاتقك من الحجارة ، ففعل فخرَّ إلى الأرض ، وطمحت عيناه إلى السماء ، ثم قام فقال : ((**إزاري**)) فشُدَ عليه إزاره.(١)

وعن زيد بن حارثة قال :

كان صنم من نحاس يقال له : (إساف ونائلة) – يتمسح به المشركون إذا طافوا ، فطاف رسول الله ﷺ وطفت معه ، فلما مررت مسحت به ، فقال رسول الله ﷺ : ((**لا تمسه**)) قال زيد : فطفنا ، فقلت في نفسي : لأمسنه حتى أنظر ما يكون. فمسحته ، فقال رسول الله ﷺ : ((**ألم تُنْهَ ؟!**)) قال زيد: فوالذي أكرمه وأنزل الكتاب ؛ ما استلم صنماً قط حتى أكرمه الله تعالى بالذي أكرمه وأنزل عليه. (٢)

---

(١) رواه البخاري ومسلم. انظر (البداية والنهاية) (٢/٢٢٨) (صحيح السيرة النبوية) للألباني (ص٣٢) للألباني.

(٢) رواه البيهقي. انظر (البداية والنهاية) (٢/٢٢٨) لابن كثير، (هذا الحبيب يا محب) (ص٧٥) لأبي بكر الجزائري. (صحيح السيرة) (ص٣٢) للألباني.

نتائج هذا المظهر :

إن لهذا المظهر نتائج هي كالتالي :

(١) عناية الله بنبيّه ﷺ وحفظه له من كل ما يسيء إلى مقامه الرفيع ومكانته السامية.

(٢) كشف العورات مما جاء الإسلام بتحريمه ومنعه إلا من ضرورة تطبيب ونحوه.

(٣) بيان مشاركة النبي ﷺ قومه فيما هو خير ومعروف، وهو مظهر من مظاهر كماله ﷺ ذاتاً وروحاً وخلقاً.

حرب الفجار:

ولخمس عشـــرة من عمره ﷺ كانت حرب الفجار بين قريش ومن معهم من كنانة وبين **قيس عيلان** ، وكان قائد قريش وكنانة كلها حرب بن أمية لمكانته فيهم سـناً وشـرفاً ، وكان الظفر في أول النهار لقيس على كنانه ، حتى إذا كان في وســـط النهار كان الظفر لكنانه على قيس.**وسميت بحرب الفجار لانتهاك حرمات الحرم والأشـهر الحرم فيه**، وقد حضـر هذه الحرب رسـول الله ﷺ ، وكان ينبل على عمومته ، أي يجهز لهم النبل للرمي .[1]

حلف الفضول:

حضـوره ﷺ حلف الفضـول إن حلف الفضـول كان بعد حرب الفجار التي كانت حرباً فيها أهلها بانتهاكهم حرمة الشـهر الحرام ، وقد دارت تلك الحرب بين كنانة وقريش من جهة ، وقريش من جهة أخرى ، وكان سـببها تافهاً لم يعدُ قتل رجل من قريش تداعى بعده الحلاف للقتال ، ولما انتهت تلك الحرب الفاجرة الخاســـرة إذ هي من عمل الجاهلية دعت قريش إلى حلف الفضـــول، وسـببه أن رجلاً من زبيد جاء مكة ببضـاعة فاشـتراها من العاص بن وائل وكان ذا قدر وشرف في مكة فمنعه حقه فاستدعى الزبيدي الأحلاف على العاص ، وهم عبد الدار ، ومخزوم وجُمَح ، وسهم ، وعديّ فأبوا أن يعينوه على العاص بن

وائل فما كان منه إلا أن علا جبل أبي قيس، وصاح بشعر يصف ظلامته. وعندما مشى الزبير بن عبد المطلب وقال: ما لهذا مترك فاجتمعت هاشم وزهرة وتميم بن مرة في دار عبد الله بن جدعان ومعهم النبي ﷺ وكان **عمره إذ ذاك عشرين سنة**، فصنع لهم عبد الله طعاماً و**تحالفوا وهم في شهر ذي الحجة** أي حلف بعضهم لبعض متعاهدين متعاقدين بالله ليكونُنَّ يداً واحدةً مع المظلوم على الظالم حتى يؤدى إليه حقه ما بل بحر صوفه، فسمت قريش ذلك الحلف (**حلف الفضول**) وقالوا فقد دخل هؤلاء في فضل من الأمر، ثم مشوا إلى العاص بن وائل، وانتزعوا منه حق الزبيدي.

وهذا قال الزبير بن عبد المطلب وهو عم النبيّ ﷺ :

إن الفضول تحالفو وتعاقدوا ألاّ يُقيم ببطن مكة ظالمُ

أمر عليه توافقوا وتعاقدوا فالجار والمعتر فيه سالمُ (٢)

وفي هذا الحلف يقول الرسول ﷺ في الإسلام: ((**شهدت مع عمومتي حلف المطيَّبين ، فما أحب أن أنكُثَه – أو كلمة نحوها – وأن لي حُمْرَ النَّعَم**)) (٣)

---

(١)(مختصر سيرة الرسول للشيخ عبد الله النجدي(ص١٦) (السيرة النبوية)(١/ ١٨٤-١٨٦)لابن هشام ،(الرحيق المختوم)(ص٦٨)لمباركفوري (هذا الحبيب يا محب)(ص٧٧)لأبي بكر الجزائري (صحيح السيرة النبوية) (ص٣٥)للألباني

(٢) انظر (ها الحبيب يا محب) (ص٧٨) لأبي بكر الجزائري.

(٣) رواه البيهقي، وقال الألباني: إسناده حسن، وله شواهد. انظر (صحيح السيرة النبوية)(ص٣٥) للألباني.

نتائج هذا المظهر :

إن لهذا المظهرمن الكمال المحمدي نتائج وعبراً نلخصها فيما يلي :

(١) شعور أهل الجاهلية بالخطيئة وكراهيتهم لها ، ولذا سموا الحرب التي انتهكوا فيها حرمة الحرم بحرب الفِجار ، وهو فِعال من الفجور ؛ إذ تبادلوا فيه الفجور فسار فعالاً من باب فاعل كقاتل قتالاً .

(٢) بيان ظلم وطغيان العاص بن وائل ، وهو الذي وقف في وجه الدعوة الإسلامية يحاربها حتى مات إلى جهنم .

(٣) بيان مروءة الزبير بن عبد المطلب ، إذ هو الذي كان السبب في تكوين حلف الفضول ، وعادة حق الزبيدي غليه بعد انزاعه من العاص بن وائل .

(٤) بيان فضل بني هاشم على غيرهم ، وحسبهم شرفاً مفخارهم الجمة وكون النبي ﷺ منهم.

(٥) تقرير الكمال المحمدي وتأكيده بحضوره ﷺ هذا الحلف، ومفاخرته به في قوله الثابت الصحيح : ((**شهدت مع عمومتي حلف المطيَّبين ، فما أحب أن أنكُثَه – أو كلمة نحوها – وأن لي حُمْرَ النَّعَم**))[1]

---

(١) رواه مسلم. وعبد الله بن جدعان يكنى بأبي زهير وهو تيمي من قرابة عائشة ولذا سألت عنه – رضي الله عنها.

(٦) عدم انتفاع العبد بما يعمله من الخيرات والصالحات إذا مات مشركاً لقول الرسول ﷺ لعائشة وقد سألته عن عبد الله بن جدعان : ((**إنه لم يقل يوماً من الدهر ربّ اغفر لي خطيئتي يوم الدين**)) [١] أي لا ينفعه عمله الصالح لموته على الشرك. [٢]

حياة الكدح والعمل:

ولم يكن له ﷺ عمل معين في أول شبابه، إلا أن الروايات قالت أنه كان يرعى الغنم، رعاها في بني سعد، وفي مكة لأهلها على قراريط، كما صح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : ((**ما بعث نبياً إلا رعى الغنمَ، وأنا كنتُ أرعاها لأهل مكةَ بالقراريط**)) وفي الخامسة والعشرين من سنة خرج تاجرا إلى الشام في مال خديجة رضي الله عنها.

وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال في مالها، وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم، وكانت قريش قوماً تجاراً فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها من صدق حديث، وعظم أمانته وكرم أخلاقه بعثت إليه، فعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجراً، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار، مع غلامها ميسرة حتى قدم الشام. [٣]

---

(١) انظر (هذا الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم يا محب) (ص٧٩) لأبي بكر جابر الجزائري ٠

(٢) رواه البخاري وابن ماجه.

(٣) (السيرة النبوية)(١٨٧/١)(البداية والنهاية)(٢٣٤/٢) لابن كثير(مختصر السيرة)ص٣١) لعبد اغني المقدسي – تحقيق خالد الشايع (الرحيق المختوم)(ص٦٩) للمباركفوري ٠(صحيح السيرة لنبوية)(ص٣٨) للألباني ٠

زواجه من خديجة رضي الله عنها:

ولما رجع إلى مكة، ورأت خديجة في مالها من الأمانة والبركة ما لم تر قبل هذا، وأخبرها غلامها ميسرة بما رأى فيه ﷺ من خلال عذبة، وشمائل كريمة، وفكر راجح، ومنطق صادق، ومنهج أمين.

وجدت ضالتها المنشودة – وكان السادات والرؤوساء يحرصون على زواجها، فتأبى عليهم ذلك – فتحدثت بما في نفسها إلى صديقتها نفيسة بنت منية، وهذه ذهبت إليه ﷺ تفاتحه أن يتزوج خديجة، فرضي بذلك، وكلم أعمامه، فذهبوا إلى عم خديجة، وخطبوها إليه، وعلى أثر ذلك تم الزواج، وحضر العقد بنو هاشم ورؤساء مضر، وذلك بعد رجوعه من الشام بشهرين، وأصدقها عشرين بكرة، وكانت سنها إذ ذاك أربعين سنة، وكانت يومئذ أفضل نساء قومها نسباً وثروة وعقلا، وهي أول امرأة تزوجها رسول الله ﷺ ، ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت. [٢]

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر (البداية والنهاية) (٢/٢٣٧) لابن كثير (السيرة النبوية) لابن هشام (١/١٩٢)(الرحيق المختوم) (ص٧١-٧٢) لصفي الرحمن المباركفوري.

نتائج وعبر:

(١) بيان ما حبا الله تعالى به نبيه من الكمالات النفسيّ، التي رغبت خديجة في الزواج به.

(٢) مشروعية إبداء المرأة رغبتها في الرجل تريد الزوج به.

(٣) مشروعية الخطبة للزواج وتولي ذلك الزوج كما تولى حمزة وأبو طالب خطبة خديجة من والدها خويلد بن أسد.

(٤) بيان شرف خديجة أم المؤمنين وهي حقاً سيدة نساء قريش، وقد جاء جبريل ببشارة لها من أعظم البشريات جاء بها من الله عز وجل وهي: إن الله يقول لك – يريد رسول الله – **أقرىء منّي السلام وبشرها بقصر في الجنة من قصب.** (١)

---

(١) صحيح. أخرجه أحمد في (المسند) (١/٢٠٥) والطبراني في (الكبير) (٢٣/١٠) والحاكم (٣/١٨٤، ١٨٥) وانظر (الذرية الطاهرة النبوية) للإمام الحافظ / أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد الدولابي(٢٢٤-٣١٠هـ) حققه وخَرَّج أحاديثُ – سعد المبارك الحسن- دولة الكويت.

بناء الكعبة وقضية التحكيم :

ولخمس وثلاثين ســـنة من مولده ﷺ قامت قريش ببناء الكعبة ، وذلك لأن الكعبة كانت رضـما فوق القامة ، ارتفاعها تسـعة أذرع من عهد إسماعيل ، ولم يكن لها سقف ، فسرق نفر من اللصوص كنزها الذي كان في جوفها ، وكانت مع ذلك قد تعرضـــت – باعتبارها أثر قديماً – للعوادي التي أدهت بنيانها ، وصعدت جدرانها ، وقبل بعثته ﷺ بخمس سنين جرف مكة سيل عرم ، انحدر إلى البيت الرحام ، فأوشـكت الكعبة من على الانهيار ، فاضـطرت قريش إلى تجديد بنائها حرصاً على مكانتها ، واتفقوا على أن يدخلوا في بنائها إلا طيباً ، فلا يدخلوا فيها مهر بغي ، ولا بيع ربا ، ولا مظلمة أحد من الناس ، وكانوا يهابون هدمها ، فابتدأ بها الوليد ابن المغيرة المخزومي ، وتبعه الناس لما رأوا أنه لم يصـبه شـيء ، ولم يزالوا في الهدم حتى وصـلوا إلى قواعد إبراهيم ، ثم أرادوا الأخذ في البناء ، فجزأوا الكعبة ، وخصـصـوا لكل قبيلة جزء منها ، فجمعت كل قبيلة حجارة على حدة ، وأخذوا يبنونها ، وتولى البناء بناء رومي اسمه (**باقوم**) ، ولما بلغ البنيان موضـع الحجر الأسـود اختلفوا فيمن يمتاز بشـرف وضعه في مكانه ، استمر النزاع أربع ليال أو خمساً ، واشتد حتى كاد يتحول

إلى حرب ضـــروس في أرض الحرم ، إلا أن أبا أمية بن المغيرة المخزومي عرض عليهم أن يحكموا فيما شجر بينهم أول داخل عليهم من باب المسجد فارتضواه ، وشـــاء الله أن يكون ذلك رســـول الله ﷺ ، فلما رأوه هتفوا : هذا الأمين ، رضـــيناه ، هذا محمد . فلما انتهى إليهم ، وأخبروه الخبر طلب رداء ، فوضـــع الحجر وسـطة ، وطلب من رؤسـاء القبائل المتنازعين أن يمسـكوا جميعاً بأطراف الرداء ، وأمرهم أن يرفعوه ، حتى إذا أوصلوه إلى موضعه أخذه بيده ، فوضعه في مكانه ، وهذا حل حصيف رضي به القوم.

وقصـرت بقريش النفقة الطيبة فأخرجوا من الجهة الشـمالية نحو من سـتة أذرع، وهي التي تســـمى بالحجر الحطيم، ورفعوا بابها من الأرض؛ لئلا يدخلها إلا من أرادوا، ولما بلغ البناء خمسة عشر ذراعاً سقفوه على ستة أعمدة. (١)

---

(١) (البداية والنهاية) (٢٣٧/٢) لابن كثير (السـيرة النبوية) (١٩٢/١) لابن هشـام (الرحيق المختوم) (ص٧١- ٧٢) صفي الرحمن المباركفوري.

دنو ساعة طلوع الشمس المحمدّية :

لقد بلغ الحبيب الآن الأربعين [ونصف السنة] [١] من عمر ﷺ ، وأخذت ساعة طلوع الشمس المحمدية تقترب ، وها هو ذا ﷺ إن غد لحاجة أو راح لا يمر بشجر ولا حجر إلا قال له : **السلام عليك يا رسول الله** ، فيلتفت حوله يميناً وشمالاً فلا يرى أحد سوى الشجر والحجر يسلم عليه . فكانت هذه مقدمة الأنباء العظيم .[٢]

طلوع الشمس المحمدية:

وفي ليلة الإثنين من شهر ربيع الأول طلعت الشمس المحمدية حيث صال لا يرى رؤيا في ليله إلا جاءت كفلق الصبح.

وهذا الزهري يروي عن عروة عن خالته عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وأرضاها قولها : أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من النبوة حين أراد الله كرامته ، ورحمة العباد به الرؤيا الصادقة لا يرى رسول الله ﷺ رؤيا في نومه إلاَّ جاءت كفلق الصبح ، قالت : وحُبِبَ إليه الخلوة : فلم يكن شيء أحب إليه من أن يخلُوَ

---

(١) هذا ما رجَّحه الحافظ ابن حجر في (الفتح)(١٦٤/٧) ، أن عمر النبي ، ﷺ ، حين أنزل عليه كان أربعين سنة وستة أشهر ، وذلك على اعتبار ما ثبت في الصحيح أنه ، ﷺ ، بعث على رأس أربعين ، وأنه ، ﷺ أنزل عليه في رمضان ، وعلى المشهور من أن مولده ، ﷺ ، في شهر ربيع الأول . أنتهى . قال محقق (مختصر السيرة النبوية) خالد الشايع : وهذا موافق لما ذكره المؤلف حيث لم يذكر الكسور على عادة العرب في ذلك.

(٢) (السيرة النبوية)(٢٣٤/١) لابن هشام .

وحده. واختار ﷺ لخلوته المحبّبةّ إليه جبل حراء [١] وهو أحد جبال مكة المطل عليها فكان يخلو به مجاوراً فيه يتحنّث – أي يزيل الحنث عنه – وهو ما يراه ويسمعه من الشرك والباطل بين أفراد قريش.

وفي ليلة من ليالي رمضان المبارك ولعلها السابع عشر من نزل عليه جبريل عليه السلام يحمل بشرى النبوّة تمهيداً لحمل الرسالة إلى الناس كافة .

وها هو إمام المحدثين البخاري – رحمه الله ورضي عنه – يروي لنا عن أمنا عائشة رضي الله عنها قصة بدء الوحي.

إذ تقول : أول ما بدىء به رسول الله ﷺ الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حُبِّبَ إليه الخلاء ، فكان يخلو بغار حراء ، فيتحنّث فيه – وهو التعبد – الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع [٢] إلى أهله وتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء.

---

(١) يكلف بعض المسلمين أنفسهم بصعود هذا الجبل وزيارته في موسم الحج وغيره، ويفعلون ذلك تقليداً وابتغاء للأجر ، وبعضهم يتحنثون فيه ، ويظنون موطن دعاء وذكر ، فيأتون بالأدعية والأذكار ، وهذا بدع مردودة على صاحبها ، قال رسول الله ﷺ (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) رواه البخاري ومسلم.

(٢) ينزع : يرجع .

فجاءه الملك فقال : اقرأ ، قال: ((**ما أنا بقارىء**)) قال: ((**فأخذني فغَطَّني** [١] **حتى بلغ مِنِّي الجَهْد ، أرسلني ، فقال : اقرأ ، فقلت ما أنا بقارىء ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال** : ((**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ {١} خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ {٢} اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ {٣} الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ {٤} عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**)) [العلق:١-٥] فرجع بها رسول الله ﷺ يَرْجُفُ فؤادُهُ ، فدخل على خديجة بنت خويلد فقال : ((**زملوني** [٢] **زملوني**)) فزملوه حتى ذهب عنه الرَّوْع [٣] فقال لخديجة وأخبرها الخبر : ((**لقد خشيت على نفسي**)) ، فقالت : كلا والله ما يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل [٤]، وتكسب المعدوم [٥] وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق [٦].

---

(١) **غطني** : ضمني إليه كما تضم الأم ولدها إلى صدرها رحمة به وشفقة عليه .

(٢) **زملوني** : أدخلوني في ثيابي وغطوني بها .

(٣) **الروع** : الفزع والخوف .

(٤) **التعب** :الحسر من الإعياء .

(٥) **المعدوم** : يعطي المال المن هو عادمه . انظر(صحيح السيرة)(ص٩٢) للألباني .

(٦) انظر (هذا الحبيب يا محب)(ص٨٣). (الرحيق المختوم)(ص٧٧)

نتائج وعبر :

إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نجملها فيما يأتي :

(١) تقرير سنة غالبة وهي أن الأنبياء يرسلون على رأس الأربعين من أعمارهم .

(٢) بيان آية النبوة المحمدية وهي سلام تالأشجار والأحجار عليه ﷺ

(٣) تقرير أن الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوّة إذ فترة الوحي كانت ثلاثاً وعشرين سنة منها ستة أشهر كانت مناماً.

(٤) مشروعية العزلة إذا فسد الناس وأصبح المؤمن لا يسلم من شرهم .

(٥) بيان أن أول ما نبّيء به النبي ﷺ هو ((**اقرأ باسم ربّكَ**))وأن النبوة كانت قبل الرسالة ؛ إذ نبّيء ﷺ باقرأ وأرسل بالمدثر وبينهما فترة من الزمن .

(٦) تعين القراءة على المسلم وطلب العلم والتعلم، إذ ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .[١]

---

(١) جميع النتائج والعبر من كتاب (هذا الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم يا محب)(ص٨٤) لأبي بكر جابر الجزائري . المدرس في الجامعة الإسلامية والمسجد النبوي .

نور الإسلام تضيء دار خديجة ويطلع على على ورقة بن نوفل.

انطلقت خديجة برسول الله ﷺ حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة – وكان امرءا تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عمى – فقالت خديجة : يا ابن عم ! اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي ما ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة : هذا الناموس الذي نزله الله على موسى ، يا ليتني فيها جذعاً ، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك ، فقال رسول الله ﷺ : ((**أو مخرجي هّم ؟**)) قال : نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزاً ، ثم لم ينش ورقة أن توفي وفتر الوحي.[1] وحمل خديجة حرصها على تجلّي الحقيقة ومعرفة الأمر على حقيقته ليكون إيمانها بعلم ويقين فأجرت الاختبار التالي : فقالت لرسول الله ﷺ : يا ابن عم هل تستطيع أن تخبري بصحابك هذا الذي يأتيك إذ جاءك ، قال: ((**نعم**)).قالت : فإذا جاءك فأخبرني به ، فجاءه جبريل عليه السلام كما كان يجيئه ، فقال رسول الله ﷺ لخديجة : ((**يا خديجة هذا جبريل قد جاءني**)) ، قالت : قم يا ابن عمر فاجلس على فخذي اليسرى فقام رسول الله ﷺ فجلس على فخذها اليسرى ، قالت هل تراه ؟ قال : ((**نعم**))، قالت : فتحول فاجلس على فخذي اليمنى ، فتحول وجلس ، وقالت : هل تراه ؟ قال : ((**نعم**)). فتحسرت وألقت خمارها ورسول الله ﷺ جالس في حجرها ثم قالت : هل تراه ؟ قال :((**لا**)) ، قالت : يا ابن عم اثُبت وأبشِر فوالله إنه مَلَك ، وما هو بشيطان.

وبهذا كانت خديجة أول من استضاء بنور النبوّة المحمدية وأول من آمن برسول الله ﷺ والوحي الذي جاءه ، كما أن ورقة كان أول الفائزين بالأسبقية لو لا المنيّة اخترمته فلم يشهد ضحى الشمس المحمدية.[1]

نتائج وعبر:

إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبر منها:

(١) بيان كمال عقل خديجة وصحة علم ورقة، وفضل كل منهما وكماله الروحي

(٢) بيان ذكاء خديجة وسلامة فطرتها بإجرائها ذلك الاختبار العجب الذي كانت نتيجة تقرير النبوَّة المحمدية فآمنت على علم وبيقين فرضى الله عنها وأرضاها.

(٣) الملائكة تكون مع الحياء والستر، والشياطين تكون مع الفحش والوقاحة والعري.

(٤) استحباب ستر المرأة رأسها ولو في خلوتها حتى لا تقربها الشياطين.

---

(١)(السيرة النبوية)(٢٣٨/١)،(الرحيق المختوم)(ص٧٧- ٧٨) ،(هذا الحبيب يا محب)(ص٨٦ – ٨٧)،(صحيح السيرة النبوية)(ص٩٢) . (٢) المصدر السابق .

فترة الوحي

فتر الوحي أيام [١] وقد بقى النبي ﷺ فيما بلغنا حزنا عدا منه مرارا كي يترى من رؤس شواهق الجبال ، فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه تُبدى له جبريل فقال : يا محمد إنك رسول الله حقاً ، فيسكن لذلك جأشه ، وتقر نفسه ، فيرجع ، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك ، فإذا أوفى بذروة الجبل تبدى له جبريل فقال مثل ذلك .[٢] وتمضي الأيام وفجأة وهو يمشي يسمع صوتاً من السماء فيرفع بصره فإذا الملك الذي جاءه بغار حراء قاعد على رفرف بين السماء والأرض ، فرعب من أشد الرعب ورجع إلى أهله يقول : (**زملوني زملوني**)) [٣] فأنزل الله تعالى قوله : ((**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ {١} قُمْ فَأَنذِرْ {٢} وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ {٣} وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ {٤} وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ {٥} وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ {٦} وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ**)) [المدثر:١-٧]

---

(١)انظر (فتح الباري)(١/٢٧)،(١٢/٣٦٠)

(٢)(الرحيق المختوم)(ص٧٩ – ٨٠) ،(صحيح السيرة)(٩٦ ، ٩٧) للألباني (هذا الحبيب يا محب)(٨٧ –٨٨) .

(٣) رواه البخاري –كتاب التفسير باب والرجز فهجر(٢/٧٣٣)

نتائج وعبر:

إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نلخصها فيما يلي:

(١) تشـويق الرسـول ﷺ إلى الوحي بانقطاعه عنه مدة من الزمن الأمر الذي تألم له رسول الله أشد الألم .

(٢) لطف الله تعالى ورحمته بنبيّه ﷺ إذ كان يرسـل إليه جبريل يناديه ويطمئنه ويبشره بأنه رسول الله حقاً .

(٣) بيان أول ما أرسل به ﷺ وهو النذارة، والبشارة لازمة لمن قبل النذارة فآمن ووحّد الله في عبادته ، وتابع الرسول فيما جاء به .

دعوته ﷺ السرية خلال الثلاث السنوات الأولى

ومن هنا بدأ ﷺ دعوته السرية بعرضها على من يرى فيه الإستعداد لقبولها فكان أول من أسلم من الصبيان خديجة بنت أم المؤمنين – رضي الله عنها وأرضاها وأول من أسلم من الصبيان عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه إذ أسلم وعمره عشر سنين، وصلى مع رسول الله ﷺ متخفيْين بصلاتهما عن أعين قريش.(١)

وأول من أسلم من الرجال أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

وأول من أسلم من الموالي زيد بن حارثة بن شُرَحْبيل الكلبي، وكان عبداً لحكيم بن حزام فوهبه لعمته خديجة بنت خويلد ، وهي زوجة لرسول الله ﷺ يومئذ فاستوهبه منها رسول الله ﷺ فوهبته إياه ، فعتقه ﷺ وتبنّاه وذلك قبل البعثة النبوية. وكان زيد قد خرجت به أمه وهو ابن ثمانية أعوام لِتُزِيره بعض أقربائه فأصابته خيل من بني القين فباعوه في سوق حَبّاشة من أسواق العرب ، فاشتراه حكيم بن حزام في جملة أعبد ووهبه خديجة كما تقدم وقد حزن لفراقه والده وقال فيه قصدية منها الأبيات التاية:

بكيت على زيد ولم أدر مـا فـعل أحيٌّ فُيرجى أم أتى دونه الأجــلْ

فوالله ما أدري وإني لسائـــــل أغالك بعدي السهل أم أغالك الجبلْ

ويا ليت شِعري هل لــك الدَّهرَ أوبَةٌ فحسبي من الدنيا رُجوعُك لى بَجَل

تذكّرنيه الشمـس عنــد طـلوعها وتعرض ذكراهُ إذا غربُهــا أفـلْ

وإن هبت الأريـــاح هيـجن ذكْرَهُ فيا طول ما حزني عليه وما وَجَـلْ

سأعمل نصَّ العيس في الأرض جاهداً ولا أسأمُ التطوافَ أو تســأم الإبل

حياتي أو تأتــي علــيَّ مَــنِيّتي فكـل امرىء فـانٍ وإن غـرَّه الأمل

وبعد زمن قدم والده مكة وعرف وعرّف ولده زيداً، وخيَّره الرســـول ﷺ بين الذهاب مع والده وبين البقاء معه فاختار رسـول الله ﷺ ولذا عتقه وتبنّاه وكان يعرف بزيد بن محمد حتى جاء الإسـلام وحرَّم التبنّي فأَبح يُعرَفُ بزيد ابن حارثة بدل محمد ﷺ.

نتائج وعبر:

إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبر منها:

(١) بيان ما أمر رسول الله ﷺ بعد فترة الوحي من النذارة والتوحيد، والطهارة ، والاستمرار على هجران الأوثان .

(٢) بيان أن أول من أسلم من النساء خديجة ، ومن الصبيان علي ، ومن الرجال أبو بكر ومن الموالي زيد بن حارثة رضي الله عنهم أجمعين.

(٣) بيان سبب عتق زيد وتبنّي الرسول ﷺ له ، وهو اختياره للرسول ﷺ دون والده وعمه.

إسلام أبو بكر الصديق وأثره في الدعوة

كان أبو بكر الصديقﷺ في سنٍ قريب من سن الرسول ﷺ وكان ذا حَسبٍ ونسب في ديار مكة وسكَّانها ، وهو وإن لم يكن هاشميّاً فهو تَيْمِيٌّ قُرشِيٌّ عظيم ، يمتاز بحسن الخلق ، وكرم النفس ، والمعرفة بأنساب العرب حتى إن ليضرب به المثل في ذلك ٠ وما إن أسلم رضي الله عنه عن قناعة وعلم بما يدخل فيه من دين الله تعالى حتى أخذ يتّصل بخيار رجالات قريش في مكة يعرض عليهم الإسلام سِرّاً فأجابه وأسلم على يديه نخبة ممتازه كان لها الأثر الكبير في نشر الدعوة داخل مكة وخارجها ٠ وأفراد هذه الطليعة هم :

* **عثمان بن عفان** بن أبي العاص بن أميّ بن عبد الشمس الخليفة الراشد ورضي الله عنه وأرضاه ، ويكنى بأبي عبد الله ، وبأبي عمرو ٠

ويلقب بذي النورين لتزوجه بابنتي رسول الله ﷺ ؛ رقية، وأم كلثم رضي الله عنهما ٠

* **الزبير بن العوام** بن خويلد بن أسد بن عبد العزى القرشي، يكنى بأبي عبد الله وهو حواريّ رسول الله ﷺ ، وابن عمته صفيّة بت عبد المطلب.

* **عبد الرحمن بن عوف** بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة القرشيّ،

ذو الهجرتين رضي الله عنه وأرضاه.

* **سعد بن أبي وقاص** واسم أبي وقاص – وهو والد سعد – مالك بن أُهَيْب بن عبد مناف القرشي ، خال الحبيب ﷺ إذ جد سعد أُهيب عم آمنة بنت وهب أم النبيّ ﷺ ٠ وكان رضي الله عنه مجاب الدعوة حتى قيل فيه : احْذَروا دعوة سعد٠فرضى الله عن سعد وأرضاه ٠

* **طلحة بن عبيد الله** بن عثمان بن عمرو بن كعب القرشي يُكنى بأبي محمد الفياض أحد العشرة المبشرين بالجنة ، قتل في وقعة الجمل – رضي الله عنه وأرضاه ٠ فهولاء النفر الذين أسلموا على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنهم ، يُضاف إليهم عليٌ وزيدٌ وأبو بكر الصديق فيصبحون ثمانية أنفار هو أهل السبق في الإسلام إذ آمنوا مع رسول الله ﷺ قبل كل أحد من الناس باستثناء السدة خديجة رضي الله عنها إذ كانت أوّل المؤمنين ٠

نتائج وعبر: إن لهذه المقطوعة نتائج وعِبر منها

(١) بيان فضل أبي بكر الصديقرضي الله عنه.

(٢) بيان فضل الدعوة، وفضل من يهدي الله على يديه فرداً أو أفراداً.

(٣) بيان شرف هؤلاء الثمانية لسبقهم في الإسلام إذ أثنى تعالى عليه في قوله: ((**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ {١٠٠}**)) [التوبة : ١٠٠]

* أفواجُ السابقين بعد الأولين :

وما إن أسلم أولئك النفر الكرام حتى تتابع أشراف قريش يدخلون في الإسلام فيؤمنون بالله ربّاً وإلهاً لا إله غيرهُ ولا ربٍّ سواه وبمحمد نبيّاً ورسولاً ، وبالقرآن هدىً ونوراً ، فأسلم :

أبو عبيدة عامر بن الجرّاح القرشي الملقب أمين هذه الأمة ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وهو الذي انتزع من رسول الله ﷺ حلقتي الدع يوم أحد فسقطت بذلك ثناياه رضي الله عنه وأرضاه .

وأبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال القرشي ، وأمه برّة بنت عبد المطلب فهو ابن عمة رسول الله ﷺ هاجر الهجرتين وشهد بدراً وتوفس سنة ثلاث من الهجرة ، وتزوج رسول الله ﷺ امرأته إكراماً الله تعالى لها ولأبي سلمة رضي الله عنهما وأرضاهما .

والأرقم بن أبي الأرقم وهو عبد مناف بن أسد القرشي أسلم عاشر عشرة وكان النبي ﷺ قد استخفى في داره بالصفا يدعو الناس إلى الإسلام سِرّاً حتى اكتمل عدد المسلمين أربعين رجلاً ، وكان آخرهم إسلاماً عمر بن الخطاب رضي الله عنهم ويومئذ خرجوا من الدار وصلّوا جهرة حول الكعبة .

* **وعثمان بن مظعون** القرشي ، ويكنى بأبي السائب وهو أخ للنبي ﷺ من الضاع وهو أول مهاجر توفي بالمدينة النبويّة ، ومن فضائله وكمالاته الروحية أن

امتنع من شرب الخمر في الجاهلية قبل الإسلام ، وقال : لا أشرب شراباً يُذهب عقلي، ويُضحك بي من هو أدنى منّي ويحملني على أن أنكح كريمتي .

* **وعبيدة بن الحارث** بن المطَّلب بن عبد مناف بن قصي القرشي ، وكان أسنَّ من النبي ﷺ بعشر سنين هاجر إلى المدينة مع أخويه الطفيل وحصين أسلم قبل دخول الرسول ﷺ دار الأرقم ، وكانت له منزلة عند رسول الله ﷺ ، وقدراً ، يكنى بأبي الحارث رض الله عنه وأرضاه.

* **وسعيد بن زيد** بن عمرو بن نفيل العدوي القرشي ابن عم عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، وصهره إذ كانت تحته فاطمة بنت الخطاب رضي الله عنها التي كانت إسلام أخيها عمر رضي الله عنهما.

* **وأسماء وعائشة بنتا الصديق** أسلمت عائشة وهي طفلة صغيرة وأما أسماء فكانت متزوجة بالزبير بن العوام حين أسلمت فرضي الله عنهما وأرضاهما.

* **وخبّاب بن الأرت** حليف بني زهرة التميمي.

* **وعبد الله بن مسعود** بن أم عبد الهذلي

* **وعمير بن أبي وقاص** أخو سعد بن أبي وقاص.

* **ومسعود بن القاريء** بن ربيعة وهم قوم رماة لقبوا بالقارة.

لقد بلغ المسلمون هذا العدد الكبير وما زالت الدعوة سِرّاً لم يجهر بها بين صفوف قريش، لأن هذا العدد غير كافٍ في دفع ما يتوقّعُ من أذىً تصيب به قريش، وقبل كل شيء أن الله تعالى لم يأذن بعد لرسوله والمؤمنين بالجهر بالدعوة ن ولو أذن لهم لجهروا بها وكلفهم ذلك ما كلفهم، وسيأتي اليوم الذي يؤذن له وسوف يتعرضون لألوان من التعذيب والاضطهاد ويتلقون ذلك بطيب نفس ورحابة صدر ؛ لأنه في ذات الله ، وما كان في ذات الله فهو محبوب للحبيب الصادق ﷺ .

نتائج وعبر :

لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبر نجملها فيما يلي :

(١) بيان فضل السبق في الخير وأهله.

(٢) تقرير مبدأ وضعه رسول الله ﷺ وهو قوله ((**خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا**))[١]

(٣) بيان فوز الأرقم بن أبي الأرقم بمنقبة عظيمة وهي اتخاذ داره مركزاً للدعوة أيام ضعفها واستخفائها وهي أحرج أوقات مرت بها الدعوة.

(٤) بيان فضيلة فاطمة بنت الخطاب بسبقها للإسلام وهداية أخيها عمر بسببها.

(٥) إن من النساء من فزن بالسبق في الإسلام وهن عائشة ، و أسماء بنتا الصديق ، وفاطمة بن الخطاب ، وأسماء بنت عميس امرأة جعفر ، وأم سلمة امرأة أبي سلمة أم المؤمنين وغيرهن رضي الله عنهن وأرضاهن. [٢]

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) انظر(صحيح السيرة النبوية)(١١٨) للألباني ، (هذا الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم يا محب) (ص٩٠ – ٩٧) لأبي بكر جابر الجزائري .

* الـدعوة جـهاراً

أول أمر بإظهار الدعوة :

أن أول ما فعل رســـول الله ﷺ بعد نزول قوله تعالى : ((**أَنذِرْ عَشِـــيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**)) [الشعراء:١١٤] أنه دعا بني هاشم فحضروا ، ومعهم نفر من بني المطلب بن عبد مناف ، فكانوا خمسة وأربعين رجلا.

فبادره أبو لهب وقال : وهؤلاء هم عمومتك وبنو عمك فتكلم ودع الصُّـــباة، واعلم أنه ليس لقومك بالعرب قاطبة طاقة ، وأنا أحق من أخذك ، فحســـبك بنو أبيك ، وإن أقمت على ما أنت عليه فهو أيســـر عليهم من أن يثب بك بطون قريش ، وتمدهم العرب ، فما رأيت أحدا جاء على بني أبيه بشـــر مما جئت به ، فسكت رسول الله ﷺ ، ولم يتكلم في ذلك المجلس.

ثم دعاهم ثانية وقال : ((**الحمد لله أحمده ، وأســـتعينه ، وأومن به ، وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له**)) ثم قال : ((**إن الرائد لا يكذب أهله والله الذي لا إله إلا هو ، إني رسول الله إليكم خاصة ، وإلى الناس عامة ، والله لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتحاسبن بما تعملون ، وإنها الجدنة أبدا أو النار أبدا**)) فقال أبو طلب :

ما أحب إلينا معاونتك، وأقبلنا لنصيحتك، وأشد تصديقنا لحديثك، وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون ، وإنما أنا أحدهم غير أني أسرعهم إلى ما تحب ، فامض لما أمرت به. فوالله لا أزال أحوطك وأمنعك ، غير أن نفسي لا تطاوعني على فراق دين عبد المطلب . فقال أبو لهب : هذه والله السوأة ، خذوا على يديه قبل أن يأخذ غيركم ، فقال أبو طالب : والله لنمنعه ما بقينا.

وبعد ما تأكد النبي ﷺ من تعهد أبي طالب بحمايته، وهو يبلغ عن ربه ، قام يوماً على الصفا فصرخ : ياصباحاه : فاجتمع إليه بطون قريش ،و فدعم إلى التوحيد والإيمان برسالته وباليوم الآخر. وقد روى البخاري – رحمه الله – طرفاً من هذه القصة عن ابن عباس. قال: لما نزلت: ((**أَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ {٢١٤}**))[سورة الشعراء آية : ٢١٤] صعد النبي ﷺ على الصفا ، فجعل ينادي يا بني فهر ! يا بني عدي ![لبطون قريش] حتى اجتمعوا ، فجعل الرجل إذا لم يستطيع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو ؟ فجاء أبو لهب وقريش. فقال:

((**أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تُغير عليكم ، أكنتم مصدقي ؟**)) قالوا: نعم ، ما جربنا عليك إلا صدقاً ، قال : ((**فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**)) فقال أبو لهب : تبا لك سائر اليوم ، ألهذا جمعتنا ؟ فنزلت ((**تبت يد أبي لهب**))[المسد:١]

وعن أبي هريرة قال : لما نزلت هذه الآية : ((**أَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**))[الشعراء:١١٤] دعا رسول الله ﷺ قريشاً ، فعم وخصَّ ، فقال :﴿ **يا معشر قريش ! أنقذوا أنفسكم من النار ، يا معشر بني كعب [بن لؤي] ! أنقذوا أنفسكم من النار ، [يا بني عبد مناف ! أنقذوا أنفسكم من النار] ، يا معشر بني هاشم ! أنقذوا أنفسكم من النار ، يا معشر بني عبد المطلب ! أنقذوا أنفسكم من النار ، يا فطمة بنت محم ! أنقذي نفسك من النار ، فإني – والله لا أملك لكم من الله شيئاً ؛ إلا أن لكم رَحِماً سأبلها ببلالها**)) **وكانت المدة التي دعا فيها رسول الله ﷺ أصحابه سِرّاً ثلاث سنوات** لا غير ثم أمر بالجهر فجهر امتثالاً لأمر الله تعالى في قوله : ((**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ**)) [الحجر:٩٤]

نتائج وعبر: إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبر نذكرها فيما يلي:

(١) المدة التي كانت فيها الدعوة سراً وهي ثلاث سنوات.

(٢) بيان مقتضى سرية الدعوة وهو قلة المؤمنين وكثرة المشركين .

(٣) الجهر بالدعوة كان بأمر الله تعالى.

(٤) بيان سبب نزول سورة المسد، وهو قول أبي لهب لرسول الله ﷺ.

(٥) بيان أنه لا دليل لمن يرى سريّة الدعوة في بلاد المسلمين اليوم في سريّة الرسول ﷺ لها ثلاث سنوات؛ لأن الرسول وأصحابه كان لا يسمح لهم أن يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ولآ أن يؤذّنوا أو يصلوا ، ولما قويت شوكتهم أمروا بالجهر بالدعوة ، فجهروا ولاقوا من الأذى ما هو معروف بين المسلمين.

قصة إسلام حمزة رضي الله عنه

لقد مر يوماً أبو جهل عليه لعائن الله مرَّ برسول الله ﷺ وهو عند الصفا فآذاه وشتمه ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه والتضعيف لأمره فلم يردَّ عليه رسول الله ﷺ ولم يكلّمه ، وكانت مولاة لعبد الله بن جدعان في مسكن لها تسمع ما قاله أبو جهل ، وشاء الله تعالى أن يمر حمزة راجعاً من قنص له متوشحاً قوسَه ، فقالت له المرأة يا أبا عمارة لو رأيت ما لقى ابن خيك محمد آنفاً من أبي الحكم عمرو بن هشام وجدَهُ هاهنا جالساً فآذاه وسبّه وبلغ منه ما يكره ، ثم انصرف ولم يكلمه محمد ﷺ فاحتمل حمزة الغضب فخرج يسعى ولم يلتفت إلى أحد حتى أتى أبا جهل وهو جالس في نادي القوم حول المسجد فضربه بالقوس فشجَّ رأسه شجّة منكرة ، ثم قال أتششتمه وأنا على دينه أقول ما يقول فَرُدَّ ذلك عليَّ إن استطعت . فقام رجال من بني مخزوم لينصروا أبا جهل ، فقال أبو جهل دعوا أبا عمارة فإني والله قد سببت ابن أخيه سبّاً قبيحاً ؛ وثبت حمزة من ساعتئذ

على ما قاله ، فأسلم وحسن إسلامه ، ويومها عرفت قريس أن رسول الله ﷺ قد عزّ وامتنع بإسلام عمه حمزة المعروف بينهم أعزّ فتىً في قريش. (١)

قصة إسلام عمر رضي الله عنه:

مرَّ عمر برجل مخزومي قد أسلم فعابه عمر فرد عليه الرجل ، بأنه إن أسلم هو فقد أسلم من هو أحقّ باللوم والعتاب منّي يا عمر ٠فقال عمر : من هو ؟ قال الرجل : أختك وختنك – أي صهرك – فذهب عمر إلى دار أخته فاطمة وهي تحت سعد بن زيد ، وسأل ما هذا الذي بلغني عنكما ؟ فردَّا عليه ، وما كان إلا أن ضرب رأس أخته فأدماه ، فقامت إليه وقالت : وقد كان ذلك على رغم أنفك فاستحيا عمر حين رأى الدم يسيل من رأس أخته ، وجلس ، وقد رأى بينهما كتاباً ، فقال أروني هذا الكتاب ، فقالت له فاطمة إنه لا يمسه إلا المطهرون.

---

(١) رواه أحمد في (المسند)(٢/٣٦٠ و٥١٩) ، ومسلم(٣٤٨) من طريق موسى بن طلحة ، وأحمد أيضاً(٢/٣٥٠و٣٩٨و٤٤٨) ، والبخاري(٢٧٥٣و٣٥٢٧و٤٧٧١) ، ومسلم(٣٥١) من طرق أخرى؛ كلهم عن أبي هريرة ٠ انظر(صحيح السيرة النبوية)(١٣٥ – ١٣٦) للألباني.

فقام عمر فاغتسل ، فأخرجا له صحيفة فيها (بسم الله الرحمن الرحيم) فقال : أسماء طيِّبة طاهرة ((**طه {١} مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى {٢} إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى {٣} تَنزِيلاً مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى {٤} الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى {٥} لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا** بَيْنَهُمَا **وَمَا تَحْتَ الثَّرَى {٦} وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى {٧} اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى {٨}**))[طه:١-٨] فتعظم ذلك في صدر عمر وأسلم ، وقال لهما : أين رسول الله ﷺ ؟ فقالت له في دار الأرقم ، فذهب إلى دار الأرقم ، فقرع الباب ، ففزع من في الدار فقال له حمزة : مالكم ؟ قالوا : عمر ، قال : افتحوا له الباب ، فإنه إن أقبل قبلناه وإن أدبر قتلناه.

وكان رسول الله ﷺ في حجرة من الدار ، فلما سمع الحديث خرج فتشهّد عمر ، فكبّر أهل الدار تكبيرة سمعها من في المسجد ، وقال عمر : ألسنا على الحق يا رسول الله ؟ قال : (**بلى**) قال : ففيم الاختفاء فخرجوا صفين ، عمر في أحدهم وحمزة في الآخر ، وقد كان أسلم قبل عمر بثلاثة أيام ، ولما دخلوا المسجد ورأيتهم قريش وبينهما حمزة وعمر أصابتهما كآبة وحزن شديد.

وسمى النبيّ ﷺ ساعتها عمر الفارق.

---

(١) السيرة النبوية) (٢٩١/١) لابن هشام ،(هذا الحبيب يا محب)(ص٩٩) لأبي بكر جابر الجزائري.

* عروض قريش التي قدمتها على رسول الله ﷺ ليصدوه عن دعوته :

عرض أبو الوليد عتبة بن ربيعة :

عتبة بن الوليد يُبعث من قبل المشركين ليعرض على رسول الله ﷺ ما رأوه حلاً للمشكلة في نظرهم. قال ابن إسحاق بسنده قال يوماً وهو جالس في نادي قريش ، ورسول الله ﷺ في المسجد وحده : يا معشر قريش ، ألا أقوم إلى محمد فأكلِّمَه وأعْرضَ عليه أموراً لعلَّه يقبل بعضها فنعطيه أيَّها شاء ، ويكفّ عنَّا ؟ وذلك حين أسلم حمزةُ ، ورأوْا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون ؛ فقالوا : بلى يا أبا الوليد ، قُم إليه فكلِّمه ؛ فقام إليه عُتبةُ حتى جلس إلى رسول الله ﷺ، فقال : يا بن أخي ، إنك منَّا حيثُ قد علمتَ به جماعتهم وسفهَّت به أحلامم وعِبْتَ به آلهتهم ودينهم وكفَّرت به مَنْ مضى من آبائهم ، فاسمع منِّي أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها : فقال رسول الله ﷺ : **قل يا أبا الوليد ، أسمع** ؛ قال يا بن أخي ، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا ، حتى لا نقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد مُلْكاً ملكَّناك علينا ؛ وإن كان هذا الذي يأتيك رَئياً(*) تراه لا تستطيع ردَّه عن نفسك ، طَلَبْنا لك الطبَّ ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نُبرئك منه ، فإنه بما غلب التابع [٣] على الرجل حتى يداوى منه أو

---

(١) السيرة النبوية)(٢٩١/١) لابن هشام ،(هذا الحبيب يا محب)(ص٩٩) لأبي بكر جابر الجزائري .

(٢) انظر(روضة الأنوار في سيرة النبي المختار)(ص٩٤) صفي الرحمن المباركفوري – طبع ونشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية)الطبعة الأولى(١٤٢٤هـ) .(هذا الحبيب يا محب)(ص١٠١)

(*) الرئي(بفتح الراء وكسرها) ما يتراءى للإنسان من الجن. (٣) من يتع الناس من الجن .

كما قال له .حتى إذا فرغ عتبةُ ، ورسولُ الله ﷺ يستمع منه ، قال : **أقد فرغتَ يا أبا الوليد** ؟ قال : نعم ؛ قال : **فاسمع مني** ؛ قال : أفعل ؛ فقال : ((**بسم الله الرحمن الرحيم – حم {١} تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {٢} كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ {٣} بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ {٤} وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ {٥} قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ {٦}**)) [فصلت:١-٦] فلما سمعها منه عتبةُ، أنْصتَ لها ، وألقَى يَدَيْه خَلْفَ ظهره معتمداً عليهما يسمع منه ؛ ثم انتهى رسولُ الله ﷺ إلى السجدة منها ، فسجد ثم قال : قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك.[١]

ما أشار به عتبة على أصحابه:

فلما جلس إليهم قالوا : ما وراءك يا أبا والوليد ؟ قال : ورائي أنّي سَمعتُ قولاً والله ما سمعتُ مثله قطُّ ، والله ما هو بالشِّعر، ولا بسِّحر، ولا بالكهانة ، يا معشر قُريش ، أطيعوني واجعلوها بي، وخلُّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعَتزِلوه، فوالله ليكوننّ لقوله الذي سمعتُ منه نبأٌ عظيم ، فإن تُصبْه العرب فقد

---

(١) (السيرة النبوية)(١/٢٩٣-٢٩٤) لابن هشام (صحيح السيرة النبوية)(ص١٦٠) للألباني .(الرحيق المختوم)(ص٩٥) للمباركفوري

كفيتموه بغيركم، وإن يَظْهَرْ على العرب فمُلكهُ مُلْككم وعزّه عزكم، وكنتم أسعد الناس به ؛ قالوا : سَحَرَك والله يا أبا الوليد بلسانه ؛ قال : هذا رأيي فيه ، فاصنعوا ما بدا لكم .(١)

محاولة أبو جهل الفاشلة:

إنه لما فشل رجالات قريش في المساومات التي قد ذَّموا بها إلى رسول الله ﷺ وسمعوا ما أيْأً سهم به رسول الله ﷺ من عدم التنازل عن شيء من دعوته وإن قلّ وعن عدم التزحزح عما يدعو إليه قيد شعرة قام أو جهل ليشفي صدره الذي احتدم غيظاً فأخذ حجراً كبيراً وقال : لأفِلْقَنَّ به رأس محمد ﷺ وهو يصلي ، وتحيّن عدو الله الفرصة ، فلما قام رسول الله ﷺ يصلي حول الكعبة بين الركنين مستقبل البيت ، جاء أبو جهل لعنه الله وتقدم نحو رسول الله ﷺ ليضربه بالحجر ، ورجالات قريش في أنديتهم ينتظرون ما يفعله طاغيتهم عليه لعائن الله ، فلما دنا من رسول الله ﷺ وَلَّى هارباً منتقع اللون مرعوباً قد يبست يداه على الحجر ، وقام إليه رجالات قريش يقولون مالك يا أبا الحكم ؟ ما أصابك ؟ قال : قمت إليه لأفعل به ما قلت لكم البارحة ، فلما دنوت من عرض لي دونه فَحْلٌ من الإبلِ ، لا والله ما رأيت مثل هامته ولا مثل قَصَرِه ولا أنيابه قط ، فهَمَّ بي لَيأكلني.

---

(١) (السيرة النبوية)(٢٩٤/١).

وفي هذه الحادثة نزل قول الله تعالى :((**كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ {١٥} نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ {١٦} فَلْيَدْعُ نَادِيَه {١٧} سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ {١٨} كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ**)) [١] ولما سمع وشاهد هذه الحادثة النضر بن الحارث قام في قريش وقال : يا معشر قريش إنه – والله – وقد نزل بكم أمرٌ ما أتيتم له بحيلة بعد ، فقد كان فيكم محمد غلاماً حدثاً ، أرضاكم فيكم ، وأصدقكم حديثاً وأعظمكم أمانة ، حتى إذا رأيتم في صدغه[٢] الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر لا والله ما هو بساحر ، لقد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم ، وقلتم كاهن، ولا والله ما هو بكاهن قد رأينا الكهنة وتخالجهم وسمعنا سجعهم. وقلتم شاعر، لا والله ما هو بشاعر قد رأينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها هزجه ورجزه. قلتم مجنون لا والله ما هو بمجنون لقد رأينا الجنون فما هو بخنقة ولا وسوسته ولا تخليطه. يا معشر قريش فانظروا في شأنكم فإنه والله قد نزل بكم أمر عظيم.

---

(١) سورة لعلق آية: ١٩

(٢) صدغه: المكان بين الأذن والحاجب حيث الشعر مسترسل من الرأس، ولكل إنسان صدغان، وأول ما يبدأ يظهر فيهما الشيب غالباً . (السيرة النبوية)(٢٩٩/١) لابن هشام (هذا الحبيب يا محب)(ص١٠٣) لأبي بكر الجزائري .

كان النضر يُسلم لما تبيّن له من الحق ولكن منعه الحسد؛ إذ هو الذي قال: ((**وَإِذْ قَالُواْ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**)) [الأنفال:٣٢] ونزل فيه قوله تعالى أيضاً : ((**سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ {١} لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ {٢} مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ**)) [المعارج:١-٣]

إذ كان النضر بن الحارث هذا شيطان قريش، كان أخبثهم نفساً وأشدهم عداوة لرسول الله ﷺ والمؤمنين؛ إذ هو القائل أنا أحسن حديثاً من محمد ﷺ ((**وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللّهُ**)) [الأنعام:٩٣]

وفد قريش إلى أبي طالب:

رأت قريش أن إنذارهم لم يجد نفعاً، فالرسول ﷺ ماض في عمله، وأبو طالب قائم بنصرته. وهذا يعني مستعد لفراقهم وعداوتهم ومنازاتهم في نصرة ابن أخيه محمد ﷺ فلبثوا ملياً يفكرون ويتشاورون، حتى وصلوا إلى اقتراح غريب، فقد جاءوا إلى أبي طالب، ومعهم عمارة بن الوليد سيد شبابهم وأنهد فتى في قريش وأجمله، فقالوا : يا أبا طالب خذ هذا الفتى ، فلك عقله ونصره ، واتخذه ولداً ، فهو لك ، وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذي خالف دينك ودين آبائك ، وفرق جماعة قومك ، وسفه أحلامهم ، فنقتله ، فإنما هو رجل برجل.

قال أبو طالب: والله لبئس ما تسـومونني، أتعطوني ابنكم أغذيه لكم، وأعطيكم ابني تقتلونه ؟ هذا والله ما لا يكون أبداً.

اجتماع المشركون لتشويه الرسالة المحمدية وذلك لكف الحجاج عن استماع الدعوة :

خلال هذه الأيام أهم قريشاً أمر آخر، وذلك أن الجهر بالدعوة لم يمض عليه إلا أشـهر معدوة حتى قرب موسـم الحج، وعرفت قريش أن وفود العرب سـتقدم عليهم، فرأت أنه لا بد من كلمة يولونها للعرب في شأن محمد ﷺ حتى لا يكون لدعوته أثر في نفوس العرب، فاجتمعوا إلى الوليد بن المغيرة يتداولون في تلك الكلمة، فقال له الوليد: أجمعوا رأياً واحداً، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً، ويرد قولكم بعضه بعضاً.

قالوا: فأنت فقل، قال: بل أنتم فقولوا أسمع. قالوا: نقول: كاهن. قال: لا والله ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهان، فما بزمزمة الكاهن ولا سجعه. قالوا: فنقول: مجنون . قال: ما هو بمجنون ، لقد رأينا لجنون وعرفناه ، ما هو بخنقة ولا تخلجه ولا وسوسته. قالوا: فنقول : شاعر . قال: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه ، فما هو بالشعر، قالوا : فنقول: ساحر. قال: ما هو بساحر ، لقد رأينا السحار وسحرهم،

فماه بنفثهم ولا عقدهم . قالوا : فما نقول ؟ قال : والله إن لقوله لحلاوة ، وإن أصـــله لعذق ، وإن فرعه لجناة ، وما أنتم بقائلين من هذا شـــيئاً إلا عرف أنه باطل ، وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا : ساحر ، جاء بقول سحر يفرق بين المرء وأبيه ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وعشـيرته ، فتفرقوا عنه بذلك .[1] وتفيد الروايات أن الوليد لما رد عليهم كل ما عرضوا له ، قالوا : أرنا رأيك الذي لا غضـــاضـــة فيه ، فقال لهم : أمهلوني حتى أفكر في ذلك ، فظل الوليد يفكر ويفكر ، حتى أبدى له رأيه الذي ذكر آناً .[2] في الوليد أنزل الله تعلى ستة عشرة آية من سورة المدثر : قال تعالى: ((**ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً {١١} وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُوداً {١٢} وَبَنِينَ شُهُوداً {١٣} وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيداً {١٤} ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ {١٥} كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيداً {١٦} سَـأُرْهِقُهُ صَـعُوداً {١٧} إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ {١٨} فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ {١٩} ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَـدَّرَ {٢٠} ثُمَّ نَظَرَ {٢١} ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَـــرَ {٢٢} ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْـــتَكْبَرَ {٢٣} فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِـــحْرٌ يُؤْثَرُ {٢٤} إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ {٢٥} سَأُصْلِيهِ سَقَرَ {٢٦}**)) [المدثر:١١-٢٦] وبعد أن اتفق المجلس على هذا القرار أخذوا في تنفيذه ، فجلسوا بسبل الناس حين قدموا الموسم ، لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه ، وذكروا له أمره.

---

(١) (السيرة النبوية) (٢٩٩/١) (الرحيق المختوم) (ص٩٦) للمباركفوري.

(٢) (الرحيق المختوم) (ص٩٦).

أساليب شتى المجابهة الدعوة :

لما رأت قريش أن محمداً ﷺ لا صـــرفه عن دعوته هذا ولا ذاك ، فكروا مرة أخرى، **واختاروا لقمع هذه العوة أساليب عدة منها:**

١- **السـخرية والتحقير والاسـتهزاء والتكذيب والتضـحيك**، قصـدوا بذلك تخذيل المســلمين وتوهين قواهم المعنوية ، فرموا النبي ﷺ بتهم هازلة ، وشــتائم ســفيهة ، فكانوا ينادونه بالمجنون ((**وَقَالُواْ يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ**)) [الحجر : ٦]

٢-ويصـــمونه بالســـحر والكذب ((وَعَجِبُوا أَن جَاءهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ)) [ص:٤]

وكانوا يشيعونه ويستقبلونه بنظرات ملتهمة ناقمة، وعواطف منفعلة هائجة. قال تعالى: ((**وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَـــارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ**)) [القلم:٥١]

٣-تشـويه تعاليمه وإثارة الشـبهات، بث الدعايات الكاذبة، فكانوا يقولون أن القرآن حكايات وقصص أولية ماضية: ((**وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً**))[الفرقان:١]

٤- مساومات حولوا بها ن يلتقي الإسلام والجاهلية في منتصف الطريق أن يترك المشركون بعض ما هم عليه، ويترك ﷺ بعض ما هو عليه قال تعالى: ((**وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ**)) [القلم:٩] وقالوا له مرة: يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد، وتعبد ما نعبد فنشترك نحن وأنت في الأمر ، فإن كان الذي تعبد خيراً مما نعبد كنا قد أخذنا بحظنا منه ، وإن كان ما نعبد خيراً مما تعبد كنت قد أخذت بحظك منه ، فأنزل الله تعالى فيهم ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ {١} لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ {٢} وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ**﴾)). [الكافرون:١-٣]

نتائج وعبر: إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبر نجملها في الآتي:

(١) إثبات حيرة المشركين إزاء الدعوة المحمدية اليوم .

(٢) بيان استعمل المشركين أسلوب المساومات لإحباط الدعوة وإطفاء نورها .

(٣) ثبات النبي ﷺ ووقوفه كأنه جبل أشّم أمام المساومات والتحدّيات .

(٤) شهادة عتبة بن ربيعة بصحة الدعوة المحمدية وسلامتها وأحقيّتها – وهو من خصومها – لها قيمتها المعنويّة. كما قيل: (والحقّ ما شهدت به الأعداء).

(٥) بيان تعنّت المشركين وصلفهم وكبريائهم برفضهم دعوة الحق بعد ثبوتها، ومطالبتهم بأمور ليس تحقيقها من لازم النبوة ولا شرطها في قبول دعوة الحق.

(٦) بيان خبث أبي جهل وشدة عدائه للنبي ﷺ ، ومحاربته لدعوته.

(٧) بيان تأثير القرآن في نفس من يسمعه متدبراً له متفكراً فيه.

خيبة المشركين تتحول إلى نقمة على المستضعفين من المؤمنين

إنه بعد أن بذلت قريش كل ما في وسعها من قوة وحيلة في إطفاء أنوار الدعوة المحمديّة ، وباءت بخيبة مريرة حولت ذلك إلى نقمة على المستضعفين من المؤمنين كبلال وعمار ووالده ياسر وأمه سميّة ، وصُهيب الرومي ، وخباب بن الأرت وأبي فهيرة . وأبي فكيهة ومن النساء زِنّيرة ، والنهدية ، وأم عُبيس.

أما **بلال** فكان مملوكاً لأميّة بن خلف الجُمحي ، وكان يعذبه بإلقائه في الرمضاء على وجهه وظهره ، ويضع الصخرة العظيمة على صدره ، وذلك إذا حميت الشمس وقت الظهيرة ، ويقول له : لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد ، وتعب اللات والعزى ، وبلال صابر يردد كلمة : **أحد أحد** ، وأخيراً استبدله أبو بكر الصديق بعبد مشرك عنده وأعتقه رضي الله عنهما. وأما **عمار وأمه ووالده ياسر**، فقد كانوا يخرجونهم إلى الأبطح إذا حميت الرمضاء يعذبونهم بحرّ الرمضاء، فمر النبيَّ ﷺ وهم يُعذَبون فقال: ((**أبشروا آل عمار وآل ياسر ! فإن موعدكم الجنة**))[1] فمات ياسر تحت العذاب رحمه الله رحمة واسعة.

---

(١) أخرجه الحاكم في (المستدرك)(٤٣٨/٣)(٥٦٦٦) من طريق أبي الزبير عن جابر ، وقال : صحيح على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي ، وأقره الألباني في (صحيح السيرة النبوية)(ص١٥٥)إلا قال : أن أبا الزبير مدلس ، وقد عنعنه. وقد أخرجه عنه ابن سعد(٢٤٩/٣) من الطريق نفسها لم يذكر فيه جابراً . وقد ذكره الهيثمي(٢٩٣/٩) من مسنده ، وقال : (رواه الطبراني في الأوسط) ورجاله رجال الصحيح) ، غير إبراهيم بن عبد العزيز المقوم ، وهو ثقة) ثم ذكر له شاهداً من حديث عثمان بن عفان مرفوعاً مثله . وقال : (رواه الطبراني ، ورجاله ثقات) .

وأما **سمية** فقد أغلظت القول لأبي جهل عليه لعائن الله فطعنها بحربة في قبلها فماتت شهيدة، وكانت أول شهيدة في الإسلام

وشدد أعداء الله العذاب على عمار ونوّعوا العذاب عليه فمرّةً بالجرِّ ومرة بوضع الصخرة على صدره، وأخرى بالغمس في الماء إلى حد الاختناق ويقولون له لا نتركك حتى تسب محمداً، وتقول في اللات والعزى خيراً وفعل ما طلبوا منه فتركوه، فأتى النبي ﷺ يبكي فقال: ((**ما وراءك ؟**)) فقال: شر يا رسول الله كان الأمر كذا وكذا، فقال له: ((**كيف تجد الأمر في قلبك ؟**)) قال : أجده مطمئناً بالإيمان. فقال ﷺ : ((**إن عادوا يا عمار فعد**)) وأنزل الله تعالى قوله : ((**إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ**)) [النحل: ١٠٦]

وأما **خباب** فقد أسلم سادس ستة فقد عذبه المشركون عذاباً شديداً إذ كانوا يلصقونه ظهره بالرمضاء ثم بالحجارة المحماة بالنار ويلوون رأسه.

وأما **عامر بن فهيرة** فقد أسلم قديماً قبل دخول الرسول ﷺ إلى دار الأرقم، وكان من المستضعفين فعذب عذاباً شديداً، ولم يرده ذلك عن دينه، وكان يرعى غنماً لأبي بكر، وكان يروح بها على النبي ﷺ وأبي بكر وهما في الغار طوال المدة التي كان فيها في الغار.

وأما **فكيهة** وأسمه أفلح أو يسار فقد كان عبداً لصفوان بن أمية بن خلف الجُمحي أسلم مع بلال فأخذه أمية ابن خلف عليه لعائن الله وربط رجليه حبلاً وأمر به فجُرَّ ثم ألقاه في الرمضاء، ومر به

جَعَلٌ (حشرة معروفة) فقال له أميّة أليس هذا ربك ؟ فقال: الله ربي وربك وربّ هذا . فخنقه خنقاً شـــديداً، وكان معه أخوه أبيّ بن خلف فيقول: زده عذاباً حتى يأتي محمدٌ فيخلصـــه بســـحره. ولم يزالوا يعذبونه كذلك حتى أُغمِيَ عليه فظنوه مات ثم أفاق فاشـتراه أبو بكر الصـديق وأعتقه . وأما **النسـاء زنّيرة وأم عُبيْس ولبيبة والنهدية** فقد عُذبن كذلك أشـــد العذاب من قبل مواليهن ولم يرجعن عن دينهنّ، فرضى الله عنهن وأرضاهنّ.

نتائج وعبر: إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبر نذكرها فيما يلي:

(١) تقرير وتأكيد معنى قوله تعالى: ((**أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ**)) [العنكبوت:٢]

(٢) بيان ما لاقاه المستضعفون المؤمنون من ألوان العذاب، ولم يردهم ذلك عن دينهم.

(٣) بيان أول شهيد في الإسلام كان سمية أم عمار رضي الله عنها.

(٤) بيان ما كان عليه طغاة المشركين من شدة وغلظة وحنق على المسلمين، وما انزلوه من عذاب بالمستضعفين من الموالي والعبيد نساءً ورجالاً. [١]

---

(١) (هذا الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم يا محب) (ص١١١ – ١١٢).

*** المستهزئون بالحبيب محمد ﷺ وما أنزل الله تعالى بهم من أليم العذاب.**

إن تلك النقمة التي أنزلها المشركون بالمستضعفين من المؤمنين لم تكن في الحقيقة خاصة بالمستضعفين بل هي عامة في كل المؤمنين ، وعلى رأسهم سيد العالمين محمد ﷺ ، إلا أن الأحرار من المؤمنين كان لهم المنعة ما جعل المشركين لا يقدرون على أن يعذبوهم مثل تعذيب المستضعفين من العبيد والإماء والموالي الأغراب ، وإلا فإنه لم يسلم مؤمن واحد من التعذيب والاضطهاد والاستهزاء به والسخرية منه .وهذا رسول الله ﷺ قد سخر من واستزىء به ، وشتم ونال منه المشركون مالم ينالوه من كثير من المؤمنين ، وكان شرّ من استهزأ برسول الله ﷺ مَن عناهم الله بقوله: ((**إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ {٩٥} الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللهِ إِلهاً آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ**)) [الحجر:٩٥-٩٦]

وها هي أسمائهم عليهم لعائن الله، مع بيان حالهم ونهاية حياتهم:

(١) **أبو لهب**: وهو عبد العزى بن عبد المطلب وهو عم النبي ﷺ ، وكان من أشد الناس تكذيباً لرسول الله ﷺ وأكثرهم أذىً له حتى إنه كان يطرح العذرة والنتن على باب النبي ﷺ إذْ كان مجاوراً له، وكان النبي ﷺ إذا وجد ذلك يقول: ((**أي جوارٍ هذا يا بني عبد المطلب ؟**)) ومرّ حمزة مرة بأبي لهب وهو يطرح العذرة على باب النبيّ ﷺ فأخذها وطرحها على رأس أبي لهب.

وكانت امرأته أم جميل العوراء في عداوة الرسـول ﷺ وشـدة بغضـه وقد لقبها الرحمن في كتابه: بحمالة الحطب.

وأخذ الله جل جلاله أبا لهب بمكة إذ أصابه بمرض خبيث يقال له مرض العَدَسَة وكان ذلك يوم هزيمة المشركين ببدر، فما إن بلغه خبر هزيمة قومه حتى أصيب بمرض العَدَسَةَ، فمات شرَّ ميتة، حتى أنهم لم يقدروا على تغسيله فصبوا عليه الماء من بعيد من شدة الرائحة الكريهة التي تفوح من جسمه الذي نضج وتهرَّى [1] بصورة لم يُعرف لها نظير.[2]

(٢) **الوليد بن المغيرة:** وقد تقدم طرق أعماله الفاشلة في صد الدعوة وكان سبب هلاكه: أنه وطيء سهماً فخدشه فتورمت رجله ن ومات بذلك شَّر ميتة، وكفى الله ورسوله شره وشر كل مستهزىء.

(٣) **أبو جهل عمرو بن هشام** : وكان من أشد الناس عداوة للرسول الله ﷺ وكنيته أبو الحكم ، وكناه المسلمون بأبي جهل لخبثه وسوء أفعاله وقبيح صنائعه ، هلك ببدر قتله أبنا عفراء ، واحتز رأسه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٤) **النضر بن الحارث:** وكان من اشدّ الناس تكذيباً للنبي ﷺ وأذى له ولأصحابه، هلك هذا الطاغية ببدر إذ أسره المقداد بن الأسود، وأمر الرسول ﷺ بضرب عنقه لكثرة شرّه فقتله عليّ رضي الله عنه.

---

(١) تهرّى : انسلخ وتساقط.

(٢) (هذا الحبيب يا محب) (ص١١٤) لأبي بكر جابر الجزائري.

(٥) **عقبة بن أبي معيط** : الأموي وكان أشـــد الناس أذىً لرســـول الله ﷺ وعداوة له وللمسلمين ، وهو الذي وضع سلى الجزور بين كتفي رسول الله ﷺ وهو يصـلي عند البيت ورجالات قريش يضـحكون ، حتى جاء فاطمة وكانت جويرية صـغيرة فنحته عن رسـول الله ﷺ ونالت منه سـبّاً وانصـرفت رضـي الله عنها وأرضاها .

هلك هذا الطاغية الخبيث ببدر أسـر بها وهو أول مصـلوب في الإسـلام وكان أُحمير أزرق العينين شبهُ رسول اله ﷺ بعاقر ناقة صالح ، قُدار بن سالف عليهما معاً لعائن الله .

(٦) **الأسـود بن عبد يغوث** : الزهري كان من المسـتهزئين وكان إذا رأى فقراء المسـلمين قال لأصـحابه هولاء ملوك الأرض الذين يرثون ملك كسـرى ، وكان يقول للنبي ﷺ مستهزئاً به : أما كُلِّمتَ اليوم من السماء يا محمد ؟!

خرج عدو الله من أهله يوماً فأصـابه السـموم فاسـود وجه، وأصـابته الأكلة (مرض) فامتلأ جسمه قيحاً فمات شر ميتة، فلا رحمة الله عليه، ولا خفف عنه يوماً من العذاب.

(٧) **الحارث بن قيس السـهمي**: وكان من المسـتهزئين بالنبي ﷺ ، وكان لجهله وشدة شغفه بالأوثان يأخذ الحجر يعبده ، فإذا رأى غيره أحسن منه تركه وعبد غيره مما رآه أحسن في نظره.

وكان يقول : قد غر محمد أصحابه ووعدهم أن يحيوا بعد الموت والله ما يُهلكنا إلا الدهر . وفيه نزل قوله تعالى : ((**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ {٢٣} وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ**)) [الجاثية:٢٣- ٢٤]

(٨)،(٩) **أُبَيٌّ وأمية ابنا خلف** : وكان من أشد الناس أذّية لرسول الله ﷺ وعداوة له ولأصحابه ، واستهزاء بدين الله ؛ إذ جاء أُبي عليه لائن الله إلى رسول الله ﷺ وفي يده عظم ففتته بيده وقال : زعمت أن ربك يحيي هذا العظم ! وفيه نزلت قوله تعالى: ((**قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ {٧٨} قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ {٧٩}**)) [الحجر:٩٥]

وهلِكَ أمية يوم بدر مرذولاً مخزياً شر ميتة، وهلك أخوه أبيّ بطريق مكة إذ ضربه الرسول ﷺ بحربة في ترقوته في أحد فهلك بها في طريقه إلى جهنم وبئس المصير.

(١٠) **ابو قيس بن الفاكه بن المغيرة**: وكان ممن يؤذي النبي ﷺ ويعين أبا جهل على ذلك ببدر على حمزة عم الحبيب ﷺ ورضي الله عن حمزة ومن ترضى عن حمزة موقناً موحداً لا يشرك بالله شيئاً .

وهناك كثير من أذى رسول الله ﷺ وأصحابه ، ولكن الله ثبت الرسول ﷺ واصحابه المؤمنين وخذل أهل الشرك والمشركين.

نتائج وعبر:

(١) تقرير أن الاستهزاء بالله أو آياته او رسوله كفر موجب للخلود في العذاب كما ان الاستهزاء بالمؤمنين موجب لغضب الله وسخطه على فاعله.

(٢) بيان ما نال رسول الله ﷺ من أذى المشركين، وكيف قابله رسول الله ﷺ بالصبر حتى نصره الله فأعزه وأعز دينه واذل المشركين وأبطل دينهم.

(٣) تقرير سنة الله في أن أشد بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل.

(٤) بيان صدق وعد الله تعالى لرسوله في قوله : ((**إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ**)) فقد كفاه إياهم بأن أهلكم كلهم والرسول ﷺ يشاهد هلاكهم ، وفي فترة وجيزة وزمن قليل.

(٥) إن الآيات والمعجزات لا تستلزم الإيمان فقد رأى ركانة أعظم آية وما آمن.

* أول هجرة للمسلين إلى الحبشة :

قال المباركفوري : كانت بداية الاضطهاد في أوساط أو أواخر السنة الرابعة من النبوة ، بدأت ضعيفة ، ثم لم تزل يوماً فيوماً وشهر فشهراً حتى اشتدت وتفاقمت في أواسط السنة الخامسة ، حتى نبا بهم المقام في مكة ، وأعزتهم أن يفكروا في حيلة تنجيهم من هذا العذاب الأليم ، وفي الساعة الضنكة الحالكة نزلت سورة الكهف ، ردودا على أسئلة أدلى بها المشركون إلى النبي ﷺ ، ولكنها اشتملت على ثلاثة قصص ، فيها إشارات بليغة من الله تعالى إلى عبادة المؤمنين ، فقصه أصحاب الكهف ترشد إلى الهجرة من مراكز الكفر والعدوان حين مخافة الفتنة على الدين ، متوكلاً على الله ((**وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته ويُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقاً**)) [الكهف:٦١]

وقصة الخضر وموسى تفيد أن الظروف لا تجري، ولا تنتج حسب الظاهر دائماً، بل ربما يكون على العكس كامل بالنسبة إلى الظاهر.

وقصة ذي القرنين تُفيد أن الأرض لله يورثها من عباده من يشاء. وأن الفلاح إنما هو في سبيل الإيمان دون الكفر، وأن الله لا يزال يبعث من عباده – بين آوانه وأخرى – من يقوم بإنجاء الضعفاء من يأجوج ذلك الزمان ومأجوجه، وأن الأحق بإرث الأرض إنما هم عباده الصالحون.

ثم نزلت سورة الزمر تشير إلى الهجرة، وتعلن بأن أرض الله ليست بضيقه ((**قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ**)) [الزمر:٢] وكان رسول الله ﷺ قد علم أن أصحمة النجاشي ملك الحبشة ملك عادل لا يُظلَمْ عنده أحد، فأمر المسلمين أن يهاجروا إلى الحبشة فرار بدينهم من الفتن.

وفي رجب سنة خمس من النبوة هاجر أول فوج من الصحابة إلى الحبشة.

كان مكوناً من اثنى عشر رجلاً وأربع نسوة، رئيسهم عثمان بن عفان، ومعه السيدة رقية بنت رسول الله ﷺ ، وقد قال النبي ﷺ فيهما: ((**إنهما أول بيت هاجر في سبيل الله بعد إبراهيم ولوط عليهما السلام**)) [١]

كان رحيل هؤلاء تسللا في ظلمة الليل – حتى لا تفطن له قريش – خرجوا إلى البحر، ويمموا ميناء شعيبة، وقيضت لهم الأقدار سفينتين تجاريتين أبحرتا بهم إلى الحبشة ، وفطنت له قريش ، فخرجت في آثارهم ، لكن لما بلغت الشاطىء كانوا قد انطلقوا آمنين ، وأقام المسلمون في الحبشة في أحسن جوار.

---

(١) (الرحيق المختوم) (ص١٠٩)، (مختصر سيرة الرسول) (ص٩٢-٩٣) للشيخ عبد الله النجدي.

ولما علمت قريش باستقرار المهاجرين بالحبشة، وإيواء ملكها له ، وإكرامه له خافت عواقب ذلك ، فكونت وفداً من عمرو بن العاص السياسي المشهور وعبد الله بن أبي أميّة ، وحملتهما هدية فاخرة إلى الملك النجاشي وإلى أعيان رجاله لتستميلهم نفسياً فيردوا المهاجرين قسراً إلى مكة لتعذيبهم وتعويذهم عن أيّة حركة إيجابية تنتصر بها دعوة الإسلام.

ووصل الوفد يحمل الهدايا وقدّمها فعلا إلى النجاشي وأعيان رجال الحكم، إلا أن الوفد بدأ في تقديم الهدايا بأعيان رجال النجاشي وأخرهُ هو، سياسة منه ليحصل على دعم الأعيان عند مطالبة الملك برد المهاجرين إلى مكة.

ولما فرغ الوفد تقديم الهدايا تكلم عمرو وقال للملك ورجاله: إن ناساً من سفهائنا فارقوا دينهم وجاءوا بدين جديد مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم.

وما إن فرغ عمرو بن كلامه حتى أشار أصحاب النجاشي بتسليم المهاجرين إلى وفد قريش متأثرين بالهدايا، وما وعدوا به الوفد من المساعدة.

وهنا قال النجاشي: لا، والله لا أسلم قوماً جاوروني، ونزلوا بلادي، واختاروني على من سواي حتى أدعوهم وأسألهم عما يقول هذان، فإن كان صادقين سلمتهم إليهما، وإن كانوا غير ما ذكر هذان منعتهم، وأحْسَنْتُ جِوارهُم.

ثم أرسل النجاشي إلى المهاجرين أصحاب النبيّ ﷺ فحضروا وهم مجمعون على أن يقولوا الحق سره أو أساءه ، وكان المتكلم عنهم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال لهم النجاشي : مالذي فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا في ديني ولا دين أحد من الملل ؟ فقال جعفر: أيها الملك كنا أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل

الميتة ، ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار، ويأكل القويُّ منا الضعيف، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصِدقه وأمانته وعفته وفدعانا لتوحيد الله ، وأن لا نشرك به شيئاً ، ونخلع ما كنا نعبد من الأصنام ، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم ، وأمرنا بالصلاة والصيام ، وعدّد عليه أمور الإسلام ، فآمنا به وصدقناه ، ورمنا ما حرّم علينا ، وحللنا ما احل لنا ، فتعدّى علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان.

فلما قهرونا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك عن سواك ورجوناك أن لا نُظْلَم عندك أيها الملك.

وهنا نطق الملك وقال: هل معك مما جاء به عن الله شيء ؟ قال نعم فقرأ عليه قرآنا ، فبكى النجاشي وبكى أساقفته ، وقال النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسى يخرج من مشكاة واحدة، وقال لَرجُلَي الوفد : انطلقا ، والله لا أسلمكم إليكما أبداً .

فلما خرجا قال عمرو والله لآتينّه بما يُبيد خَضْراءهم فقال له عبد الله: لا تفعل فإن لهم أرحاماً، وكان عبد الله أتقى من عمرو.

فلما كان الغد أتيا النجاشي وقال له عمرو: إن هؤلاء يقولون في عيس ابن مريم قولاً عظيماً، فأرسل النجاشي إليهم فجاءوا، فسـألهم عن قولهم في المسيح فقال : نقول الذي جاءنا بن نبيّنا هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم والعذراء البتول ، فأذ النجاشي عوداً في الأرض وقال : ما عدا عيس ما قلت هذا الودَ ، فنخرت[1] بطارقته فقال لهم : وإن نخرتم ، وقال لجعفر وأصـــحابه اذهبوا فأنتم آمنون ، ما احب أن لي جبلاً من ذهب وأنني آذيت رجلاً منكم !!

ورد هديه قريش وقال: ما أخذَ الله الرشـوة[2] من حتى آخذها منكم ، ولا أطاع الناس في حتى أطيعهم فيه وأقام المسلمون بخير دار ، وأحسن جوار.[3]

---

(١) يقال: نخر إذا رفع صوته بخيشومه .

(٢) يريد حين رد الله عليه ملكه .

(٣)(السيرة النبوية)(١/٣٣٢-٣٣٨)(زاد المعاد)(١/٩٧)(صحيح السيرة النبوية)(ص١٦٤- ١٨٧) للألباني ، (الرحيق المختوم)(ص١١١)(هذا الحبيب يا محب)(١٢٣- ١٢٥

نتائج وعبر: إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبر نوجزها فيما يلي :

(١) بيان ظلم قريش للمسلمين بلغ حداً لم يتجاوزه ظلم عرفه العرب في بلادهم.

(٢) بيان خيبة وفد قريش وفشله في مهمته؛ لأنه يحارب الله في أوليائه، ومن يحارب الله يُهزم، ويخسر في الدنيا والآخرة.

(٣) بيان كمال جعفر بن أبي طالب العلمي والديني، فرضيَ الله عنه وأرضاه.

(٤) بيان كمال أصحم النجاشي إيماناً وعلماً وكرماً وحسن جوار، فرحمه الله رحمة واسعة.

(٥) حرمة الرشوة وسوء أحوال أهلها معطين وآخذين.

(٦) مشروعية الهجرة وهي الانتقال من بلد الكفر حيث تعذر على العبد أن يعبد الله إلى دار يتمكن فيها من عبادة الله تعالى دون تعذيب.

(٧) بيان أول هجرة وقعت في الإسلام وهي الهجرة الأولى إلى الحبشة.

(٨) بيان فضل أصحاب الهجرة إلى الحبشة ومن بينهم عثمان بن عفان وزوجه رقية بنت النبي ﷺ.

(٩) بيان خطر الشائعات إذ بها رجع المهاجرون ولاقوا ما لاقوا من العذاب حتى اضطروا إلى الهجرة مرة ثانية.

* هجرة أبي بكر الصديق الأولى :

إن أبا بكر لما هاجر ذلك العدد الكبير من المسلمين إلى بلاد الحبشة ورأى اشتداد ضغط المشركين على المسلمين مع قلة الناصر، وإنه لم يقدر على أن يدفع عن أحد من المسلمين قرر الهجرة إلى الحبشة، وفعلا استأذن الرسول ﷺ فأذن له ، فخرج حتى إذا سار مسافة قرابة اليومين من مكة لقيه ابن الدُّغنَّة وهو يومها سيد الأحابيش ، فقال له : إلى أين يا ابا بكر ؟ قال : أخرجنى قومى ، وآذوني وضيقوا علَّي فقال الدُّغُنَّة : ولم ؟ فوالله إنك لتزين العشيرة ، وتعين النوائب ، وتفعل المعروف ، وتكسب المعدوم ارجع فأنت في جواري ، فرجع معه حتى إذا دخل مكة ،قام الدغنة فقال : يا معشر قريش إني قد أجرت ابن أبي قحافة فلا يعرضنَّ له أحد إلا بخير ، وحينئذ كفوا فلم يعرضوا له بسوء .[1]

وكان لأبي بكر مسجد عند باب داره يصلي فيه ويقرأ القرآن فيبكي فيقف عليه الصبيان والعبيد والنساء يعجبون لما يرون من هيئته وبكائه وقراءته، وبلغ قريشاً ذلك فأتوا إلى أبي الدُّغُنَّة، وقالوا له: إنك لم تجر هذا الرجل ليؤذينا؛ إنه رجل إذا صلى وقرأ ما جاء به محمد يرقّ ويبكي وكانت له هيئة، فنحن نتخوف على صبياننا ونسائنا وضعفتنا أن يفتنهم، فأته فمره أن يدخل بيته فليصنع فيه ما يشاء ، فذهب ابن الدغنة إلى أبي بكر فقال له : يا أبا بكر إني لم أجرك لتؤذي

---

(١) (صحيح السيرة النبوية)(ص٢١٢) للألباني. (هذا الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم يا محب) (ص١٢٦- ١٢٧) لأبي بكر جابر الجزائري.

قومك ؛ إنهم كرهوا مكانك الذي أنت فيه ، وتأذوا بذلك منك ، فادخل بيتك فاصنع فيه ما أحببت . فقال أبو بكر أو أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله ؟ قال فاردد عليَّ جواري ، قال : فرددته ، فقام ابن الدغنة فقال: يا معشر قريش إن ابن أبي قاحفة قد ردّ عليَّ جواري فشأنكم بصاحبكم.

فمرَّ بأبي بكر وهو عامد إلى الكعبة سفيه من سفهاء قريش فحثى على رأس أبي بكر تراباً ، ومر بأبي بكر رجل من قريش ولعله الوليد بن المغيرة أو العاص بن وائل ، فقال له أبو بكر : ألا ترى ما يصنع هذا

السفيه: فقال: أنت فعلت ذلك بنفسك، ومضى أبو بكر وهو يقول: أري ربّ ما حلمك، أي ربّ ما أحلمك، أي رب ما أحلمك !!

نتائج وعبر: لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبر نجملها فيما يأتي :

(١) هجرة أبي بكر الصديق مثلٌ حيٌ لكل مؤمن يضطهد في بلده ، فيخرج منه طالباً لعزة نفسه وحريّة عمله الإسلامي .

(٢) بيان فضل أبي بكر ، وما كان عليه من الإيمان والتقوى.

(٣) في ردّ أبي بكر جوار ابن الدغنة ورضاه بجوار ربه مثل عال في التوكل على الله تعالى.

(٤) وقول أبي بكر ربّ ما أحلمك ثلاثاً بعد ما وضع السفيه على رأسه التراب وشكاته إلى رجل قريش ورده بقوله: أنت فعلت ذلك بنفسك عبرة لكل مؤمن يضطهد في ذات الله، فيصبر على أذى قومه، ينتظر عقوبة الله تحل بالظالمين. (١)

مقاطعة بني هاشم وبني المطلب في الشِعب

إنه لما رأت قريش انتشار الإسلام وكثرة من يدخل فيه ، وبلغها ما لقيَ المهاجرون في بلاد الحبشة من إكرام وتأمين مع عودة وفدها خائباً لم يحصل على طائل ، اشتد حنقها على الإسلام والمسلمين ، فقامت بإتخاذ إجراء انتقام ظالم جائر ، ما كان لها أن تتخذ لولا ما أصابها من خيبة أمل جعلها تفكر هذا التفكير وتعمل هذا العمل الشرير .

اجتمع رجالها واتخذوا قراراً بكتابة كتاب يتعَاقدون فيه على بني هاشم وبني لمطلب. على أن لا ينكحوا إليهم ولا يُنكحوهم ولا يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم، وفعلا كتبوا صحيفة بذلك، وتعاهدوا عليها وتواثقوا، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة تأكيداً لأمرهم بذلك.

---

(١) (هذا الحبيب يا محب) لأبي بكر جابر الجزائري (ص١٢٦)

وكتب الصحيفة منصور بن عكرمة بن عامر فدعا عليه رسول الله ﷺ فشُلّت يده . ولما فعلت قريش هذا الفعل القبيح الجائر انحاز بنو هاشم وبنو المطلب إلى شعب أبي طالب، ودخلوا فيه برجالهم ونسائهم وأطفالهم، إلا ما كان من الطاغية أبي لهب، فإنه لم يدخل معهم؛ لأنه ظاهر قريشاً على عملهم الإجرامي هذا.

وكانت سنة سبع من البعثة واستمر الحصار في الشعب لبني هاشم وبني المطلب ثلاث سنوات، وعانوا فيها الجوع والحرمان، ما لا يخطر ببال، إنهم من شدة الجوع أكلوا ورق الشجر، وكان يسمع من بعيد بكاء أطفالهم من الجوع.

وكان حكيم بن حزام ربما يحمل قمحاً إلى عمته خديجة – رضي الله عنها – وقد تعرض له مرة أبو جهل فتعلق به ليمنعه، فتدخل بينهما أبو البختري، ومكَّنهُ من حمل القمح إلى عمته.

وكان أبو طالب يخاف على رسول الله ﷺ ، فكان إذا أخذ الناس مضاجعهم يأمر رسول الله ﷺ أن يضطجع على فراشه، حتى يرى ذلك من أراد اغتياله، فإذا نام الناس أمر أحد بنيه أو إخوانه أو بني عمه فاضطجع على فراش رسول الله ﷺ ، وأمره أن يأتي بعض فرشهم ٠ولما أرد الله تعالى تفريج كربهم بعد أن ضربوا الرقم القياسي في الصبر والاحتساب قيض الله جل جلاله رجالاً من ذوي

المروءة والحسب وعلى رأسهم هشام بن عمرو بن ربيعة إذ هو الذي مشى إلى رجال من قريش عرف فيهم عدم رضـــاهم على قرار قريش الجائر ، فاســـتثار شعورَهم وحمله على أن يتعاونوا على نقض الصحيفة ، وكانوا خمسة رجال ، ولما اجتمعت قريش في أنديتها قام أحدهم وهو زهير بن أبي أميّة وأقبل على الناس وقال : يا أهل مكة أنا نأكل الطعام ، ونلبس الثياب وبن هاشم هَلْكَى لا يباع له ولا يبتاع منهم ،والله لا أقعدنّ حتى تشــق هذه الصــحيفة الظالمة وقام أحد الرجال الخمســـة فقال مثل ما قال الأول، وقام ثالث مؤيداً ، وقام رابع بنفس الروح ، وتقدم المطعم ابن عدي إلى الصحيفة ليشقها فوجد الأرض قد أكلتها إلاكلمة (**باسمك اللهم**) وكان أبو جهل يسمع ويرى ما يَجْرِي في القضية فلم يتمالك اللعين حتى قال : هذا أمرٌ دُبِّرَ بليل..

ومزقت الصـــحيفة وبطل مفعولها، ويومئذ خرج بنو هاشـــم وبنو المطلب من الشِـــعب. ومن آيات النبوة أن النبيّ ﷺ أخبر عمه أبا طالب بأن الأرض قد أكلت كلمات الباطل والجور فيها وأبقت كلمة الحق فيها وهي :(**باسمك اللهم**) وكان الأمر كذلك ، فإنهم لما انتزعوا الصـــحيفة من جدار الكعبة لم يجدوا فيها إلا جملة (**باسمك اللهم**) وبذلك وبخهم أبو طال على صـــنيعهم فطأطأوا رؤوسهم ولم يجيبوا بشيء ، وقال في هذا أبو طالب شعراً:

وهو قوله:

وقد كان في أمر الصحيفة عبرةٌ متى يُخبِّر غائب القـوم يُعجبُ

محا الله منها كفرهم وعقـوقـهم وما نقموا من ناطِق الحق مُربُ

فأصبح ما قالوا من الأمر باطلا ومن يختلق ما ليس بالحق يكذبُ

نتائج وعبر:

إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبر هي كالتالي :

(١) بيان ما وصلت إليه قريش في الظلم والتعسف والجور ، وذلك باتخاذها قرار المقاطعة الجائر الهادم لكل خلق رقيمة إنسانية .

(٢) بيان ما لقى رسول الله ﷺ والمؤمنون من أذى واضطهاد من كفار قريش.

(٣) بيان صبر المؤمنون وجلدهم وذلك في ذات الله ﷻ.

(٤) بيان أن أهل المروءة والكرم لا يخلو منه زمان ولا مكان، والحمد لله.

(تجلّى آية النبوة المحمدية في أكل الأرضة الصحيفة الجائرة إلا اسم الله تعالى، وإخبار الرسول ﷺ بذلك فكان الأمر كما أخبر إذ نزعت الصحيفة فلم يجدوا فيها إلا جملة (**باسمك اللهم**) وما عدا ذلك أكلته الأرضة. [١]

---

(١)(هذا الحبيب يا محب)(ص١٢٨-١٣٠) لأبي بكر جابر الجزائري .

عـام الحزن وفاة ابو طالب:

إنه ما إن انفرجت تلك الأزمة الخانقة بالحصار في شعب أبي طالب التي دامت ثلاثة سنوات تقريباً حتى رزيء ﷺ بأعظم رزء، إنه وفاة أبي طالب العم الكافل والطود الأشم المانع، والأسد الحامي والحصن الواقي. ووفاة خديجة ومن هي خديجة؟ إنها الملاذ بعد الله، والأنيس بعد ذكره، إنها كانت تؤمنه إذا خاف، وتؤنسه إذا استوحش، تريحه بعذوبة حديثها إذا تعب، وتسدده بصائب رأيها إذ قلق أو اضطرب.

مرض أبو طالب مرضه الذي توفي فيه، وعلم به كفار قريش فجاءوا يطلبون منه أن يفاوض له ابن أخيه علهم يظفرون بصلح معه قبل وفاة عمه، فبعث أبو طالب إلى النبيّ ﷺ فحضر ؛ فقال له يا ابن أخي هؤلاء أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليعطوك وليأخذوا منك، فقال رسول الله ﷺ : ((**نعم كلمة واحدة تُعطونيها تملكون بها العرب، وتدين لكم العجم**)) فقال أبو جهل : وأبيك وعشر كلمات. قال ﷺ : ((**تقولون لا إله إ الله ، وتخلعون ما تعبدون من دونه**)) فصفقوا بأيديهم وقالوا : أتريد يا محمد أن تجعل الآلهة إلهاً واحداً ، إن أمرك لعجب . ثم قال بعضهم لبعض إنه والله ما هذا الرجل الذي يعطيكم

شيئاً مما تريدون ، فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم حتى يحكم الله بينكم وبينه، ثم تفرقوا وفيهم نزلت الآيات الأولى من سورة ((**ص {١}وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ {٢} بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ {٣} كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ {٤} وَعَجِبُوا أَن جَاءهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ {٤} أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ {٥} وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ {٦} مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ {٧}**))

[ص:١-٧]

واشتد المرض بأبي طالب فعاده الرسول ﷺ فوجد عنده بعض المشركين فعرض عليه الشهادة فقال : ((**يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج له بها عند الله يوم القيامة**)) فنظر أبو طالب إلى أشياخ الشرك فقالوا له : أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فقال: هو على ملة عبد المطلب. وفي هذا نزل قوله تعالى: ((**إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**)) [القصص:٥٦]

ومات أبو طالب فحزن الرسول ﷺ ، فقال: ((**لأستغفرنَّ لك ما لم أُنه عن ذلك**)) فأنزل الله تعالى من سورة التوبة : ((**مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ**)) [التوبة:١١٣]

ففي الصـــحيح عن العباس بن عبد المطلب، قال للنبي ﷺ : ما أغنيت عن عمك، فإنه كان يحوطك ويغضـــب لك ؟ قال عليه الســـلام : ((**هو في ضحضاح من نار ، ولو لا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار**)) [١]

وعن أبي ســـعيد الخدري أنه سمع النبي ﷺ – وذُكِرَ عنده عمه – فقال: ((**لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل له ضحضاح من النار تبلغ كعبيه**)) [٢]

وفاة خديجة رضي الله عنها:

وبعد خمسين يوماً من موت أبي طالب تقريباً ماتت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها وأرضـاها، وتتابعت المصـائب على رسـول الله ﷺ واشـتد الركب وعظم الحزن . مات العم الذي كان عضـــداً قوياً لرســـول الله ﷺ وكان حرزاً منيعاً، وماتت بعده خديجة المؤنســة ســاعة الوحشــة، والمؤمنة المطمئنة ســاعة القلق والخوف وخلت الســـاحة للمشـــركين فأخذوا ينالون من رســـول الله ﷺ ما لم يكونوا ينالونه من قبل فقد رموا بالأقذار عليه ، وعلى باب داره بل وداخل الدار حتى رموا بالقذر في القِدْر الذي يطبخ فيه.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري.

نتائج وعبر:

إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبر نوجزها في التالي:

(١) بيان سنة وفاة كل من أبي طالب وخديجة رضي الله عنها وهي سنة عشر من البعثة.

(٢) ذكر آخر عَرْض عرضه المشركون على رسول الله ﷺ للصلح؛ ولم يفلحوا لأنهم مصرون على الشرك.

(٣) بيان سبب نزول آيات: (ص، والتوبة، والقصص، فالأولى في المصالحة الفاشلة والثانية والثالثة في أبي طالب، والثانية في عدم الاستغفار له، والثالثة في تسلية الرسول ﷺ وحزنه على موته على الشرك.

(٤) تتابع المصائب على الحبيب ﷺ كان مؤذناً بالفرج.

(٥) فيما أصاب رسول الله ﷺ من مصائب عزاء لكل مؤمن فيما يصيبه في هذه الحياة من بلاء ومصائب مهما عظمت إذ رسول الله ﷺ أسوة المؤمنين والمؤمنات.

عوامل الصبر والثبات عند الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم

وهنا يقف الحليم حيران، ويتسائل عقلاء الرجال فيما بينهم:

ماهي الأسباب والعوامل التي بلغت بالمسلمين إلى هذه الغاية القصوى، والحد المعجزة من الثبات ؟ كيف صبروا على هذه الاضطهادات التي تقشعر لسماعها الجلود ، وترجف الأفئدة ؟ ونظراً إلى هذا الذي يتخالج القلوب ، نرى أن نشير إلى بعض هذه العوامل والأسباب إشارة عابرة مؤجزة :

١- إن السبب الرئيسي في ذلك أولاً هو الإيمان بالله وحده ومعرفته حق المعرفة.

٢- قيادة تهوى إليها الأفئدة، فقد كان النبي ﷺ وهو القائد الأعلى للأمة الإسلامية بل وللبشرية جمعاء – يتمتع من جمال الخلق وكمال النفس، ومكارم الأخلاق، وغيرها من الصفات الطيبة.

٣- الشعور بالمسئولية – فكان الصحابة يشعرون شعوراً تاماً ما على كواهل البشر من المسئولية الفخمة الضخمة – وهو نشر الدين الإسلامي الذي هو هم وفكر كل مسلم يؤمن بالله رباً ومحمداً رسولاً.

٤- الإيمان بالآخرة – وهو مما كان يقوي هذا الشعور بالمسئولية – فقد كانوا على يقين جازم من أنهم يقومون لرب العالمين، يُحاسبون بأعمالهم دقها وجلها، صيرها وكبيرها ، فإما إلى النعيم المقيم ، وإما إلى عذاب خالد في سواء الجحيم.

٥- القرآن – وفي هذه الفترات العصيبة الرهيبة الحالكة كانت تنزل السور والآيات تقيم الحجج والبراهين على مبادىء الإسلام – التي كانت الدعوة تدور حولها.

٦- البشارات بالنجاح – ومع هذا كله كان المسلمون يعرفون منذ أول يوم لاقوا فيه الشدة والاضطهاد – بل ومن قبله – أن الدخول في الإسلام ليس معناه جر المصائب والحتوف.

بل الدعوة الإسلامية تهدف – منذ أول يومها – إلى القضاء على جاهلية الجهلاء ونظامها الغاشم.

دعوة الرسول ﷺ إلى الإسلام خارج مكة .

في شوال سنة عشرة من النبوة خرج النبي ﷺ إلى الطائف ، وهي تبعد عن مكة نحو ستين ميلاً ، سارها ماشياً على قدميه جيئة وذهوباً ، ومعه مولاه زيد بن حارثة ، وكان كلما مر على قبيلة في الطريق دعاهم إلى الإسلام ، فلم تجب إليه واحدة منها . فلما انتهى إلى الطائف عمد ثلاثة إخوة من رؤساء ثقيف ،و هو عبد اليل ومسعود وحبيب أبناء عمرو بن عمير الثقفي ، فجلس إليهم ودعاهم

إلى الله، وإلى نصـرة الإسـلام ، فقال حدهم : هو يمرط ثياب الكعبة (أي يمزقها) ، إن كان الله أرسلك ، وقال الآخر : أما وجد الله أحدا غيرك ، وقال الثالث : والله لا أكلمك أبداً ، إن كنت رسولا لأنت أعظم خطراً من أرد عليك الكلام ، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي أن أكلمك . فقام عنهم رسول الله ﷺ ، وقـال لهم : **إذ فعلتم مـا فعلتم فـاكتموا عني** { وذلـك خوفـاً على الـدعوة الإسلامية } وأقام رسول الله ﷺ بين أهل الطائف عشرة أيام ، لا يدع أحداً من أشـرافهم إلا جاء وكلمه ، فقالوا : اخرج من بلادنا ، وأغروا به سـفهاءهم ، فلما أراد الخروج تبعه سـفهائهم وعبيدهم ، يسـبونه ويصـيحون به، حتى اجتمع عليه الناس ، فوقفوا سماطين (أي صـــفين) وجعلوا يرمونه بالحجارة وبكلمات من السـفه ، ورجموا عراقيبه ، حتى اختضـب نعلاه بالدماء. وكان زيد بن حارثه يقيه بنفسـه، حتى أصـابه شـجاج في رأسـه، ولم يزل به السـفهاء كذلك حتى ألجأوه إلى حائط لعتبة وشـــيبة ابنى ربيعة، على ثلاث أميال من الطائف، فلما التجاء إليه رجعوا عنه، وأتى رسول الله ﷺ بالدعاء المشـهور الذي يدل على امتلاء قلبه كآبة وحزناً مما لقى من الشـدة ، وأسفاً على أنه لم يؤمن به أحد ، قال :((**اللهم إليك أشـكو ضـعف قوَتي ، وقِلةَ حيلتي ، وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربي ، إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهمني ؟ أم**

إلى عدو ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك عليَّ غضبٌ فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك ، أو يحل علي سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك)) [1]

فلما رآه ابنا ربيعة تحركت له رحمهما ، فدعوا غلاماً لهما نصرانياً ، يقالله عداس ، وقالا له : خذ قطفاً من هذا العنب واذهب به إلى هذا الرجل ٠ فلما وضعه بين يدي رسول الله ﷺ مد يده إليه قائلاً : (**بسم الله**) ثم أكل ٠فقال عداس : إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد ، فقال له رسول الله ﷺ : من أي البلاد أنت ؟ وما دينك ؟ قال : أنا نصراني ، من أهل (نينوى) ٠ فقال رسول الله ﷺ من قرية الرجل الصالح يونس بن متى ٠ قال له : وما يدريك ما يونس بن متى ؟ قال رسول الله ﷺ : ذاك أخي ،كان نبياً وأنا نبي ، فأكب عداس على رأس رسول الله ﷺ ويديه ورجليه يقبلها. فقال أبنا ربيعة أحدهما للآخر : أما غلامك فقد أفسده عليك . فلما جاء عداس قال له : ويحك ما هذا ؟ قال ك سيدي ، ما في الأرض شيء خير من هذا الرجل ، لقد أخبرني بأمر لا يعلمه إلا نبي ، قالا له : ويحك يا عداس ، لا يصرفنك عن دينك ، فإن دينك خير من دينه.

---

(١) أخرج القصة بطولها ابن هشام (٢٦٠،٢٦٢/١) عن ابن اسحاق عن يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظي مرسلا ورجاله ثقات دون قوله : (الله إليك أشكو٠٠٠) فقد أورده بدون سند ، وأورده الهيثمي في (المجمع)(٣٥/٦) من حديث عبد الله بن جعفر ، ونسبه للطبراني ، وقال : وفيه إسحاق ، هو مدلس ، وبقية رجاله ثقات . انظر (زاد المعاد)(٣٢/٣) تحقيق – شعيب الأرنؤوط)

ورجع رسـول الله ﷺ عائداً من الطائف بعد أن أيس من خير ثقيف ، حتى إذا كان بنخلة [وهو مكان بين مكة والمدينة] قام من جوف الليل يصلي ، فمرَّ به نفر من الجنّ الذين ذكرهم الله تعالى في سـورة الأحقاف في قوله تعالى : ((**وَإِذْ صَـرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الْجِنِّ يَسْـتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَـرُوهُ قَالُوا أَنصِـتُوا فَلَمَّا قُضِـيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ {٢٩} قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَـى مُصَـدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْـتَقِيمٍ {٣٠} يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَـذَابٍ أَلِيمٍ {٣١} وَمَن لَّا يُجِـبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء أُوْلَئِكَ فِي ضَـلَالٍ مُّبِينٍ**)) [الأحقاف:٢٩-٣٢] وهم من جنّ نصيبين [مدينة بالشام] وكانوا سبعة نفر وحملوا رسالة الله تعالى إلى قومهم منذرين ، كما نزلت سـورة الجن في شـأنهم أيضـاً وفيها أخبارهم الكثير. في طريق مكة بعد خروجه من الحائط كئيباً محزوناً كسـير القلب، فلما بلغ قرن المنازل بعث الله إليه جبريل ومعه ملك الجبال، يسـتأمره أن يطبق الأخشـبين على أهل مكة . قال النبي ﷺ : ((**بل أرجو أن يخرج الله عز وج من أصلابهم من يعبد الله عز وجل وحده لا يشرك بالله شيئا**)) [١]

---

(١)البخاري ومسلم.

نتائج وعبر:

إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نذكرها إزاء الأرقام الآتية:

(١) بيان ثبات الرسول ﷺ وعدم يأسه مهما عظم البلاء، يدل على ذلك خروجه إلى الطائف يطلب النصرة.

(٢) بيان أن النبي ﷺ بل أستأذن في الحكمة، فانظر كيف اختار النفر الثلاثة إذ كانوا سادة ثقيف فلو أجابوا دعوته لأجابت كل أهل الطائف ، فلما رفضوها علم أن غيرهم سيرفضها فلذا لم يتصل بأحد غير النفر الثلاثة.

(٣) بيان سوء معاملة أهل الطائف ومع هذا لم يدع عليهم ﷺ بل دعا لهم، فقال : (**الهم اهد ثقيفاً وأت بهم**) واستجاب الله تعالى له فيهم فأتوا بعد حصارهم وآمنوا وأسلموا .

(٤) بيان فضل عداس ، وشهادته بنبوّة رسول الله ﷺ .

(٥) بيان مكان لقاء الجن النبيّ ﷺ، وحملهم رسالة الإسلام إلى أقوامهم.

الإسراء والمعراج :

متى كان الإسراء والمعراج ؟

إنه في السنة العاشرة من سني البعثة النبوّية، إنه – الإسراء والمعرج – كان مكافأة ربّانيّة على ما لاقاه الحبيب ﷺ من أتراح وآلام وأحزان؛ إذ كان بعد حصار دام ثلاث سنوت في شعب أبي طلب ، وما لاقى أثناءه من جوع وحرمان، إنه كان بعد فقد الناصر الحميم ، وفقد خديجة أو المؤمنين إنه كان بعد خيبة أمل في ثقيف ، وما ناله من سفهائها وصبيانها وعبيدها.

بعد هذه الآلام كَافأ الحبيب حبيبه فرفعه إليه وقرّبه وأدناه ، وخلع عليه من حلل الرضا ما أنساه كما كان قد لاقاه ، من حزن وألم ونصب وتعب ، وما قد يلاقيه في سبيل إبلاغ رسالته ونشر دعوته ، فصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما ذكر الله الذاكرون ، وما غفل عن ذكره الغافلون.

كيف بدأ الإسراء ؟

لقد كان الإسراء من بيت أم هانيء حيث أخرج الحبيب إلى المسجد الحرام إلى ما بين الحجر والحطيم حيث أجريت له عملية شقّ الصدر فأخرج القلب وغُسِلَ بماء زمزم المبارك، ثم أُتيَ بطست من ذهب مملوء إيماناً وحكمة فَحُشيَ بذلك القلب الإيمان وتلك الحكمة ثم أعيد القلب كما كان.

ثم أُتيَ بدابة وهي البراق فركبه إلى بيت المقدرس ، فربطه في حلقة باب المسجد ، ودخل المسجد فصلى فيه ، ثم وُضع له معراج ممت ما بين السماء والأرض ، فعرج بصحبة أخيه في الرسالة جبريل عليه السلام.

روى الإمام أحمد بسنده عن أنس بن مالك أن : ليلة رسول الله ﷺ قال : **أتيت بالبراق وهو دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل ، يضع حافره عند منتهى طرفه ، فركبتُ فسار بي حتى أتيت بيت المقدس ، فربطت الدابة بالحلقة التي يربط فيها الأنبياء ، ثم دخلت فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فأتاني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن ، فخترت اللبن فقال جبريل : أصبت الفطرة ، قال : ثم عرج بي إلى السماء الدنيا فاستفتح جبريل فقيل له من أنت ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : قد أُرسِلَ إليه . ففتح لنا فإذا أنا بآدم فرحب بي ودعا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل له : من أنت ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد. قيل: وقد ارسل إليه ؟ قال : قد أرسل إليه ففتح لنا فإذا أنا بابني الخالة يحيى وعيسى فرحبا بي ودعوا لي بخير ، م عرج بنا إلى السماء الثالثة ، فاستفتح جبريل فقيل له : من أنت ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد**

أرسل إليه ؟ قال : قد أرسل إليه ، ففتح لنا فإذا أنا بيوسف عليه السلام ، وإذا هو قد أعطى شـــطر الحســـن فرحب بي ودعا لي بخير . ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل ، فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل . فقيل : ومن معك ؟ قال : محمد ؛ فقيل : وقد أرســـل إليه ؟ قال : قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بإدريس فرحب بي ودع لي بخير ثم يقول الله تعالى : ﴿ ورفعناه مكاناً علياً﴾ ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل فقيل من أنت ؟ قال جبريل فقيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، فقيل وقد أُرسِلَ إليه ؟ قال : قد بُعِثَ إليه ، ففتح لنا فإذا بهارون ، فرحب بي ودع لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل فقيل من أنت ؟ قال : جبريل ، قيل من ومعك : قال : محمد ، فقيل وقد بُعِثَ إليه ؟ قال : قد بُعِثَ إليه ، ففتح لنا فإذا أنا بموسى عليه السلام ، فرحب بي ودعا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل من أنت ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، فقيل وقد بُعِث إليه ؟ قال : قد بُعِثَ إليه ، ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام ، وإذا هو مستند إلى البيت المعمور ، وإذا هو يدخله كل يوم ســـبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه ، ثم ذهب بي إلى ســـدرة المنتهى فإذا ورقها كآذان الفيلة ، وإذا ثمرها كالقلال ، فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت فما أحد من خلق الله تعالى يستطيع أن يصفها من حسنها.قال : فأوحى الله إلى ما أوحى ، وقد فرض عليَّ كل يوم وليلة خمسين صلاة فنزلت حتى انتهيت إلى موسى ، قال

: ما فرض ربك على أمتك ؟ قلت : خمسين صلاة في كل يوم وليلة ، قال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، فإن امتك لا تطيق ذلك وإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم ، قال : فرجعت إلى ربي فقلت : أي رب خفف عن أمتي فحط خمساً ، فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فقال ما فعلت ؟ فقلت قد حطَّ عني خمساً فقال إن أمتك لا تطيق ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، قال فلم أزل أرجع بين ربي وبين موسى ويحط خمساً خمساً حتى قال : يا محمد هن خمس صلوات في كل يوم وليلة بكل صلاة عشر ، فتلك خمسون صلاة ومن همّ بحسنة فلم يعملها كُتِبت له حسنة ، فإن عملها كتبت عشراً ، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب ، فإن عملها كتبت سيئة واحدة ، فنزلتُ حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته ، فقال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فإن أمتك لا تطيق ذلك ، فقال رسول الله ﷺ : (لقد رجعت إلى ربي حتى استحييت)[1] وقال عليه السلام : (لما عرج بي إلى ربي عز وجل مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم ، فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم.

---

(١) رواه أحمد في (المسند) وأورده ابن كثير في(تفسير القرآن العظيم) (١٧/٣) سورة الاسراء.

(٢) المصدر السابق .

ولما عاد ﷺ إلى المسجد الحرام وجلس فيه وهو لا يدري بم تقابل قريش النبأ العظيم ، والحدث والجلل، فما زال جالساً حتى مرّ به أبو جهل عليه لعائن الله فسأله قائلاً مستهزئاً : هل استفدت الليلة شيئاً ؟ فأجاب المصطفى : ((**نعم أُسريَ بي إلى بيت المقدس**)) قال أبو جهل : ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟ قال النبيّ ﷺ (**نعم**) ٠ قال أبو جهل : أُخْبِرُ قومك بذلك ؟ فقال النبيّ ﷺ :

(**نعم**). فقال أبو جهل: يا معشر بني كعب بن لؤى هلموا. فأقبلوا ، فحدثهم النبيّ ﷺ فمن صدق ، ومن مكذب مصفّق يده واضع يده على رأسه استعظاماً للخبر وإنكاراً له ، وتعجّباً منه ولشدة ما أثار الخبر من سخريَة وتعجب ارتد بعض من آمن ولم يرسخ الإيمان في قلوبهم ولم تخالط بشاشته قلوبهم.

ومشى رجال من المشركين المستهزئين إلى أبي بكر الصديق، وقالوا له: إن صاحبك يزعم أنه أُسريَ به إلى البيت المقدس ، فقال الصديق : إن كان قال هذا فقد صدق ! إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء يأتيه في غدوة أو روحة ٠ فلقب أبو بكر بالصديق من يومئذ.

واجتمعوا رجال قريش وأرادوا امتحان النبيّ ﷺ فقالوا له : انعت لنا المسج الأقصى فأخذ ينعته له ، فالتبس عليه فجيء له بالمسجد ينظر إليه وينعته لهم ، وعندئذ قالوا له أخبرنا عن عيرنا القادمة من الشام ن فقال قد مَرَرْتُ على عير بني فلان بالروحاء ، وقد أضلُّوا بعيراً لهم ، وهم في طلبه فسلوهم عن ذلك ،

ومررت بعير بني فلان وفلان وفلان ورأيت راكباً قعوداً بذي مرّ فنفر بَكره منه فسقط فلان فانكسرتْ يَدُه فسلوه ٠

ومررتُ بعيركم بالتنعيم يَقدمها جمل أورق عيه غرارتان تطلع عليكم طلوع الشمس، فخرجوا إلى الثنيّة فجلسوا ينتظرون طلوع الشمس، ليكذبوه وفجأة قال قائل هذه الشمس قد طلعت فقال آخر والله هذه العير قد طلعت يقدمها بعير أورق كما قال. ومع هذا فلم يؤمنوا، وقالوا إن هذا إلا سحر مبينٌ ٠ وأنزل الله تعالى مصداق ذلك فاتحة سورة الإسراء.

ونلخص الإسراء والمعراج في الآتي :

(١) لقد رآى النبي ﷺ جبريل عليه السلام على صورته مرتين، الأولى في الأرض والثانية عند سدرة المنتهى.

(٢) وقع حادث شق صدره ﷺ وهي المرة الثانية، وكانت الأولى في البادية ٠

(٣) عُرِضَ عليه اللبن والخمر، فاختار اللبن، فقيل: هديت الفطرة أو أصبت الفطرة، أما أنك لو أخذت الخمر غوت أمتك.

(٣) رأى أربعة أنهار في الجنة: نهران ظاهران، ونهران باطنان، والظاهران هما: النيل والفرات، معنى ذلك أن رسالته ستتوطن الأودية الخصبة في النيل والفرات ، وسيكون أهلها حملة الإسلام جيلاً بعد جيل ، وليس معناه أن مياه النهرين تنبع من الجنة .

(٤) ورأى مالك خازن النار، وهو لا يضحك ، وليس على وجه بشر وبشاشة وكذلك رأى الجنة والنار.

(٥) ورأى أكلة أموال اليتامى ظلماً لهم شـــافر كمشـــافر الإبل ، يقذفون في أفواههم قطعاً من نار كالأفهار ، فتخرج من أدبارهم .

(٦) ورأى أكلـة الربا لهم بطون كبيرة ، لا يقـدرون لأجلهـا أن يتحولوا عن مكانهم ، ويمر بهم آل فرعون حين يُعرضون على النار فيطأونهم.

(٧) ورأى الزناة بين أيديهم لحم سمين طيب إلى جنبه لحم غث منتن، يأكلون من الغثِ المنتن، ويتركون الطيب السمين.

(٨) ورأى النساء اللاتي يدخلن على الرجال من ليس من أولادهم . رآهن

نتائج وعبر :

إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نجملها فيما يأتي:

(١) المعجزات ليست ضروريّة لحصول الإيمان فقد رأى كفار قريش آيات عِظاماً ولم يؤمنوا.

(٢) تقرير حادثة الإسـراء والمعراج وثبوتها بالكتاب والسـنة والإجماع وأن الإسـراء والمعرج كانا بالروح والجسد معاً.

(٣) سبق أبي بكر وفضله وسبب تلقيبه بالصديق رضي الله عنه وأرضاه.

لطائف أمور قبل هجرة الحبيب ﷺ

أول هذه الأمور: نصُّ حديث البيعة إذ جاء فيه ما يلي : قال عبادة بن الصامت وكان أحد النقباء : بايعنا رسول الله ﷺ بيعة الحرب على السمع والطاعة في عسرنا ويسرنا ومنشطِنا ومكرهِنا وأثرةٍ علينا ، وأن لا ننازع الأمر أهله وأن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم.

ثاني هذه الأمور: أن العباس بن عبادة العوفي هو الوحيد الذي ظفر بلقب مهاجر أنصاري فاصحاب كلهم إما مهاجر أو أنصاري إلا العباس بن عبادة العوف فإنه خرج إلى رسول الله ﷺ بمكة وأقام معه بها ، فكان يقال له : مهاجري أنصاري استشهد بأُحُد رضي الله عنه .

وثالث هذه الأمور: لما تمّت بيعة العقبة الثانية وقد تضمّنت نُصْرَةَ رسول الله ﷺ ، وقال لهم: ((**إن الله عز وجل وقد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون بها**)) فخرجوا أرسالاً أي جماعة إثر جماعة ، وأقام رسول الله ﷺ بمكة ينتظر إذن ربه تعالى – له في الهجرة إلى المدينة.

ورابع هذه الأمور: أن أول مهاجر من قريش من بني مخزوم إلى المدينة كان أبا سلمة بن عبد الأسد بن عبد الأسد بن هلال، واسمه عبد الله رضي الله عنه وأرضاه.

وحديث هجرة أبي سلمة اللطيف الشريف:

لما عاد أبو سلمة من الحبشة إذ هاجر إليها أولاً، ولما وصل مكة آذته قريش ، وبلغه إسلام من أسلم من الأنصار ، فقرر الهجرة إلى المدينة ، فحمل زوجته أم سلمة وطفله وقاد بهما راحلته ، وخرج فلحقه رجال من بني مخزوم ، فقالوا له هذه نفسك قد غلبتنا عليها ، أرأيتك صاحبتك هذه غَلاَمَ نَتْرُكُكَ تسير بها في البلاد ، ونزعوا خطام البعير من يده ، وأخذوا الراحلة وعليها امرأته وولده ، وغضب عند ذلك الرجال من رهط أبي سلمة فقالوا : والله لا نترك ولدنا عندها ؛ إذ نزعتموها من صاحبنا فتجاذبوا الطفل حتى خلعت يدُه ، وانطلق به بنو عبد الأسد ، وحبس بنو المغيرة أم سلمة عندهم .

ولنستمع إليها وهي تحث عن قصة هجرتها ، قالت رضي الله عنها : ففرقوا بيني وبين زوجي إذ واصل هو سيره إلى المدينة ، وبيني وبين ولدي إذ أخذه رهط زوجي فكنت أخرج كل غداة إلى الأبطح ، فأجلس أبكي فلا أزال أبكي حتى أُمسي ، وذلك سنة أو قريباً منها ، حتى مرَّ بي رجل من بني عَميٍّ أحد بني المغيرة فرأى ما بي فَرحِمني ، فقال لبني المغيرة ألا تخرجون هذه المسكينة فرقتم بينها وبين زوجها ، وبينها وبين ولدها . فقلوا لي الحقي بزوجك إن شئتِ ، قالت : وردّ بو عبد الأسد إليَّ عند ذلك ابني ، فارتحلت بعيري ، ثم أخذت

ابني فوضـــعته في حجري ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة ، وما معي أحد من خلق الله ، فقلت : أبلّغُ بمن لقيه حتى أقدم على زوجي ، حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة بن أبي طلحة أخا بني عبد الدار ، فقال لي : إلى أين يا بنت أبي أمية ؟ قلت : أريد زوجي بالمدينة . قال : أو ما معك أحد ؟ قلت لا والله إلا الله وبُنَيَّ هـذا ، قـال والله مـالـك مِن متْركً ، فـأخـذ بخطـام البعيرة فانطلق معي يهوي بي ، فوالله ما صـــحبت رجلاً من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه ، كان إذا بلغ المنزل أناخ ثم اســتأخر عنيّ ، حتى إذا نزلت اســتأخر ببعيري فحط ، ثم قيده في الشـجرة ثم تنحَّى عني إلى شـجرة أخرى فاضـطجع تحتها ، فإذا دنا الرواح قام إلى بعيري فقدّمه فرحله ثم أستأخر عني ، وقال اركبي واسـتويت على بعيري أتى وأخذ بخطامه ، فقاده حتى ينزل بي ، فلم يزل يصـنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة ، فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقباء قال : زوجك في هذه القرية – وكان أبو سلمة نازلاً بها – فادخليها على بركة الله ، ثم انصـــرف راجعاً إلى مكة وهو يومئذ على الشـــرك ، وأســـلم إلا في هدنة الحديبية. والله ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة، وما رأيت صاحبها قط أكرم من عثمان بن طلحة.

هجرة الحبيب الطيب محمد ﷺ إلى طيبة الطيبة

إنه بعد أن خرج المؤمنون من مكة أرســـالاً – أي جماعات – إلى المدينة المنورة مهـاجرين ولم يبق منهم إلا محبوس أو مفتون كـان النبيّ ﷺ في انتظار الإذن لـه من ربّه عز وجل بالهجرة ، وأبقى معه عليّاً لحاجته إليه . وأما أبو بكر الصديق فإنه كثيراً ما كان يســتأذن رســول الله ﷺ في الهجرة فيقول : لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحباً فيطمع أبو بكر أن يكون رسول الله ﷺ هو الصاحب . وفي هذه الأيام بالذات كان رجال قريش يتخوفون منه ﷺ يلتحق بدور الأنصـــار وهم ذو شــوكة ومنعة وقد لحق بهم المؤمنون فقرروا المشــركون عقد اجتماع لهم بدار الندوة يحضـره أولو الرأي والمشـورة منهم للتفكير في أمر محمد ﷺ ، وجاءوا دار الندوة وإذا بشــيخ جليل عند بابها فســألوه من أنت ؟ قال شــيخ من نجد سمعت بما اتعدتم عليه ، فحضرتُ لأسمع ما تقلون وعسى أن لا تعدموا منيّ رأياً ونصــحاً ، فدخل معهم وقد ضــم الاجتماع أبا ســفيان وأبا جهل والنضــر ابن الحارث وكبار رجال قريش ، ودارت المناقشة للبحث عن المخرج ، فقال بعضهم : إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم – يعنون النبيّ ﷺ – فإنا والله ما نأمنه من الوثوب علينا فيمن قد اتبعه من غيرنا فأجمعوا فيه رأياً. فقال بعضــهم: احبسوه في الحديد، وأغلقوا عليه باباً ثم تربصوا به ما أصاب أشبهه من الشعراء الذين كانوا قبله – يريدون حتى يموت في الحبس – وفي هذا يقول تعالى عنهم: ((**أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ**)) [الطور:٣٠]

أي بالموت وهو بمعنى قوله تعالى : ((**وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**)) [الأنفال:٣٠] في الحديد محبوساً في دار حتى الموت. وهنا قال الشيخ النجدي ، وهو إبليس – نعوذوا بالله من إبليس – أتاهم في صورة شيخ جليل ليثقوا فيما يقترحه عليهم ، وهو الذي صرخ بأعلى العقبة منذ أشهر قائلاً : يا أهل الجباجب ، وهل لكم في مذمم والصباة ، ورد عليه الرسول ﷺ قائلاً :((**هذا أول العقبة ، والله لأفرغن لك أي عدو الله**)) جاء اليوم لينتقم فقال : لا والله ما هذا لكم برأي ، والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره وراء الباب الذي أغلقتموه دونه إلى أصحابه فَلأوشكوا أن يثبوا عليكم فينزعزه من أيديكم ، ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم ما هذا لكم برأي فانظروا غيره، فتشاوَرُوا ، ثم قال بعضهم : نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا ، فإذا خرج عنا فوالله لا نبالي أين ذهب. قال الشيخ النجدي : والله ما هذا لكم بالرأي ، ألم تروا حسن حديثه ، وحلاوة منطقه ، وغلبته على عقول الرجال بما يأتي به ، دَبّروا فيه أمراً غير هذا ٠فقال أبو جهل : والله إن لي فيه رأياً ما أراكم وقعتم فيه أبداً ٠ قالوا : وما هو

يا أبا الحكم ؟ قال : أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتىً شاباً نسيباً(١) وسيطاً(٢) فينا ، فيقتلوه فنستريح منه . ويتفرّق دمه في القبائل فلا يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً ، فيرفضون منّا بالعقل(٣) فنعقله له أي ندفع ديته لهم ، وهنا قال الشيخ النجدي (إبليس) : هذا الرأي لا أرى غيره ، فأجمعوا عليه ونفّذوا خطتهم ، وقد أوحى تعالى بذلك إلى رسوله محمد ﷺ ، فأمر ﷺ ابن عمه عليّاً بأن ينام على فراشه ويتغطّى ببرده ﷺ ، وأعلمه أنه لا يناله ما يكره إن شاء الله تعالى ، ثم أخذ ﷺ حفنة من تراب وخرج وهو يقرأ : ((**يس {١} وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ {٢} إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ {٣} عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ {٤} تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ {٥} لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ {٦} لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ {٧} إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلاَلاً فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ {٨} وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ**)) [يس:١-٩]

فأعمى الله أبصارهم، فخرج من بين أيديهم ووضع التراب على رؤوسهم وهم لا يشعرون، وانصرف ﷺ حيث أراد ، وبعد ساعة أتاهم آتٍ فقال لهم : ما

---

(١) ذو نسب شريف .

(٢) شريفاً .

(٣) بالدية .

تنتظرون هاهنا ؟ قالوا : محمد . فقال خيَّبكم الله قد والله خرج عليكم، ثم ما ترك رجلاً منكم إلا وضع الترب على رأسه، وانطلق لحاجته، فوضع كل واحد منهم يده على رأسه فإذا التراب عليه، فجعلوا يتطلعون من خلال شقوق الباب فيرون عليّاً على الفراش متغطياً ببرد النبيّ ﷺ فيقولون والله إن هذا لمحمد نائماً عليه برده ، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا ، فقام علي رضي الله عنه عن الفراش فلما رأوه قالوا. والله لقد صدقنا الذي كان حدثنا وانصرفوا. (١)

---

(١) (هذا الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم يا محب) (ص١٥٦- ١٥٨) لأبي بكر جابر الجزائري .

* بـداية الهجرة – من الدار إلى الغار :

غادر رسـول الله ﷺ بيته في ليلة ٢٧ من شـهر صـفر سـنة ١٤ من النبوة الموافق ٦٢٢/٩/١٢م .

وأتى إلى دار رفيقه – وأمن الناس عليه في صحبته وماله – أبي بكر الصديق – رضي الله عنه .

غـادر منزل الأخير من باب خلفي ، ليخرجا من مكـة على عجل ، وقبل أن يطلع الفجر. ولما كان النبي ﷺ يعلم أن قريشـاً سـتجد في الطلب ، وأن الطريق الذي سـتتجه إليه الأنظار لأول وهلة هو طريق المدينة الرئيسـي المتجه شمالاً ، فقد سلك الطريق الذي يضاده تماماً ، وهو الطريق الواقع جنوب مكة ، والمتجه نحو اليمن. سلك هذا الطريق نحو خمسة أميال ، حتى بلغ إلى جبل يُعرف بجبل ثور ، وهذا جبل شـــامخ ، وعر الطريق ، صـــعب المرتقى ، ذا أحجار كثيرة ، فحفيت قدما رســول الله ﷺ ، وقيل كان يمشــي في الطريق على أطراف قدميه كي يخفى أثره فخفيت أقدماه ، وأيا ما كان ؛ فقد حمله أبو بكر حين بلغ إلى الجبل ، وطفق يشتد به حتى انتهى به إلى غار في قمة الجبل ، وعرف في التاريخ بغار ثور .[1]

---

(١) انظر (رحمة العالمين)(٩٥/١) ،(مختصر السيرة)(ص١٦٧) للشيخ عبد الله النجدي . (الرحيق المختوم)(ص١٩٤) للمباركفوري .

ولما انتهيا إلى الغار قال أبو بكر: والله لا تدخله حتى أدخله قبلك ، فإن كان فيه شيء أصابني دونك ، فدخله فكسحه ، ووجد في جانبه ثقباً فشق إزاره وسدها به ، وبقى منها اثنان فألقمهما رجليه ، قال لرسول الله ﷺ : ادخل. فدخل رسول الله ﷺ ، ووضع رأسه في حجره ونام ، فلدغ أبو بكر في رجله من الجحر ، ولم يتحرك مخافة أن ينتبه رسول الله ﷺ ، فسقطت دموعه على وجه رسول الله ﷺ ، فقال : مالك يا أبا بكر ؟ قال : لدغت ، فداك أبي وأمي ، فتفل رسول الله ﷺ ، فذهب ما يجده.(١)

وقمنا في الغار ثلاث ليال ، ليلة الجمعة وليلة السبت وليلة الأحد (٢) وكان عبد الله بن أبي بكر يبيت عندهما.

قالت عائشة: وهو غلام شاب ثقف لقن، فيدلج من عندهما بسحر، فيصبح مع قريش بمكة كبائت، فلا يسمع أمراً يكتادان به إلا وعاه، حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام. وكان يرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم، فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العِشاء، فيبيتان في رسل – وهو لبن منحيتهما ورغيفهما حتى ينعق بهما عامر بن فهيرة بغلس، يفعل ذلك كل ليلة من تلك الليالي الثلاث. (٣)

---

(١)رواه رزين عن مر بن الخطاب رضي الله عنه ، وفيه ثم انتقض عليه (أي رجع السم حين موته) وكان سبب موته .

(٢) انظر (فتح الباري شرح صحيح البخاري) لابن حجر العسقلاني (٣٣٦/٧)

(٣) (صحيح البخاري)(٥٥٤/١،٥٥٣) .

وكان عامر بن فهيرة يتبع بغنمه أثر عبد الله بن أبي بكر بعد ذهابه إلى مكة ليعفى عليه.[١]

أما قريش فقد جن جنونها حينما تأكد ليها إفلات رسول الله ﷺ صباح ليلة تنفيذ المؤامرة . فأول ما فعلوه بهذا الصدد أنهم ضربوا علياً ، وسحبوه إلى الكعبة ، وحبسوه ساعة ، علهم يظفرون بخبرهما .[٢]

ولما لم يحصلو من عليٍّ على جدوى جاءوا إلى بيت أبي بكر ، وقرعوا بابه ، فخرجت إليهم أسماء بنت أبي بكر ، فقالوا لها : أين أبوك ؟ قالت : لا أدري والله أين أبي ؟ فرفع أبو جهل يده – وكان فاحشاً خبيثاً – فلطم خدها لطمة طرح منها قرطها)[٣]

وقررت قريش استخدام جميع الوسائل التي يمكن القبض عليهما ، وحينئذ جدت الفرسان والمشاة وقصاص الأثر في الطلب ، وانشروا في الجبال والوديان ،و الوهاد والهضاب ، لكن من دون جدوى وبغير عائد.

وقد وصل المطاردون إلى باب الغار ، ولكن الله غالب على أمره ، روى البخاري عن أنس عن أبي بكر قال : كنت مع النبي ﷺ في الغار فرفعت رأسي ، فإذا أنا بأقدام القوم ، فقلت : يا نبي الله لو أ، بعضهم طأطأ بصره رآنا.

---

(١) (السيرة النبوية) (١/٤٨٦) لابن هشام. (٢)(رحمة العالمين)(١/ص ٩٦).

(٣) (السيرة النبوية)(١/٤٨٧) لابن هشام .

قال: (**اسكت يا أبا بكر، اثنان الله ثالثهما**)، وفي لفظ: (**ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما**) [١]

وقد كانت معجزة أكرم الله بها نبيه ﷺ ، فقد رجع المطاردون حين لم يبق بينه وبينهم إلا خطوات معدودة.[٢]

في الطريق إلى المدينة :

حين خمدت نار الطلب، وتوقفت أعمال دوريات التفتيش، وهدأ تثائرات قريش بعد استمرار المطاردة الحثيثة ثلاث أيام بدون جدوى، تهيأ رسول الله ﷺ وصاحبه للخروج إلى المدينة.

وكان قد استأجر عبد الله بن أريط الليثي، وكان هادياً خريتا – ماهراً بالطريق – وكان على دين كفار قريش، وأمناه على ذلك، وسلما إليه راحلتيهما، ووعداه غار ثور بعد ثلاث ليالي براحلتيهما، فلما كانت ليلة الأثنين – غرة ربيع الأول سنة ١هـ الموافق ١٦ /٩/ ٦٢٢م – جاءهما عبد الله ابن أريقط بالراحلتين وحينئذ قال أبو بكر للنبي ﷺ : بأبي أنت يا رسول الله، خذ إحدى راحلتي هاتين، وقرب إليه أفضلهما فقال رسول الله ﷺ : **بالثمن**.

---

(١) (صحيح البخاري) (١/٥٥٨، ٥١٦) .(٢) انظر (الرحيق المختوم)(ص١٩٥-١٩٦) للمباركفوري .

وتأتهما أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما بسفرتهما، ونسيت أن تجعل لها عصاما، فلما ارتحل ذهبت لتعلق السفرة فإذا ليس لها عصام، فشقت نطاقها اثنين ، فعلقت السفرة بواحد ، وانتطقت بالآخر، فسميت ذات النطاقين ، ثم ارتحل رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه ، وارتحل معهما عامر بن فهيرة ، وأخذ بهم الدليل – عبد الله بن أريقط – على طريق السواحل ٠ وأول ما سلك بهم بعد الخروج من الغار أنه أمعن في اتجاه الجنوب

نحو اليمن ، ثم اتجه غرباً نحو الساحل ، حتى إذا وصل إلى الطريق لم يألفه الناس اتجه شمالاً على مقربة من شاطىء البحر الأحمر ، وسلك طريقاً لم يكن يسلكه أحد إلا نادراً.

(١)روى البخاري عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: أسرينا ليلتنا ومن الغد حتى قام قائم الظهيرة، وخلا الطريق ، لا يمر فيه احد ، فرفعت لنا صخرة طويلة لها ظل لم تأت عليها الشمس ، فنزلنا عنده ، وسويت للنبي ﷺ مكاناً بيدي ، ينام عليه ، وبسطت عليه فروة ، وقلت : نم يا رسول الله ، وأنا أنفض لك ما حولك ، فنام ، وخرجت انفض ما حوله ، فإذا أنا براعٍ مقبل بغنمه إلى الصخرة ، يريد منها مثل الذي أردنا ، فقلت له : لمن أنت يا غلام ؟ فقال: لرجل من أهل المدينة أو مكة ٠ قلت: أفي غنمك لبن ؟ قال : نعم. قلت: أفتحلب ؟ قال نعم . فأخذ شاة، فقلت: انفض الضرع من التراب والشعر والقذى. فحلب في كعب كثبة من لبن ، ومعي إداوة حملتها للنبي ﷺ ، يرتوي

منها ، ويشـرب ويتوضـأ، فأتيت النبي ﷺ ، فكرهت أن أوقظه ، فوافقته حين اسـتيقظ ، فصـببت من الماء على اللبن حتى برد أسـفله ، فقلت : أشـرب يا رسـول الله فشـرب حتى رضـيت، ثم قال: **ألم يحن الرحيل** ؟ قلت: بلى، قال: فرتحلنا . (١)

(٢) كان من دأب أبي بكر رضي الله عنه أنه كان ردفا للنبي ﷺ ، وكان شيخاً يُعرف ، ونبي الله ﷺ شـاب لا يُعرف ، فيلقى الرجل أبا بكر فيقول : من هذا الرجل الذي بين يديك ؟ فيقول : هذا الرجل يهديني الطريق ، فيحسـب الحاسب أنه يعني به الطريق ، وإنما يعني سبيل الخير (٢)

(٣) وتبعهما في الطريق سراقة بن مالك.

قال سـراقة : بينما أنا جالس في مجلس قومي بني مدلج ، أقبل رجل منهم حتى قام علينا ، ونحن جلوس ، فقال : يا سراقة ، إني رأيت آنفاً سودة بالساحل ، أراها محمد وأصحابه . قال شراقة : فعرفت أنهم هم . فقلت له : إنهم ليسوا بهم ، ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً انطلقوا بأعيننا ، ثم لبثت في المجلس ساعة ، ثم قمت فدخلت ، فأمرت جاريتي أن تخرج فرسي ، وهي من وراء أكمة، فتحبسها علي ، وأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت، فخططت بزجه الأرض ، وخفضت عليه ، حتى أتيت فرسي فخررت عنها ، فقمت، فأهويت يدي إلى

---

(١) الرحيق المختوم _ص١٩٥- ١٩٦).

(٢) رواه البخاري عن أنس (١/٥٥٦).

كنانتي ، فاستخرجت منها الأزلام ، فاستقسمت بها ، أضرهم أم لا ؟ فخرج الذي أكره ، فركبت فرسي وعصيت الأزلام، تقرب بي ، حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ – وهو لا يلتفت ، وأبو بكر يكثر الالتفات – ساخت يدا فرسي في الأرض ، حتى بلغتا الركبتين ، فخررت عنها ، ثم زجرتها فنهضت ، فلم تكد تخرج يديها ، فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها غبار ساطع في السماء مثل الدخان ، فاستقسمت الأزلام، فخرج الذي أكره ، فناديتهم بالأمان ، فوقفوا ، فركبت فرسي حتى جئتهم ، ووقع في نفسي حيث لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ ، فقلت له : إن قومك قد جعلوا فيك الدية ، وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم ، وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزآمي ، ولم يسألاني إلا أن قال : أخف عنا، فسألته أن يكتب لي كتاب أمن ، فأمر عامر بن فهيرة ، فكتب لي في رقعة من أدم ، ثم مضى رسول الله ﷺ .[1] وكان الكتابُ معه إلى يوم الفتح مكة فجاءه بالكتاب، فوفَّاه له رسول الله ﷺ ، وقال : يوم وفاءٍ وبِرٍ ، وعرض عليهما الزاد والحِملان ، فقالا: لا حاجة لنا به ، ولكن عمِّ عنا الطلب ، فقال : كُفيتم ، ورجع فوجَدَ الناس في الطلب ، فجعل يقول : قد استبرأتُ لكم الخير ، وقد كفيتم ما هاهنا ، وكان أول النار جاهداً عليهما، وآخره حاراً لهما .[2]

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٨/١٨٦/٧)، والحاكم (٦/٣، ٧) من حديث سراقة، وأخرج بعضه مسلم (٢٠٠٩) من حديث البراء ، وأخرجه البخاري(١٩٦/٧) ، وأحمد(٢١٢/٣) من حديث أنس . انظر (الرحيق المختوم)(ص١٩٩) للمباركفوري.

(٢) انظر (زاد المعاد في هدي خير العباد) (٥٤/٣) لابن القيم الجوزية .

ومر في مسـيرة ذلك حتى مر بخيمتي أم معبد الخزاعية ، وكانت امرأة برزة جلدة تحتبي بفناء الخيمة ، ثم تطعم وتسقي من مر بها ، فسألاها : هل عندك شيء ؟ فقالت : والله لو كان عندنا شـيء ما أعوزكم القرى والشـاء عازب (٣) ، وكانت سنة شهباء ٠فنظر رسول الله ﷺ إلى الشاة في كسر الخيمة ، فقال : ما هذه الشـاة يا أم معبد ؟ قالت : شـاة خلفها الجهد عن الغنم ، فقال : هل بها من لبن ؟ قالت : هي أجهد من ذلك ٠ فقال : أتأذنين لي أن أحلبها ؟ قالت : نعم بأبي وأمي ، إن رأيت بها حلبا فاحلبها . فمسـح رسـول الله ﷺ بيده ضـرعها ، وسمى الله ودعا، فتفاجت عليه ودرت ، فدعا بإناء لها يربض الره ط(١) ، فحلب فيه حتى علته الرغوة ، فسقاها حتى رويت ، وسقى أصحابه حتى رووا ، ثم شـرب ، وحلب فيه ثانياً ، حتى ملأ الإناء ، ثم غادروا فارتحلوا. فما لبثت أن جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزا عجافا يتساوكن (٢) هُزالاً، فلما رأى اللبن عجب ، فقال : من أين لك هذا ؟ والشـاة عازب ، ولا حلوبة في البيت ؟ فقالت : لا والله أنه مر بنا رجل مبارك كان حديثه كيت وكيت ، ومن حاله كذا وكذا ، قال : إني والله أراه صاحب قريش الذي تطلبه ، ففيه لي يا أم معبد ، فوصـفته بصـفاته الرائعة بكلام رائع كالسـامع ينظر إليه وهو أمامه قالت : ظاهِرُ الَوضاءة ، أبلجُ الوجه (٣)، حَسَنُ الخَلْقِ ، لم تعبه ثُجْلَة(٤)

---

(١) الشاء عازب : بعيدة عن المرعى (٢) يربض الرهط : يرويهم ويثقلهم حتى يناموا ويمتدوا على الأرض من ربض المكان ٠

(٣) يتساوكن : يتمايلن من شدة ضعفهن. (٤) أبلج الوجه : مشرقه ومسفره ٠

(٧) الثُّجلة : ضخامة البطن ٠

ولم تُزْر به صُـعْلَة [١]، وسـيم قَسِـيم [٢]، في عَيْنَيْهِ دَعَجٌ[٣] ، وفي أشْـفَارِهِ وطفٌ [٤]، وفي صوته صَحَل ،وفي عُنُقِهِ سَطَعٌ ، أحورُ ، أكحل ، أزجُّ ، أقرنُ ، شديدُ سـواد الشـعر، إذا صـمت علاه الوقارُ ، وإن تكلم ، علاه البهاءُ ، أجملُ الناس وأبهاهُم مِن بعيد ، وأحسـنهُ وأحلاه من قريب حَلْوُ المنطق ، فصـلٌ ، لا نَزْر ولا هَذْر ،كأنَّ منطقه خرزاتُ نظْمٍ يَتَحَدَّرْنَ ، ربعةٌ ، لا تقحمُه عينٌ مِن قصـــر ، ولا تشنؤ مِن طول ، غصنٌ بين غُصنين ، فهو أنضرُ الثلاثة منظراً ، وأحسنهم قدْرَاً ، له رفقاء يحفُّون به ، إذا قال : اســتمعوا لقوله ، وإذا أمر ، تبادروا إلى أمره ، محفودٌ[١] محشــودٌ[٢] لا عابس ولا مُفْنِدٌ، [٣] فقال أبو معبد : واللهِ هذا صـــاحب قريش الذي ذكروا من أمره ما ذكروا ، لقد هممتُ أن أصـــحبَه ، ولأفعلنَّ إن وجدت إلى ذلك سـبيلا ، وأصـبح صـوت بمكة علياً يسـمعونه ولا يرونه القائل :

جَزَى اللهُ ربُّ العَرْشِ خَيْر جَزائِهِ رَفِيقَيْنِ حَلاَّ خَيْمَتَيْ أُمِّ مَعْبَـدِ

هُمَا نَزلاَ بالبرِّ وارْتَحَلا بـه وَأَفْلَحَ مَنْ أمْسَى رَفِيقَ مُحَمَّـدِ

---

(١) المحفود: الذي يخدمه أصحابه ويعظمونه ويسرعون في طاعته.

(٢) المحشود: هو الذي يجتمع إليه الناس.

(٣) لا عابس ولا منفند: بكسر النون هو الذي يكثر لومه.

فَيَا لَقُصَيٍّ مَا زَوَى اللهُ عَنْكُـمُ بِهِ مِنْ فَعَالٍ لا يُجَازَي وَسودَدِ

لِيَهْن بَني كَعْبٍ مَكانُ فَتَاتِـهِمْ وَمَقْعَدُهَا لِلْمُؤمنِينَ بِمَرْصَـدِ

سَلُوا أُخْتَكمْ عَنْ شَاتِهَا وإنَائِهَا فَإنَّكُمُ إنْ تَسْألوا الشَّـاءَ تّشهَدِ[1]

قالت أسماء بنت أبي بكر – رضـي الله عنها – : ما دَرَيْنَا أين توجه رسـول الله ﷺ ، إذ أقبل رجل من الجن من أسـفل مكة ، فأنشـد هذه الأبيات ، والنَّاس يتَّبعونه ويسمعونَ صوته ، ولا يرونه حتى خرج من أعلاها ، قالت : فلما سَمِعْنَا قوله ، عرفنا حيثُ توجه رسول الله ﷺ ، وأن وجههُ إلى المدينة.[2]

قالت أسماء – رضـي الله عنها: لما خرج أبو بكر مهاجراً أخذ كل ماله معه، وكان سـتة آلاف درهم. قالت: فدخل علينا جَدّي أبو قاحفة، وكان قد ذهب بصـره، فقال إني أراه قد فجعكم بماله مع نفسـه ، قالت : قلت له كلاَّ يا أبت إنه ترك لنا خيراً كثيراً ، وأخذت أحجاراً فوضـعتها في كوّة في البيت الذي كان أبي يضع ماله فيها ثم وضعت عليها ثوباً ، ثم أخذت بيده وضعتها عليها ،

---

(١) قال شـعيب الأرنؤوط : في تحقيقه (زاد المعاد)(٥٦/٣) حديث حسـن ، أخرجه الحاكم(٩،١٠/٣) من حديث هشام بن حبيش ، وأورده الهيثمي في (مجمع الزوائد)(٥٨/٦) ، ونسبه للطبراني وقال : وفي إسناده جماعة لم أعرفهم ، وله شاهدان آخران من حديث جابر وأبي معبد الخزاعي ، ذكرهما الحافظ ابن كثير في (البداية والنهاية) (١٩٢،١٩٤/٣) ، وأخرجه ابن سعد في (الطبقات)(٢٣١،٢٣٠/١) ٠ويروى أن حسّان بن ثابت لما بلغه شعر الجني وما هتف به في مكة قال أبياتاً ، مطلعها:

لقد خاب قوم غاب عنهم نبيهُمُ وقد سر من يسري إليهم ويغتدى

(٢)انظر (زاد المعاد)(٥٧/٣-٥٨) لابن القيم الجوزية ٠ (الرحيق المختوم)(ص٢٠١) للمباركفوري ٠

وقلت يا أبت هذا المال الذي ترك لنا أبو بكر ٠ فقال : إن كان ترك لكم هذا فقد أحسـن ، وفي هذا بلاغ (١) لكم ٠ قالت أسماء بعد ذلك : والله ما ترك لنا شيئاً ، وإنما أردت أن أسكن الشيخ بذلك لا غير ٠

(٥) وفي الطريق لقى النبي ﷺ أبا بريدة ، وكان رئيس قومه ، خرج في

طلب النبي ﷺ وأبي بكر ؛ رجاء أن يفوز بالمكافأة الكبيرة التي كان قد أعلن عنها قريش ، ولما واجه رسول الله ﷺ وكلمه أسلم مكانه مع سبعين رجلا من قومه ، ثم نزع عمامته ، عقدها برمحه ، فاتخذها راية تعلن بأن ملك الأمن والسلام قد جاء ليملأ الدنيا عدلا وقسطاً ٠(٢)

(٦) وفي الطريق لقى رسول الله ﷺ الزبير ، وهو في ركب المسلمين ، كانوا تجاراً قافلين من الشام ، فكسا الزبير رسول الله ﷺ وأبا بكر ثياباً بيضاء)(٣)

---

(١) البلاغ : ما يتبلغ به في الحياة من مال أو طعام ونحوه ٠

(٢) انظر (رحمة العالمين) (١٠١/١)، (الرحيق المختوم) (٢٠١) للمباركفوري ٠

(٣) (الرحيق المختوم) للمباركفوري ٠

نتائج وعبر:

إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نجملها فيما يلي :

(١) بيان خبث أبي جهل وشدته على المؤمنين فلعنه الله حياً وميتاً.

(٢) بيان مدى ما بذلت قريش في سبيل قتل النبي ﷺ ، والقضاء على الإسلام.

(٣) من الجن مؤمنون، وإن كلامهم ليسمع، وإن لم تر ذواتهم.

(٤) فضل أم معبد وهي عاتكة بنت خالد.

(٥) تجليّ آية النبوة المحمدية في ذرّ الشاة وسقي الرسول ﷺ ، أهل بيت أم معبد وسائر أفراد رفقته .

(٦) تجليّ آية النبوة في سقوط سراقة وعجزه عن الوصول إلى النبيّ ﷺ ، وفي إخبار الرسول ﷺ له بأنه سيسور سوارى كسرى، وكان الأمر كما أخبر ﷺ .[١]

---

(١)(هذا الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم يا محب)(ص١٦٤) لأبي بكر جابر الجزائري .

النزول بقباء:

وفي يوم الإثنين ٨ ربيع الأول سنة ١٤ من النبوة – وهي السنة الأولى من الهجرة – الموافق ٦٢٢/٩/٢٣م نزل رسول الله ﷺ بقباء. قال عروة بن الزبير: سمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله ﷺ من مكة ، فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة ، فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة ، فانقلبوا يوماً بعد أطالوا انتظارهم ، فلما أووا إلى بيوتهم أوفى رجل من يهود على أطم من آطامهم لأمر ينظر إليه ، فبصر برسول الله ﷺ وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب ، فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته يا معشر العرب ، هذا جدكم الذي تنتظرون ، فبادر الأنصار[1] بالسلاح ليتلقَّوا رسول الله ﷺ ، وسُمِعتِ الرَّجةُ والتَّكبيرُ في بني عمرو بن عوف ، وكبَّر المسلمون فرحاً بقُدومه ، وخرجوا للقائه ، فتلقَّوه وحيَّوه بتحية النبوة ، فأحدقوا به مطيفين حوله ، والسكينة تغشاه ، والوحي ينزل عليه ((**فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ**)) [التحريم:٤] فسار حتى نزل بقُباء في بني عمرو بن عوف ، فنزل على كُلْثُوم بْنِ الهدْمِ [2]

---

(١) أخرجه ابن سعد في (الطبقات)(٢٣٣/١) ، وأخرجه البخاري بنحوه(١٨٩/٧، ١٩٠) من طريق ابن شهاب أخبرني عروة بن الزبير أن رسول الله ﷺ لقي الزبير ٠٠ قال الحافظ : وصورته مرسل ، لكن وصله الحاكم(١١/٣) أيضاً من طريق معمر عن الزهري قال : أخبرني عروة بن الزبير أنه سمع الزبير ، وأخرجه ابن هشام في (السيرة النبوية)(٤٩٢/١) من حديث ابن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عبد الرحمن بن عويمر بن ساعدة قال : حدثني رجال من قومي من أصحاب رسول الله ﷺ به ، وقوله : (مبيضين) أي : عليهم الثياب البيض ، وقوله : هذا جدكم : أي : حظكم وصاحب دولتكم الذي تتوقعونه ، وفي رواية معمر: هذا صاحبكم ٠انظر: (زاد المعاد)(٥٨/٣)(السيرة النبوية)(٤٩٢/١) ، (الرحيق المختوم)(ص٢٠٢) .

(٢)(الرحيق المختوم)(ص٢٠٢) ، (زاد المعاد)(٥٨/٣)(السيرة النبوية)(٤٩١/١) ،(هذا الحبيب يا محب)(ص١٦٣).

على أهله خيراً ؛ قال تعالى : ((**لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ**))[التوبة:١٠٨] ومكث علي بن ابي طالب بمكة ثلاثاً ، حتى أدى عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس ، ثم هاجر ماشياً على قدميه .، حتى لحقهما بقباء ، ونزل على كلثوم بن الهدم قِل لبيته : وقد تفطرت قدماه رضي الله عنه حتى دعا به رسول الله ﷺ قيل إنه لا يقد على المشي فأتاه رسول الله ﷺ واعتنقه وبكى رحمةً به ، وتفل في كفيه الطاهرتين ومسح بهما رجلي عليّ فشُفيَ في الحال ، ولم يشك قدميه حتى قُتِل رضي الله عنه – ، وقد نزل علي على امرأة لا زوج لها فرأى رجلاً يأتيها بالليل فارتاب في أمرها فسألها فقالت الذي يأتيني هو سهل بن حنيف إنه رآني امرأة لا زوج لي فهو يكسر أصنام قومه ويحملها إلي ويقول احتطبي بها ، فكان يذكر عليّ هذا لسهل بن حنيف بعد موته رضي الله عنهم أجمعين.[١] وأقام رسول الله ﷺ بقباء أربعة أيام : الإثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس .[٢] وهنا بقباء أتى سلمان الفارسي الذب طالما انتظر مجيئه جاءه من المدينة بكيس من التمر وقال هذا صدقة تصدقت بها عليكم – وهو يريد بذلك اختباره – فقال الحبيب ﷺ : ((**لا نأكل الصدقة**))

---

(١) (السيرة النبوية) (٤٩٣/١) لابن هشام، (هذا الحبيب ﷺ يا محب)ص١٦٤).

(٢)(زاد المعاد) (٥٨/٣).

وأمره أن يتصدق بها على غيره ، وانصرف سليمان وعاد في اليوم الثاني معه تمر آخر وقدمه للرسول ﷺ ، وقال : هذه هدية قدمتها لك، فقبلها ﷺ ودعا له بخير.

وهنا أعلن سلمان إسلامه ، فقال : **أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله** . وسبب عمل سلمان هذا أن علم من الكتب السابقة أن النبيّ محمداً ﷺ من نعوته وصفاته أنه يقبل الهدية ولا يأكل الصدقة. ولما قضى رسول الله ﷺ ما كتب الله له من أيام في قباء بديار بني عمرو ابن عوف سار إلى المدينة وفي طريقه أدركته صلاة الظهر بديار بن سالم بن عوف وكان اليوم يوم جمعة فصلى بهم الجمعة وخطبهم في مسجدهم ببطن الوادي (**دانونا**) فكانت أول جمعة صليت في الإسلام ؛ وركب الحبيب ﷺ راحلته فأتاه عُتبان بن مالك وعباس بن عبادة في رجال من بني سالم وقالوا : يا رسول الله أقم عندنا حيث العدد والعدة والمنعة ، وهم ممسكون بخطام الناقة لِينُيخوها فقال لهم ((**دعوها فإنها مأمورة**)) وواصل سيره إلى طيبة طابت مغانيها ، وسلام على ساكنيها.

نتائج وعبر:

إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبر نوجزها في الآتي:

(١) بيان أن مسجد قباء كان أول مسجد بُنيَ في الإسلام.

(٢) بيان كيفية معرفة سلمان للنبي ﷺ وذلك بما أجرى من اختبار عليه بالصدقة والهدية لعلمه السابق أن من صفات نبيّ آخر الزمان أنه يقبل الهدية ولا يأكل الصدقة.

(٣) بيان أول جمعة صليت في الإسلام هي تلك التي صلاها رسول الله ﷺ في مسجد بني سالم بن عوف ببطن وادي (**دانونا**).

(٤) عرض بني سالم على النبيّ ﷺ الإقامة بينهم وترغيبه في ذلك وذكرهم لكثرة رجالهم وسلاحهم ومنعتهم الحربية يُعتبر موقفاً مشرفاً خالداً له رضي الله عنهم وأرضاهم .

وبعد الجمعة دخل النبي ﷺ المدينة – ومن ذلك اليوم سميت بلدة يثرب بمدينة الرسول ﷺ ، وكان يوماً تاريخياً أغر ، فقد كانت البيوت والسكك ترتج بأصوات التحميد والتقديس ، وكانت الأنصار تتغنى فرحاً بقدومه عليه السلام . [1] ثم رَكِبَ ﷺ ، فأخذوا بخِطام راحلته ، هَلُمَّ إلى العدد والعُدَّة والسلاح والمنعة ، فقال: ((**خَلُّوا سَبِيلَهَا ، فإنها مأمورةٌ**)) فلم تزل ناقته سائرة به لا تمرُّ بدارٍ من دُور الأنصار إلا رغِبوا إليه في النزول عليهم ، ويقول : ﴿ **دَعُوهَا فإنَّها مأمورَةٌ**﴾ فصارت حتى وصلت إلى موضع مسجده اليومَ ، وبركت ، ولم ينزل عنها حتى نَهَضَتْ وسَاراتْ قليلاً ، ثم التفت ، فرجعت ، فبركت في موضعها الأول ، فنزل عنها ، وذلك في بني النجار أخوالِهِ ﷺ [2] .قال البراءُ : أوَّلُ مَن قَدِمَ عَلَيْنَا مِن أصحاب رسول الله ﷺ مُصْعَبُ ابنُ عُمير وابن أم مكتومٍ ، فجعلا يُقْرئانِ النَّاس القرآن ، ثم جاء عمارٌ وبلالٌ وسعدٌ ، ثم جاء عمرُ بنُ الخطَّاب ﷺ في عشرين راكباً ، ثُمَّ جاء رسُولُ الله ﷺ ، فما رأيتُ النَّاسَ فَرِحُوا بشيء كَفَرحهمُ بَهِ حتى رَأيتُ النَّساء والصِّبيان والإماءَ يقولونَ : هذا رسُولُ الله قدْ جاءَ [3].

---

(١) لم نورد قصيدة (طلع البدر علينا) وذلك لعدم ورودها في (كُتُب صحيح السيرة) لذلك علماء السير لم يوردها كإبن هشام وما أكثر القصائد التي أوردها – وأشار ابن القيم على وهم في ثبوتها في الزمان والمكان ، وما ذكر المباركفوري في حاشية كتابه – بعيداً جداً عن منهج المحدثين فلا تغتر بما نقله عن العلاَّمة المنصور فوري . والخبر في نشيدة (**طلع البدر علينا من ثنيات الوداع**) أعله الحافظ العراقي في تخريجه وتحقيقه على (الإحياء) للغزالي.

(٢) انظر (زاد المعاد في هدي خير العباد)(٥٨/٣)

(٣) أخرجه البخاري(٢٠٤/٧،٢٠٣) في فضائل أصحاب النبي ﷺ : باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه ، وفي تفسير (سبح اسم ربك الأعلى) ، والطيالسي(٩٤/٢) .

وقال أنس: شـــهدته يومَ دخلَ المدينة فما رأيتُ يوماً قطُّ ، كان أحســـنَ ولا أضـــوأ مِن دخلَ المدينة علينا ، وشـــهدتُه يومَ ماتَ ، فما رأيتُ يوماً قطُّ ، كان أقبحَ ولا أظلم مِن يومِ مات [1] وكان توفيق الله لها ، فإنه أحبَّ أن ينزل على أخواله ، ويكرمهم بذلك ، فجعل الناس يُكلِّمون رسول الله ﷺ في النزول عليهم ، وبادر أبو أيوب الأنصـــاري إلى رحله ، فأدخله بيته ، فجعل رســـول الله ﷺ يقول : ((**الَمْرءُ مَعَ رَحْلِهِ**))وجاء سعد بن زرارة ، فأخذ بزمام راحلته ، وكانت عنده .[2] ونزل رسول الله ﷺ بالسفل من الدار ، وأبو أيوب وأم أيوب بالعلوي فآلم ذلك أيوب ، فقال يا رســـول الله إني أكره أن أكون فوقك وتكون تحتي ، فاظهر أنت فكن في العلوي وننزل نحن فنكون في السفل ، فقال رسول الله ﷺ : ((**يا أبا أيوب إن أرفق بنا وبمن يغشـــانا ان أكون في أســـفل البيت**))وطابت نفس أبي أيوب رضـــي الله عنه . وكان أبو أيوب يصـــنع الطعام فإذا أكل منه ﷺ وتركه أُخذ وقُدم لأبي أيوب ليأكل منه ، فكان ﷺ يســـأل عن موضـــع أصـــابع رسـول الله ﷺ ليتتبع موضـــع أصـــابعه فيأكل منه رجاء البركة . فصنع له يوماً طعاماً فيه ثوم ، فلما رُدَّ إليه سـأل عن موضـع أصـابع رسـول الله ﷺ فقِيلَ له لم يأكل ففزع وأتى رســـول الله ﷺ فقال : أحرامٌ ؟ فقال : ((**لا ولكني أكره ذلك**)) وهذا لأنه ﷺ يناجي المَلَك ، وغيره لا يناجي.

---

(١) أخرجه أحمد(١٢٢/٣) والدارمي (٤١/١)٠(٢) (صحيح مسلم)(١٦٢٣/٣)(١٧١) والبخاري(١٩٦/٧و١٩٧) و(الطبقات)(٢٣٧/١) و(مجمع الزوائد)(٦٣/٦) ، (البداية والنهاية)(١٥٩/٢)(السيرة النبوية)(٤٩٥/١).

بناء المسجد النبوي الشريف.

بَرَكت ناقة النبي ﷺ مَوْضِعَ مسجده وهو يومئذ يُصليّ فيه رجالٌ من المسلمين ، وكان مِرْبَداً لِسَهْلٍ وَسُهَيْلِ غلامين يتيمين من الأنصار ، كان في حَجرْ أسعد بن زُرارة ، فساوم رسولُ الله ﷺ الغلامينِ بالمربَدِ ، ليتخذهُ مسجداً ، فقالا : بل نَهَبُهُ لك يا رسولَ الله ، فأبى رسول الله ﷺ ، فابتاعَهُ بِعشرة دنانير ، وكان جداراً ليس له سقف ، وقبلتهُ إلى بيت المقدس ، وكان يُصلي فِيهِ ويُجَمّعُ أسعد بن زرارة قبل مقْدَم رسول الله ﷺ ، وكان فيه شجرةُ غَرْقَدٍ وخِرَبٌ ونخَلٌ وقبور للمشركينَ ، فأمرَ رسول الله ﷺ بالقبورِ فنُبِشت ، وبالخرب فسوّيت وبالنَّخلِ والشجرِ فقطِّعت وصفت في قبلةِ المسجد ، وجعَلَ أساسه قريباً من ثلاثة أذرع ، ثم بنوه باللبن ، وجعل رسول الله ﷺ يبني معهم ، وينقُلُ اللبِنَ والحجارة بنفسه ويقول :

اللهم لا عَيْشَ إلاَّ عَيْشَ الآخرهْ فاغْفِر لِلأنْصَار والمُهَاجِرَه

وكان يقول :

هذا الحِمَالُ لا حِمَلُ خَيْبَر هذا أبرُّ رَبَّنا وأطْهَر[1]

وجعلوا يرتَجِزُن ، وهم ينقلونَ اللَّبن ، ويقول بعضهم في رجزه :

لَئِن قَعَدْنَا والرَّسولُ يَعْمـلُ لَذَاك مِنَّا الَعَمَلُ المضَلَّلُ[2]

---

(١)أخرجه بنحوه البخاري(١٩٢،١٩٣/٧) ، ومسلم (٤٣٨/١ ،٤٣٩)(٢٠٧/٧) وانظر (زاد المعاد)(٦٢/٣) . تحقيق شعيب الأرنؤوط. (٢) المصدر السابق .

وجعل قِبلته إلى بيت المقدس ، وجُعِلَ له ثلاثة أبواب : باباً في مؤخره ، وباباً يقال له : باب الرحمة ، والباب الذ يدخل من رســـول الله ﷺ ، وجعل عمده الجذوع ، وسَقَفَه بالجريد ، وقيل له : ألا تُسَقِّفه ، فقال : (لا ، عَريش كعريش موســى) وبنى إلى جنبه بيوت أزواجه باللَّبن ، وســقفها بالجريد والجذوع ، فلما فرغ من البناء بنى بعائشــة في البيت الذي بناهُ لها شــرقي المســجد قبيله ، وهو مكان حجرته اليوم ، وجعل لسودة بنت زمعة بيتاً آخر.(١)

نتائج وعبر : (١) بيان عظم فرحة الأنصار بمقدم الرسول ﷺ ، وما أبدوه من حفاوة وترحيب لم يسبق لهما نظير في التاريخ البشري .

(٢) بيان آية الناقة في سيرها وبروكها لقوله ﷺ : (**دعوها فإنها مأمورة**).

(٣) بيان فوز أبي أيوب خالد بن زيد بنزول الرســـول ﷺ بداره ، وإقامته بها حتى بنى مسجده وحجرات نسائه بإزائه.

(٤) بيان أدب أبي أيوب وكمال حبه لرسول ﷺ إذ لم تطب نفسه أن يسكن في أعلى المنزل والرسول ﷺ في أسفله.

(٥) مشــروعية التماس البركة من آثار النبي ﷺ ، إن وجدت كسؤره وشعره وريقه وثيابه ، وما إلى ذلك.

(٦) بيان بناء المســـجد النبوي الشـــريف وبناؤه أول عمل قام به النبيّ ﷺ في المدينة.

---

(١) (الطبقات)(١/٢٤٠) لابن سعد .

جهود الرسول ﷺ في الإصلاح والتأسيس والبناء بالمدينة النبوية

إنه ساعة حلوله بالمدينة أخذ ﷺ على عاتقه مهمة الإصلاح والبناء والتأسيس والبناء للمجتمع المسلم والدولة الإسلامية الوارثة لأكبر دولتين عالميتين وهما دولة الفرس ودولة الروم ، وبتتبع الخطوات التالية تتجلّى هذه الحقيقة وتتأكد بإذن الله تعالى :

الخطوة الأولى: إن أول خطوة كانت في الإصلاح والبناء بناء المسجد النبوي الشريف والحجرات الطاهرات.

الخطوة الثانية: استقدام الأسرتين الشريفتين أسرة الحبيب ﷺ وأسرة الصديق رضي الله عنه.

الخطوة الثالثة: الاتصال باليهود بواسطة عبد الله بن سلام رضي الله عنه، ودعوتهم إلى الإسلام . إنه نزل ﷺ بطيبة حتى جاءه عبد الله بن سلام أحد أحبار اليهود بالمدينة ليمتحنه في صدق نبوّته وصحة رسالته الأسئلة التالية :

ما أول أشراط الساعة ؟، ما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟ ، ما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه ؟

فأجابه الحبيب ﷺ قائلاً : (**أخبرني بهن جبريل آنفاً**) فقال عبد الله: جبريل؟ فقال النبي ﷺ (**نعم**) قال عبد الله : هو عدو اليهود من الملائكة ، وأخذ الرسول ﷺ يشرح مضمون الأسئلة فقال : (**أما أول أشراط الساعة فنار تخرج على الناس من المشرق تسوقهم إلى المغرب ، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت ، وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل ماءَ المرأة نزع الولد إلى أبيه ، وإذا سبق ماءُ المرأة ماءَ الرجل نزع الولد إلى أمه**).

وهنا قال عبد الله بن سلام: (**أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنك رسول الله**).ثم أصبحت الإتصالات مع اليهود مواتية عن طريق عبد الله بن سلام ، ودعوتهم إلى الإسلام.(١)

الخطوة الرابعة: وضعه ﷺ ميثاقاً للمهاجرين والأنصار متضمَّناً موادعة اليهود بالمدينة.

إن من أبرز الجهود التي بذلها الحبيب ﷺ في الإصلاح والتأسيس والبناء كتابه الذي كتبه فضمّنه ميثاقاً في غاية الدقة ، وحسن السياسة فألّف بين سكان المدينة من الأنصار والمهاجرين وجيرانهم من طوائف اليهود وربط بينهم فأصبحوا به كتلة واحدة يستطيعون أن يقفوا في وجه كل من يريد أهل المدينة بسوء.

وهذه ديباجة الكتاب المذكور وبعض ما حواه من مودِّ الميثاق الذي اشتمل عليه.

---

(١) (هذا الحبيب صلى الله عليه وسلم يا محب)(ص١٧٥)لأبي بكر جابر الجزائري – حفظه الله – بتصرف .

بسم الله الرحمن الرحيم

(هذا كتاب محمد النبيّ الأميّ بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أنهم أمة واحدة من دون الناس ..) إلى آخر كتابه المتضمِّن لأعظم ميثاق عرفه الناس .

وهذا بعض ما جاء فيه من مواد في غاية الأهمّيّة ٠

- إن المؤمنين لا يتركون مُفَرَّجاً بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء وعقل ٠
- لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه٠
- إن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دَسيعة ظُلْم أو إثم أو عدوان، أو فساد بين المؤمنين، وإن أيديهم عليه جميعاً ولو كان ولد أحدهم ٠
- لا يَقْتُلُ مؤمن مؤمناً في كَافر، ولا ينصر كَافراً على مؤمن ، وإن ذمة الله واحده ، يُجير عليهم أدناهم٠
- إن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس ، وإنه مَنْ تبعنا من اليهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متُناصر عليهم ٠
- إن سِلمَ المؤمنين واحد لا يُسالم مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم ٠
- من اغتبط مؤمناً قتلاً عن بيّنة فإنه قَوَدٌ به إلا أن يرض ولي لمقتول وإن المؤمنين عليه كافة ، ولا يحل لهم إلا قيام عليه .

- إن اليهود ينقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم ، وللمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم أو أثم فإنه لا يوُتعُ[1] .فغف
- إن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وإنَّ بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة، والبرّ دون الإثم ، وإنه لم يأثم امرؤ بحليفة ، وإن النصر للمظلوم ، وإن الجار كالنفس غير مضارّ ولا آثم .
- وإنكم مهما اختلفتم في شيء فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد رسول الله ﷺ . [2]

الخطوة الخامسة : هي مؤاخاته بين المهاجرين والأنصار.

إن من الرشد والكمال النبوي، والنضج السياسي، والحكمة المحمدية خطوة الحبيب ﷺ في المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار في ظرف كان المهاجرون فيه أحوج ما يكونوا إلى ما يخفف عنهم آلام الغربة والفاقة والفرقة إذ تركوا ديارهم وأموالهم وأهليهم ، وحلوا ببلد لم يكن لِيتسِعَ حتى لأهله فضلاً عن النازحين إليه .

---

(١) لا يوتع: لا يوبق ولا يهلك إلا نفسه وأهل بيته .

(٢) (هذا الحبيب صلى الله عليه وسلم يا محب)(ص١٧٨) .

وبهذه المؤخاة التي آخى فيها الرسول الحكيم بين المهاجرين والأنصار، والتي كان الأنصاريّ فيها يقول لأخيه انظر إلى أعجب نسائي إليك أطلقها فإذا انتهت عدتها تزوّجتها ، بهذه المؤاخاة كان المجتمع المدني قد الْتَحَمَ بعضه ببعض ، وأصبح جسماً واحداً ينهض بكل عبء يُلقى عليه. وبذلك أعده الرسول الحكيم لتحمل عبء إعلان الحرب على الأبيض والأصفر، وقتال القريب والبعيد من كافة أهل الشرك والكفر .

وهذا نموذج مصغَّر من تلك المؤخاة :

أخوان المهاجر : أبو بكر الصديق

الأنصاري : خارجة بن زهير

أخوان المهاجر : أبو عبيدة عامر بن الجرّاح

الأنصاري : سعد بن معاذ

أخوان المهاجر : عبد الرحمن بن عوف

الأنصاري : سعد بن الربيع

أخوان المهاجر : عمر بن الخطاب

الأنصاري : عتبان بن مالك

أخوان المهاجر : عثمان بن عفان

الأنصاري : أوس بن ثابت

أخوان المهاجر : طلحة بن عبيد الله

الأنصاري : كعب بن مـالك

أخوان المهاجر : سلمـان الفارسي

الأنصاري : أبو الـدرداء

أخوان المهاجر : بلال بن رباح

الأنصاري : أبو رويـحة

وهـا هي ذي الكلمـة الطيبـة التي قـالهـا الحبيـب ﷺ فتمـت بهـا المؤاخـاة بين المهاجرين والأنصار إنها هي قوله فداه أبي وأمّي والناس أجمعون:

((**إن إخوانكـم قد تركوا الأمـوال والأولاد وخرجوا إليكـم**)) وما إن قالها حتى قال الأنصار : أموالنا بيننا قطائع ، فقال رسول الله ﷺ : (أو غير ذلك ؟) فقـالوا : ومـا ذاك يا رسـول الله ؟ قـال : ((**هم قوم لا يعرفون العمل فتكفونهم العمل، وتقاسمونهم الثمر**)) قالوا : نعم ، وبعدها قال المهاجرون يا رسـول الله ما رأينا مثل قومٍ قدِمنا عليهم أحسـن مواسـاة في قليل ، ولا أحسـن بذلاً من كثير ، لقد كفونا المؤونة وأشركونا في المهنأ ، حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله ، فقال الحبيب ﷺ : ((**لا، ما أثنيْتُم عليهو ودعوتم الله لهم**)) هكذا كانت المؤاخاة في ظروف الحاجة ، ولما وسـع الله على المسـلمين نسـخ التوارث بها وأقر المودة والحب بينهم. فقال تعالى : ((**وَأُوْلُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ**

أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَـابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَـاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفاً كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً))[الأحزاب:٦]

نتائج وعبر : إن لهذه الخطوات الخمس من السيرة العطرة نتائج وعبراً :

(١) المسجد في الإسلام هو المنطلق لكل خير وكمال ، تطلبه الأمة المسلمة ، إذ فيه تعالج أمراض الجهل وسوء الخلق ، والملكات السيئة في بعض الأفراد.

(٢) ظهور الحكمة المحمدية في كل خطوة من هذه الخطوات الخمس.

(٣) الموادّ التي اشتمل عليها الميثاق الذي تضمنه كتاب رسول الله ﷺ للمهاجرين والأنصـــار دالة على ما كان يتمتع به الحبيب ﷺ من العلم والحكمة وحســـن السياسة والرشد العام فيها.

(٤) المؤاخاة بين المهاجرين والأنصـار، وكتاب الميثاق وما اشـتمل عليه من مواد إصلاحية وسياسية الكل دال بوضوح على أن هناك توقعاً لحرب قد يطول مداها ، وكذلك فقد دامت زهاء عشـر سـنوات أي إلى أن التحق الحبيب ﷺ بالرفيق الأعلى ، وخاضـها بعده خلفاؤه وتابعوهم ، وستبقى الحرب وتستمر بين الشـرك والتوحيد ، والإيمان والكفر ما بقيت فتنة ، ووجد يعبد غير الله تعالى. [1] قال تعالى من سـورة الأنفال : **((وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ))** [الأنفال:٣٩]

---

(١) انظر (السـيرة النبوية)(٥٠٤/١) لابن هشـام ،(البداية والنهاية)(١٧٦/٣) لابن كثير ، (زاد المعاد في هدي خير العباد)(٦٣/٣) ،(الرحيق المختوم)(ص٢١٨) صـــفي الرحمن المباركفوري ٠(هذا الحبيب صـــلى الله عليه وســـلم يا محب)(ص١٧٨-١٧٩) لأبي بكر جابر الجزائري ٠

غزوة بدر الأولى

أسبابها: إن سبب هذه الغزوة هو أن كـــرز بن جابر الفهري أغار على سرح المدينة أي ما شـــيتها من إبل وغنم وبقر ، وذلك بعد عودة النبي ﷺ من غزوة العشيرة ببضعة أيام.(١)

فلما أغار كرز على سرح المدينة خرج الحبيب ﷺ مع أصحابه في طلبه لافتكاك الماشـــية منه ، فاســـتخلف ﷺ على المدينة زيد بن حارثة مولاه ، وعطى اللواء عليّ بن أبي طالب ن وســـار في طلب كرز حتى بلغ وادياً يقال له سَـــفْوَان في ناحية بدر ، وفاته كرز فلم يدركه ، فســـمّيت هذه الغزوة بغزوة بدر الأولى ، إذ انتهى فيها مســـير رســـول الله ﷺ إلى قرب بدر ، ووصـــفت بالأولى لأن بعدها بدراً الكبرى التي نصـــر الله فيها الرســـول والمؤمنين على أبي ســـفيان والمشـــركين وهناك بدر الآخرة، فلذا قيل في هذه بدر الأولى .(٢)

---

(١) غزوة العشـــيرة في آخر جمادي الأولى ، وبعد عودته في أول الشـــهر من غزوة بواط بلغ النبي ﷺ أن أكثر من عير لقريش – أي قوافل تجارية – ذاهبة إلى الشام فعزم على السير إليها لعله يظفر ببعضها.

فخرج ﷺ بعد أن استخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد ، وأعطى اللواء عمه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه . وسار حتى نزل **العشيرة** من بطن ينبع ، ولم يلق من عيرات قريش ولا عيراً لفواتها ، ولكنه ﷺ وادع فيها بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة ، فكان في ذلك خير للإســـلام والمســـلمين ، فأقام بالمنطقة بقية جمادي الأولى ، ولياليي من جمادي الآخرة ، وعاد إلى المدينة ، ولم يلق كيداً من أحد ، والحمد لله .

وأخرج البخاري (٢١٨/٧) عن زيد بن أرقم قيل له : كم غزا النبي من ﷺ غزوة ؟ قال : تسع عشرة ، قيل : كم غزوت أنت معه ؟ قال : سبع عشرة ، قلت : فأيهم كانت أول ؟ قال : العشير أو العشيرة ، فذكرت لقتادة ، فقال : (العشيرة) وفي (صحيحه) أيضاً (١١٦/٨) عن بريدة قال : غزا رسول الله ﷺ ست عشرة غزوة ، ولمسلم (١٨١٤) عنه أنه غز مع رسول الله ﷺ ست عشرة غزوة . وفي رواية له عنه أن رسول الله ﷺ غزا تسع عشرة غزوة ، وقاتل في ثمانٍ منهن.

(٢) (هذا الحبيب صلى الله عليه وسلم يا محب)(ص٢٠٦) لأبي بكر جابر الجزائري .

غزوة بدر الثانية الكبرى الفاصلة :

لهذه الغزوة الفاصـــلة في تاريخ الدعوة الإســـلامية، والمعَنْونُ لها في القرآن **بيوم الفرقان**. قال ابن القيم:

فلما كان في رمضـــانَ مِن هذه الســـنة، بلغ رســـول الله ﷺ خبرُ العِير المقبلة من الشـام لقريش صُـحبةَ أبي سـفيان ، وهي العِير التي خرجوا في طلبها لما خرجت مِن مكة ، وكانوا نحو أربعين رجلاً ، وفيها أموالٌ عظيمة لِقريش ، فندب رسـول الله ﷺ الناس للخروج إليها ، وأمر من كان ظهرُه حاضـراً بالنهوض ، ولم يحْتَفِلْ لها احتفالاً بليغاً ، لأنه خرج مُسْـرِعاً في ثلاثمائة وبضـعة عشـرة رجلاً ، ولم يكن معهم من الخيل إلا فَرَســان: فرس للزبير بن العوام ، وفرسٌ للمِقداد بن الأســود الكندي ، وكان معهم سبعون بعيراً يَعْتَقِبُ الرجلان والثلاثةُ على البعير الواحد، فكان رسولُ الله ﷺ ، وعلي ، ومَرْثَدُ بنُ أبي مَرْثَدٍ الغَنوي ، يعتقِبون بعيراً (٣)

---

(٢) قال شعيب : هذا قول ابن إسحاق كما في (السير)(١/٦١٣)(١/٤١١) والذي جاء في (مسند) أحمد(٤٩٠١) و(٣٩٦٥) من حديث ابن مســـعود قل : كنا يوم بدر ، كل ثلاثة على بعير – أي يتعاقبون – وكان أبو لبابة وعلي بن أبي طالب زميلي رسول الله ﷺ ، وكانت عقبة رسول الله ﷺ ، قال : فقالا : نحن نمشي عنك ، فقال : (ما أنتما بأقوى مني ، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما) وسنده حسن ، وصححه الحاكم ووفقه الذهبي .

وزيد بن حارثة ، وابنه وكبشةُ موالي رسول الله ﷺ ، يعتَقبونَ بعيراً وأبو بكر ، وعمر ، وعبدُ الرحمن بن عوف ، يعتقبون بعيراً ، واستخلف على المدينةِ وعلى الصلاة ابنَ أم مكتوم ، فلما كان بالرواحاء(١)

رد أبا لُبابة بن عبد المنر ، واستعمله على المدينة ، ودفع الواء إلى مُصعبِ بنِ عمير ، والراية الواحدة إلى عليَّ بن أبي طالب ، والأخرى التي للأنصار إلى سعد بن معاذ ، وجعل على الساقة قيس بن صَعْصَعَةَ ، وسار ، فلما قَرُبَ من الصَّفْرَاء ، بعث بَسْبسَ بن عمرو الجهني ، وعدي بن أبي الزغباء إلى بدر يتجسَّسان أخبار العِير .

وأما أبو سفيان ، فإنه بلغه مخرجَ رسول الله ﷺ وقصده إياه ، فاستأجر ضَمْضَمَ بنَ عمرو الغِفاري إلى مكة ، مُستصْرخاً لقريش بالنَّفير إلى عِيرهم ، ليمنعوه من محمد وأصحابه ، وبلغ الصريخُ أهل مكة ، فنهضوا مُسرِعينَ ، وأعبوا (٢) في الخروج ، فلم يتخلَّفْ من أشرفهم أحدٌ سوى أبي لهب ، فإنَّه عوَّض عنه رجلاً كان له عليه دين ، وحشدُوا فيمن حولهم من قبائل العرب ،

---

(١) الرَوْحاء : بفتح وسكون الواو : قرية على نحو أربعين ميلاً من المدينة .

(٢) يقال : أوعب القوم : إذا خرجوا كلهم إلى الغزو .

ولم يتخلف عنهم أحد من بطون قريش إلا بني عدي ، فلم يخرج معهم منهم أحد ، وخرجوا مِن ديارهم كما قال تعالى : ((**وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِم بَطَراً وَرِئَاء النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَاللّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ**)) [الانفال:٤٧] وأقبلوا كما قال رسول الله ﷺ : ﴿ **بِجَدِّهِمْ وَحَدِّيدِهِم ، تُحَادُّهُ وَتُحَآدُّ رَسُولَه** ﴾ (٤) ولما بلغَ رسول الله ﷺ خروجُ قُريش ، استشار أصحابه ، فتكلَّم المهاجرون فأحسَنُوا ، ثم استشارهم ثانياً ، فتكلم المهاجرون فأحسنوا ، ثم استشارهم ثالثاً ، ففهمت الأنصارُ أنه يعنيهم ، فبادر سعدُ بن معاذ ، فقال : يا رسول الله ! كأَنَّكَ تُعَرِّضُ بنا ؟ وكان إنما يعنيهم ، لأنهم بايعوه على أن يمنعوه من الأحمر والأسود في ديارهم ، فلما عزم على الخُروج ، استشارهم لِيعلم ما عندهم ، فقال له سعد : لَعَلَّكَ تَخْشى أنْ تَكُون الأنصارُ تَرَى حقاً عليها أن لا ينصروك إلا في ديارها ، وإني أقول على الأنصارُ وأُجِيب عنهم : فاظْعَنْ حَيْثُ شِئت ، وَصِلْحَبْلَ مَنْ شِئْتَ ، واقْطَعْ حَبْلَ مَنْ شِئْتَ ، وخُذْ مِنْ أمْوَالِنا مَا شِئْتَ ، وَأعطِنَا مَا شِئْتَ ، وَمَا أَخَذْتَ مِنَّا كانَ أحَبَّ إلينا مما تركتَ ،وما أمَرْتَ فيه من أمرٍ فأَمْرُنا تَبَعٌ لِأَمْرِكَ ، فوالله لو سرتَ حتى تبلغ البّرْكَ غمدان لنسيرَنَّ معكَ ، ووالله لِئن استعَرَضت بِنَا هذا البحر خُضناه معَكَ.وقال له المقدادُ : لا نقولُ لك كما قال قَوْمُ موسى لِموسى : اذهب

---

(١) من رواية ابن إسحاق في (السيرة النبوية)(٦٢١/١) لابن هشام ، وأقره شعيب في تحقيق على الزاد (٣/١٧٢/٣).

أنتَ وربك فقاتِلا إنَّا هَاهُنَا قَاعِدونَ، ولكِنَّا نُقاتل عَنْ يَمِينكَ، وعن شِمَالِكَ ، وَمنْ بَيْنِ يَديْكَ ، ومِنْ خلفكَ فأشْرقَ وَجْهُ رسول الله ﷺ ، وسُرَّ بِما سَمِعَ مِنْ أصحابهِ ، وقال عليه السلام : ((**سِيروا وأبْشِروا ، فإن اللهَ قَدْ وَعضدَني إحدَى الطائِفَتَين ، وإنِّي قَدْ رأيتُ مصارع القوْمِ**))[1]

فسار رسول الله ﷺ إلى بدر ، وخَفَضَ أبو سُفيان فَلَحِقَ بساحل البحر ، ولما رأى أنه قد نجا ، وأحرز العير ، كتب إلى قريش : أن ارجعوا ، فإنكم إنما خرجتم لِتُحْرِزُوا عيركم ، فأتاهم الخبرُ ، وهم بالجُحْفَةِ ، فهمُّوا بالرجوع ، فقال أبو جهل : والله لا نرجع حتى نَقْدَمَ بدراً ، فنقيمَ بها ، ونُطعِمَ من حَضَرَنَا من العرب ، وتخافُنا العرب بعد ذلك ، فأشار الأخنس ابن شُريق عليهم بالرجوع ، فَعَصَوْه ، فرجع هو وبنو زُهرة ، فلم يشهد بدراً زُهري ، وأرادت بنو هاشم الرجوع ، فاشتدَّ عليهم أبو جهل ، وقال : لا تُفَارِقُنا هذه العِصابة حتى نَرْجعَ ، وسار رسولُ الله ﷺ حتى نزل عشياً أدنى ماء مِن مياه بدر.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٣/٧) وأحمد في (المسند)(٣٩٠/١ و٤٢٨) ، ومسلم (١٧٧٩) من حديث أنس وغيرهم.

وسار المشركون سِراعاً يريدون الماء، وبعث علياً وسعداً والزبير إلى بدر يلتمِسونَ الخبر، فَقَدِمُوا بعبدين لقريش، ورسولُ الله ﷺ قائم يُصلي، فسألهما أصحاه: مَنْ أنتما ؟ قال : نحن سُقاةٌ لِقريش ، فكره ذلك أصحابه ، وودُّوا لو كانا لِعير أبي سفيان ، فلما سلَّم رسول الله ﷺ قال لهما : **أخبرني أيْنَ قُريشٌ** ؟ قالا : وراء هذا الكثيب. قال : **كم القوم** ؟ فقالا: لا عِلم لنا، فقال رسول الله ﷺ : **كم ينحرون كُلَّ يوم** ؟ فقالا : يوماً عشراً ، ويوماً تسعاً ، فقال رسول الله ﷺ : **القومُ ما بين تسعمائة إلى الألف** ، فأنزل الله عز وجلَّ في تلك الليلة مطراً واحداً ، فكان على المشركين وابالاً شديداً منعهم من التقدم ، وكان على المسلمين طَلاًّ طهَّرهم به ، وأذهب عنهم رجس الشيطان ، ووطَّأ به الأرض ، وصلَّب به الرملَ ، وثبت الأقدام ، ومهَّدَ به المنزل ، وربط به على قلوبهم ، فسبق رسول الله ﷺ وأصحابه إلى الماء ، فنزلوا عليه شطرَ الليل ، وصنعوا الحياض ، وبني لرسول الله ﷺ عريش يكون فيها تلٍّ يُشرف على المعركة ، ومشى في موضع المعركة ، وجعل يُشير بيده ، ((**هذا مصرع فلان ، وهذا مصرع فلان ، وهذا مصرع فلان إن شاء الله ، فما تعدى أحد منهم موضع إشارته**)) [1]

---

(١) انظر (مسند الإمام أحمد) (٢٦/١)،(٢١٩/٣)،(٢٥٨/٣) من حديث أنس وسنه صحيح ، ومسلم (١٧٧٩) .

في معسكر الإسلام :

فلما طلع المشـــركون، وتراءى الجمعانِ، قال رســـول الله ﷺ : ((**اللهُمَّ هذهِ قُرَيْشٌ جاءت بخيلائها وفَخْرِهَا، جاءتْ تُحادُّك، وتَكَذِّبُ رســولك**)) ، وقام ورفع يديه ، واســـتنصـــر ربَّه وقال : ((**اللهم أنْجِزْ لي ما وَعدْتَنِي ، اللهم إني أنشُدكَ عَهْدَكَ ووعْدَكَ**)) ، فالتزمه الصديق من ورائه ، وقال : يا رسول الله ! أبشر، فوالذي نفسي بيده، لَيُنجزِنَّ الله لكَ ما وَعَدَك)[1]

واستنصر المسلمون الله، واستغاثُوه، وأخلصوا له وتضرَّعوا إليه، فأوحى الله إلى ملائكتـهِ : ((**إِذْ يُوحِي رَبُّـكَ إِلَى الْمَلآئِكَـةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّـذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْـرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْـرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ**))[الأنفال:١٢] فأوحى الله إلى رســـوله: ((**إِذْ تَسْـــتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْـــتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ**)) [الأنفال:٩] وبات رسول الله ﷺ يصلي إلى جذْع شجرة هُناك ، وكانت ليلةَ **الجمعة السابع عشرَ من رمضان في السنة الثانية من الهجرة المباركة.**

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٦٣) من حديث عمر قال : لما كان يوم بدر ، نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين ، وهم ألف ، وأصـحابه ثلاثمائة وتسـعة رجلاً ، فاسـتقبل نبي الله ﷺ القبلة ، ثم مد يديه ، فجعل يهتف بربه : (**اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم آت ما وعدتني ، اللهم إن تُهلك هذه العصـابة من أهل الإسـلام لا تعبد في الأرض**) ، فما زال يهتف بربه مادًّ يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه ، فأتاه أبو بكر ، فأخذ رداءه ، فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه ، وقال : يا نبي الله كفاك مناشدتك ربَّك ، فإنه سينجز لك ما وعدك ٠٠٠) وصححه الترمذي وعلي بن المديني ، وأخرجه أحمد(١/٣٠و٣٢) ، وأبو داود ، وأخرج البخاري(٧/٢٢٤، ٢٢٦) والترمذي وابن جرير من حديث ابن عباس قال : قال النبي ﷺ يوم بدر : (**اللهم إني أنشـــدك عهدك ووعدك ، اللهم إن شـــئت لم تعبد**) فأخذ أبو بكر بيده فقال : حسبك ٠ فخرج وهو يقول : (**سيُهزم القوم ويولون الدبر**) ٠ انظر (زاد المعاد)(٣/١٧٦) تحقيق شعيب (٢) ٠

التقاء الفريقين:

في صبيحة السابع عشر من رمضان من السنة الثانية للهجرة تلاقى فريق التوحيد مع فريق الشرك ، وقد قلَّلَ الله كلاًّ من الفريقين في عين الآخر قال تعالى : [((**وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ**)) [الأنفال:٤٤] وبدأت المعركة فرمى المشركون مَهجَعاً مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما – بسهم فكان أول قتيل من المسلمين في المعركة، ثم رمى حارثة بن سراقة أحد بني عدي بن النجار وهو يشرب من ماء الحوض بسهم فأصاب نحره فقتل وهو الذي جاءت أمه رسول الله ﷺ لما عاد إلى المدينة وقالت يا رسول الله أخبرني عن حارثة فإن كان في الجنة صبرت، وإلا فليرين الله ما أصنع – تريد من البكاء والنياحة عليه – فقال لها رسول الله ﷺ : ((**ويحك أهبلت ، إنها جنان ثمانٍ وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى**)) [(١)] وخرج من معسكر المشركين الأسود بن عبد الأسد المخزومي وكان رجلاً شَرِساً سيء الخلق فقال: اعاهد الله لأشربنّ من حوضهم أو لأهدمنّه أو لأموتنّ دونه. فخرج إليه حمزة رضي الله عنه فلما التقيا ضربه حمزة فأطنَّ [(٢)] قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض فوقع على ظهره تشخب رجله دماً ، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه يريد أن يبرَّ يمينه واتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض فكان أول قتيل من المشركين.

---

(١) رواه البخاري من حديث أنس. (٢) أطنَّ قدمه: أي قطعها من نصف ساقها.

المبارزة قبل الالتحام :

من ســـنة الحرب عند الأولين أنهم يبدأون المعركة بالمبارزة بأن يطلب أحد المعســـكرين المبارزة من الآخر من باب إثارة الحميّة وتهييج المقاتلين .

وهنا في غزوة بدر خرج عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة وابنه الوليد بن عتبة بن ربيعة فدعا إلى المبارزة فخرج إليه فتية من الأنصار، وهم عوف ومعوّذ ابنا عفراء، وعبد الله بن رواحه فسألوهم: من أنتم؟ فقالوا

رهط من الأنصـــار . فقالوا مالنا بكم حاجة ، ثم نادى مناديهم : يا محمد أخرج لنا أكفاءنا من قومنا . فقال رســول الله ﷺ : ((**قم يا عبيدة بن الحارث ، وقم يا حمزة ، وقم يا عليّ**)) فقتل عليٌّ قِرْنَه الوليد ، وقتل حمزة قِرنه عُتبة ، واختلف عُبيدة وقِرنهُ ضــربتين ، فكرَّ علي وحمزةُ على قِرن عبيدة ، فقتلاه واحتملا عبيدة[١] وقطعت رجل ، فلم يزل ضَمِنَاً[٢] حتى مات بالصِّفراء)[٣]

ثم ظهر النبي ﷺ للناس ، فحرّضـــهم على القتال، فقال: ((**والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبراً إلا** أدخله الجنة)) [٤]

---

(١) أخرجه أحمد (١١/١)، وأبو داود (٢٦٦٥) في الجهاد: باب المبارزة من حديث علي، وإسناده قويٌ.

(٢) الضمن: هو المريض الذي به ضمانة في جسده من زمانه أو بلاء أو كسر أو غيره.

(٣) أخرجه الحاكم في (المستدرك)(١٨٧/٣، ١٨٨) ، قال شعيب الأرنؤوط : وإسناده قوي.

(٤) (هذا الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم يا محب)(ص٢٢٢-٢٢٣) لأبي بكر جابر الجزائري.

ثم حمي الوطيسُ، واستدارت رَحى الحربِ، واشتدَّ القِتال، وأخذَ رسول الله ﷺ في الدعاء والابتهالِ، ومناشدة ربِّه عز وجل، حتى سقط رِداؤه عن منكبيه، فردَّه عليه الصديق، وقال: بعض مُناشَدَتِك ربَّكَ، فإنه منجز لك ما وعَدَكَ.(١)

فأغفى رسول الله ﷺ إغفاءة واحدة، وأخذ القومَ النعاسُ في حال الحربِ ، ثم رفعَ رسولُ الله ﷺ رأسَه فقال : ((**أبْشِرْ يا أبا بكر ! هذا جِبْرِيلُ عَلَى ثناياه النَّقْع**)) (٢) وجاء النصر ، وأنزل الله جنده ، وأيد رسوله والمؤمنين ، ومنحهم أكتاف المشركين أسراً وقتلاً ، فقتلوا منهم سبعين ، وأسرُوا سبعينَ.

ولما عزموا على الخروج ، ذكروا ما بينهم وبينَ بني كِنانة مِن الحرب ، فتبدَّى لهم إبليسُ في صورة سُراقة بن مالك المدْلجي ، وكان مِن أشراف بني كِنانة ، فقال لهم : لا غالب لكم اليومَ من الناس ، وإني جارٌ لكم من أن تأتيكم كِنانة بشيء تكرهُونه ، فخرجوا والشيطانُ جارٌ لهم لا يُفارقهم ، فلما تعبَّؤوا للقتال ، ورأى عدوُّ الله جندَ الله نزلت مِن السماء ، فَّر ، ونَكَصَ على عَقِبَيْه ، فقالوا : إلى أين يا سُراقة ؟ ألم تكن قُلتَ : إنك جار لنا لا تُفارقُنَا ؟ فقال : إني أرى ما لا ترون ، إني أخاف الله، والله شديد العقاب ، وصدق في قوله : إني أرى ما لا ترون ، وكذب في قوله : إني أخاف الله . وكان خوفه على نفسه أن يَهْلِكَ معهم ، وهذا أظهر.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر (زاد المعاد) لابن القيم (٣/١٨٠) تحقيق شعيب الأرنؤوط.

ولما رأى المنافقون ومَن في قلبه مرض قِلَّة حزب الله وكثرة أعدائه، ظنوا أن الغلبة إنما هي بالكثرة، وقالوا: ((**غَرَّ هؤلاء دِينهم**))[الأنفال:٤٩]

فأخبر سبحانه أن النصر بالتوكل عليه لا بالكثرة، ولا بالعدد، والله عزيز لا يُغالب ، حكيم ينصر من يستحق النصر، وإن كان ضعيفاً فعزتُه وحكمتُه أوجبت نصرَ الفئة المتوكلة عليه.

دنو العدو:

ولما دنا العدو وتواجه القوم، قام رسول الله ﷺ في الناس ، فوعظهم ، وذرهم بما لهم في الصبر والثباتِ مِن النصر ، والظفر العاجل ، وثوابِ الله الآجل ، وأخبرهم أن الله قد أوجب الجنة لمن استشهد في سبيله ، فقام **عميرُ بنُ الحُمَامِ** ، فقال : يا رسول الله ، جَنّةٌ عَرْضُهَا السَّماواتُ والأرضُ ؟ قال : ((**نعم**)) قال : بَخٍ بَخٍ يَا رسولَ اللهِ قال : ((**ما يَحْمِلُكَ على قولِكَ بَخ بَخ ؟**)) قال : لا والله يا رسول اللهِ إلا رَجاءَ أنْ أكونَ مِنْ أهلِهَا . قال : ((**فإنَّكَ مِنْ أهلِهَا**)) قال : فأخرج تَمَرَاتٍ مِن قَرَنه ، فجَعَلَ يأكُلُ مِنْهُنَّ ، ثم قال : لئن حَييتُ حتَّى آكُلَ تَمَراتي هذهِ ، إنها لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، فرمى بما كان معه من التَّمْرِ ، ثُمَّ قَاتَلَ حتى قُتِلَ [1] فكان أول قتيل. وأخذ رسول الله ﷺ مِلءَ كَفَّهِ مِنَ الحصباءِ،

---

(١) أخرجه أحمد(٣/١٣٦، ١٣٧) ، ومسلم(١٩٠١) والحاكم(٣/٤٢٦) من حديث أنس بن مالك ، وقوله : (بخ بخ) فيه لغتان : إسكان الخاء ، وكسرها منوناً ، وهي اسم فعل بمعنى استحسن ، تطلق لتفخيم الأمر وتعظيمه في الخير ، وقوله : (فأخرج تمرات من قرنه) أي من جعبة النشاب .

فَرَمى بِهَا وجوهَ العَدُوّ، فلم تترك رَجُلاً مِنهم إلاَّ ملأتْ عينيه، وشُغِلُوا بالتراب في أعينهم، وشغِلَ المسلمونَ بقتلهم [1] فأنزل الله شأن هذه الرمية على رسوله ، **((وما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ولكِنَّ اللهَّ رمى))** [الأنفال:١٧] ومعنى الآية الكريمة: أن الله سبحانه أثبت لِرسوله ابتداء الرَّمي ، ونفى عن الإيصال الذي لم يحصل برميته فالرميُ يُرادُ به الحذفُ والإيصال فأثبت لنبيه الحذفُ ، ونفى عن الإيصال.

ودارت المعركة وشاركت فيها الملائكة وعلى رأسهم جبريل عليه وعليهم السلام وكان عددهم ألف ملك في صورة رجال عليهم عمائم بيض أرسلوها على ظهورهم إذ شوهد بعضهم وأخبر بهم الرسول ﷺ. قال تعالى: **((إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ))** [الأنفال:٩]

أي تطلبون الغوث منه لأنهم رضي الله عنهم ضجوا بالدعاء عند ملاقاة المشركين سائلين الله تعالى أن يمدهم بنصر منه فاستجاب الله لهم : **﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ {١٢}))**[الأنفال:١٢]

---

(١) أخرجه الطبراني من حيث ابن عباس بسند قال الهيثمي(٦/٨٤) رجاله رجال الصحيح . أن النبي ﷺ قال لعلي : (**ناولني كفاً من حصى ، فناوله ، فرمى به وجوه القوم ، فما بقي أحد من القوم إلا امتلأت عيناه من الحصباء فنزلت : (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى)** وفي حيث عبد الله بن صعير : وأمر رسول الله ﷺ ، فأخذ كفاً من الحصى بيده ، ثم خرج ، فاستقبل القوم ، فقال : (**شاهت الوجوه ، ثم نفخهم بها**)، ثم قال لأصحابه : (**احملوا** ،) فلم تكن إلا الهزيمة ، فقتلَ الله من قتَلَ من صناديدهم ، وأسر من أسر منهم).وعن حكيم بن حزام قال : لما كان يوم بدر أمر رسول الله ﷺ ، فأخذ كفاً من الحصى ، فاستقبلنا به ، فرمى بها ، وقال : (**شاهت الوجوه**) ، فانهزمنا ، فأنزل الله عز وجل : (**وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى**) قال الهيثمي في (المجمع الزوائد) (٦/٨٤) رواه الطبراني ، وإسناده حسن . وانظر (تفسير القرآن العظيم)آية : ١٧ – لابن كثير.

أقدِم حَيْزُم ، إذْ نظر إلى المشركِ أمامهُ مُسْتَلْقياً ، فنظَرَ إليهِ ، فإذا هو خُطِمَ أنْفُهُ ، وشُـقَ وَجْهُهُ ، كضـربةِ السَّـوطِ ، فاخضَـرَّ ذلك أجمع ، فجاء الأنصـاريُّ ، فحدَّثَ بذلك رسُـولَ الله ﷺ ، فقال: ((**صَـدَقْتَ ذلِكَ مِنْ مَدَد السَّـماءِ الثالثة**))[1] وقال أبو داود المازني : (إني لأتبَعُ رجُلاً مِن المشركين لأضربه إذ وَقَع رأسُهُ قَبْلَ أن يَصلَ إليه سَيْفي ، فعرفتُ أنه قد قتَلَه غَيري)[2]

وجاء رجل مِن الأنصـــار بالعبَّاس بن عبد المطلب أســـيراً ، فقال العباس : إن هذا والله ما أسرني ، لقد أسرني رجل أجلح ، مِن أحسن الناس وجهاً ، على فرسٍ أبْلَق ما أراه في القوم ، فقال الأنصـاري : أنا أسـرته يا رسـول الله : فقال : ((**أسْـكُتْ فَقَد أيدَكَ الله بمَلَكٍ كريم**)) [1] وأَسِـرَ من بني عبد المطلب ثلاثة : العباسُ ، وعقيلٌ ، ونوفل بن الحارث واسـتفتح أبو جهل في ذلك اليوم ، فقال : اللهم أقطعنا للرحم ، وآتانا بما لا نعرفه فأحِنْهُ الغداة ، اللهم أيْنا كان أحبَّ إليك ، وأرضـى عِنْدَكَ ، فانصـره اليوم ، فأنزل الله ﷻ : ((**إن تَسْـتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَاءكُمُ الْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ**))[الأنفال:١٩]

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٦٣).

(٢) أخرجه ابن هشام في (السيرة النبوية) (٦٣٣/١) وأحمد في (المسند) (٤٥٠/٥) من طريق ابن إسحاق، حدثني بي إسـحاق بن يسـار عن رجل من بني مازن عن أبي داود المازني . قال شـعيب (في الحاشـية على الزاد) (٢/١٨٣/٣): وسنده حسن.

ولما وضع المسلمون أيديَهم في العدو يقتلون ويأسِرون، وسعدُ بن معاذ واقفٌ على بابِ الخيمةِ التي فيها رسول الله ﷺ وهي العَرِيشُ متوشِحاً بالسيف في ناسٍ مِن الأنصار، رأى رسولُ الله ﷺ في وجهِ سعدِ بنِ معاذ الكراهية لما يصنَعُ الناسُ، فقالَ رسولُ الله ﷺ : ((**كأنَّكَ تّكْرَهُ النَّاسُ** ؟)) قال : أجل واللهِ كانت أول وقعةٍ أوقعه الله بالمشركين ، وكان الإثخانُ في القتل أحبَّ إليَّ من استبقاء الرجال)[1]

ولما بردت الحربُ ، وولى القوُمُ منهزمين، قال رسول الله ﷺ : ((**من ينظر لنا ما صنع أبو جهل** ؟)) فانطلقَ ابنُ مسعود ، فوجده قد ضَرَبَهُ ابنا عفراء حتَّى بَرَدَ ، وأخذَ بلحِيتهِ فقال : أنت أبو جهل ؟ فقال: لِمَن الدَّائرةُ اليوم ؟ فقال : لله ولِرسولهِ ، وهل أخزَاك الله يا عَدُوَّ اللهِ ؟ فقال : وهل فَوْقَ رجُلٍ قَتَلَهُ قوْمُهُ ؟ فَقَتَلَهُ عبدُ اللهِ ، ثم أتى النبي ﷺ ، فقال : قتلتُه : فقال : (الله الَّذي لا إله إلا هُو) فردَّدها ثلاثاً ، ثم قال ﷺ : ((**الله أكبر ، الحمد لله الذي صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، انطلق أرنيه**))، فانطلقنا فأرينه إياه ، فقال : ((**هذا فِرْعَوْنُ هذِهِ الأمَّةِ**)) [2]

ولقد انتهت المعركة بنصر حاسم للمسلمين إذ قُتِلَ من صناديد قريش سبعون وأسر منهم سبعون، وقُتِلَ مع أبو جهل، عتبة بن ربيعة وولده الوليد بن عتبة وخوه شيبة بن ربيعة، وحنظلة بن أبي سفيان، وعقبة بن أبي معيط [3] ، وأبو البَحْتَرِي ، وعبيدة بن سعيد بن العاص ، ونوفل بن خويلد ، والنضر بن الحارث بن كَلَدة ، والعاص ابن هشام وأمية بن خلف وغيرهم إذ كانوا سبعين قتيلاً. **وبين الأسرى**: العباس عم النبي ﷺ ، وعقيل بن أبي

---

(١)أخرجه أحمد (١١٧/١) من حيث علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البخاري (٢٢٩/٧) ومسلم(١٨٠٠) . ارجع (ص١١١)

(٣) المستهزءون بالحبيب محمد ﷺ . وأنزل الله بهم من أليم العذاب.

طالب ، ونوفل ابن الحارث بن عبد المطلب وعمرو بن أبي سفيان وأبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله ﷺ ، وأبو عزيز بن عمير أخو مصعب بن عمير، وسهيل بن عمرو أحد ساسة قريش البارزين.

آية محمدية:

كانت المعركة دائرة والقتال مستمراً وسيف عكاشة بن محصن ينقطع من الضرب في يده فكيف يقاتل فأتى الرسول ﷺ وهو في العريش مركز القيادة شاكا إليه انقطاع سيفه فأعطاه النبيّ ﷺ جذلاً [1] ، وقال ((**قاتل بهذا يا عكاشة**)) فلما أخذ من يد رسول الله ﷺ هزه في يده فعاد سيفاً في يده طويل القامة شديد المتن أبيض الحديدة فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين ، وكان يسمى (العون) وما زال مع عكاشة يقاتل به حتى قتِلَ ﷺ في حرب الردة على عهد أبي بكر الصديق .[2] فكان هذا السيف آية النبوة المحمدية .[3]

ثم ارتحل ﷺ مؤيداً منصوراً، قرير العين بنصر الله له، ومعه الأسرى والمغانم، فلما كان بالصَّفراء، قسمَ الغنائم، وضرب عُنُقَ النَّضْرِ بن الحارث بن كلدة، ثم نَزَلَ بَعِرْقِ الظَّبْيَةِ، ضرب عُنُقَ عُقبة بن مُعَيطٍ.

---

(١) جذلاً : أي عوداً من حطب.

(٢) (السيرة النبوية) (٦٣٧/١) وسنده حسن كما قال شعيب في تحقيقه على (الزاد)(١٨٦/٣)وأخرجه بنحوه البخاري(٣٩٢/٤) .

(٣) (هذا الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم يا محب)(ص٢٢٤) لأبي بكر جابر الجزائري .

ودخل النبي ﷺ المدينةَ مؤيداً مظفَّراً منصـــوراً قد خافه كُلُّ عدوٍ له بالمدينة وحولَها، فأســـلم كثير من أهل المدينة، وحينئذ دخل عبد الله بن أبيٍّ المنافقُ وأَصحابهُ في الإسلام ظاهراً.

وجملة من حضر بدراً من المسلمين **ثلاثمائة وبضعةَ عشر رجلاً**.

من المهاجرين ستة وثمانون.

ومن الأوس أحدٌ وستون.

ومن الخزرج ماشــة وســبعون ، وإنما قل عدد الخزرج ، وإن كانوا أشــد منهم ، وأقوى شــوكة ، وأصــبر عند اللقاء ، لأن منازلهم كانت في عوالي المدينة ، وجاء النفير بغتةً ، وقال النبي ﷺ ((**لا يَتْبَعُنَا إلاَّ مَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حاضراً**)) فاستذنه رِجالٌ ظهورهم في عُلو المدينة أن يستأنيَ بهم حتى يذهبوا إلى ظهورهم ، فأبى ولم يكن عَزمهم على اللقاء ، ولا أعدُّوا له عدته ، ولآتأهبوا له أهبته ، ولكن جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد.

واســتشــهد من المســلمين أربعة عشــر رجلاً :**ســتة من المهاجرين ، وســتة من الخزرج ، واثنانِ من الأوس.**

قضية الأسرى:

ولما بلغ رسول الله ﷺ المدينة استشار أصحابه في الأسارى، فقال أبو بو بكر: يا رسول الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان، وإني أن تأخذ منهم الفدية، فيكو ما أخذناه قوة لنا على الكفار، وعسى أن يهديهم الله، فيكونوا لنا عضداً.

فقال رسول الله ﷺ : ما ترى يا ابن الخطاب ؟ قال : قلت : والله ما أرى ما رأى أبو بكر ، ولكن أرى أن تمكنني من فلان – قريب لعمر – فأضرب عنقه ، وتمكن علياً من عقيل بن أبي طالب فيضرب عنقه ، وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه ، حتى يعلم الله أنه لست في قلوبنا هوادة للمشركين ، وهؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم . فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلت: وأخذ منهم الفداء ، فلما كان من الغد قال عمر : فغدوت إلى النبي ﷺ وأبي بكر ، وهما يبكيان ، فقلت يا رسول الله أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك ؟ فإن وجدت بكاءاً بكيت، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما ، قال رسول الله ﷺ : **(للذي عرض علي أصحابك : من أخذ الفداء ، فقد عرض عليّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة))**[1]

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٠١).

وأنزل الله تعالى : ((**مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْــرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ {٦٧} لَّوْلاَ كِتَابٌ مِّنَ اللّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**)) [الأنفال٦٧-٦٨]

قال صاحب (الرحيق المختوم) : والكتاب الذي سبق من الله هو قوله تعــالى : ((**فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَــرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُــدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنّاً بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاء حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا**)) [محمد:٤]

ففيه الإذن بأحد الفدية من الأســارى ولذلك لم يعذبوا، وإنما نزل العتاب لأنهم أســروا الكفار قبل أن يثخنوا في الأرض، ثم إنهم قبلوا الفداء من أولئك المجرمين الذين يكونوا أسـرى الحرب الحديث إلا ويحاكمهم، ولا يكون الحكم في الغالب إلا بالإعدام أو الحبس حتى الموت.

واستقر الأمر على رأي الصديق فأخذ منهم الفداء من أربعة آلاف درهم ، إلى ثلاثة آلاف درهم ، إلى ألف درهم ، وكان أهل مكة يكتبون ، وأهل المدينة لا يكتبون، فمن لم يكن عنده فداء دُفِعَ إليه عشــرة غلمان من غلمان المدينة يعلمهم ، فإذا حذقوا فهو فداء.

ومنَّ رسول الله ﷺ على عدة من الأسرى ، فأطلقهم بغير فداء ، ومنهم :

المطلب بن حنطب، وصيفي بن أبي رفاعة ، وأبو عزة الجمحي ، وهو الذي قتله أسرا في أحد ، ومنَّ على ختنه أبي العاص بشرط يخلي سبيل **زينب** ، وكانت قد بعثت في فدائه بمال ، بعثت فيه بقلادة لها كانت عند خديجة ، أدخلتها بها على أبي العاص ، فلما رآها رسول الله ﷺ رق لها رقة شديدة ، واستأذن أصحابه في إطلاق أبي العاص ففعلوه ، واشترط رسول الله ﷺ على أبي العاص أن يخلي سبيل زينب ، فخلاها ، فهاجرت ، وبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة ورجلا من الأنصار، فقال : كونا ببطن يأجج حتى تمر بكما زينب فتصحباها ، فخرجا حتى رجعا بها . وذلك بعد بدر بشهر تقريباً .

هجرة زينب رضي الله عنها :

فلما قدم أبو العاص بن الربيع إلى مكة بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة ورجلاً من الأنصار إلى مكة ليأتيا بزينب . وبينما زينب تتجهّز للسفر لقينها هند بنت عتبة فقالت لها يا بنت محمد ألم يبلغني أنك تريدن اللّحوق بأبيك ؟ فخافتها زينب فقالت لها : ما أردت ذلك ، فقالت لها أي ابنة عمّي لا تفعلي ، إن كانت لك حاجة بمتاع مما يرفق بك في سفرك ، أو بمال تتبلغين به إلى أبيك ، فإن عندي حاجتك ، فلا تستحي مني فإنه لا يدخل بين النساء ما بين الرجال . قالت زينب : والله ما أراها قالت ذلك إلا تفعل ، ولكن خفتها فأنكرت أن أكون أريد ذلك.

ولما فرغت زينب من جهازها قدم لها حموها(١) كنانة بن الربيع بعيراً فركبته وأخذ هو قوســـه وكنانته ، ثم خرج بها نهاراً يقود بها وهي في هودج لها على البعير وسمع بذلك رجال من قريش ، فلحقوا بها ، فأدركوها بذي طوها، وكان أول من سبق إليها فروّعها هبّار بن الأسود بن المطلب بن أسد إذ أشار إليها بالرمح فخافت فطرحت ما في بطنها ، وبرك على الأرض حموها ونثر كنانته ، ثم قال لهم : والله لا يدنوا مني رجل إلا وضـــعت فيه ســـهمي ، فتراجعوا عنه وانصـرفوا ، ثم تقدم نحوه أبو سـفيان ، مفاوضـاً له فقال له : إنك لم تصـب خرجت بالمرأة على رؤوس الناس علانية وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا ، وما دخل علينا من محمد فيظن الناس إذا خرجت بإبنته إليها علانية على رؤوس الناس من بين أظهِرنا أنّ ذلك على ذل أصابنا عن مصيبتنا التي كانت ، وإن ذلك منا ضعف ووهنٌ ، ولعمري مالنا بحبسها عن أبيها من حاجة ، ومالنا في ذلك من ثؤرة(٢). ولكن ارجع بالمرأة حتى إذا هدأت الأصـــوات وتحدث الناس أن قد رددناها فَسُـــلّها ســـراً وألحقها بأبيها، قال ففعل فأقامت ليالي حتى هدأت الأصـوات خرج بها ليلاً حتى أسـلمها إلى زيد بن حارثة، وصـاحبه فَقَدِما بها على رسول الله ﷺ وكان في قصة هجرة زينب عبرة لأولي الألباب.

---

(١) حموها : أخو زوجها .

(٢) ثؤرة : طلب الثأر .

شرف أهل بدر :

أهل بدر هم المؤمنون الذين خرجوا من المدينة مع النبيّ ﷺ لاعتراض عير قريش القادمة من الشام.

ثم لما نجت العير تصدّوا لقتال كفار قريش في وادي بدر، وكانوا ثلثمائة وأربعة عشراً رجلاً على عدة قوم طالوت هؤلاء هم أهل بدر الفائزون بأكبر فضل ، وأعظم شرف تدل لذلك الأخبار النبويّة الآتية :

(١) قوله ﷺ لأم حارثة الشهيد الأنصاري ، وقد سألته قائلة يا رسول الله قد عرفت منزلة حارثة مني فإن يك في الجنة أصبر وأحتسب وإن تكن الأخرى ، فَلَيَرَيَنَّ الله ما أصنع – تعني من البكاء والنوح – فقال رسول الله ﷺ : ((**ويحك أوهبلت أو جنة واحدة إنها جنان كثيرة وإنه في جنة الفردوس**)) [١] فهذا الخبر وإن كان في شهداء بدر فإنه دالٌ على فضل أهل بدر من استشهد منهم ومن لم يستشهد.

(٢) قوله ﷺ : ((**لن يدخل النار رجل شهد بدراً أو الحديبية**)) [٢]

(٣) روى البخاري أن جبريل أتى ﷺ النبيّ فقال له ما تعدون أهل بدر فيكم ؟ قال : ((**من أفضل المسلمين**)) أو كلمة نحوها قال أي جبريل وكذلك من شهد بدراً من الملائكة.[٣]

---

(١) تقدم تخرجه (ص١٥٨)(٢)

(٢) رواه أحمد في (المسند) من حديث جابر وهو صحيح على شرط مسلم .

(٣) (هذا الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم يا محب)(ص٢٣٩) لأبي بكر جابر الجزائري –رحمه الله–.

(٣) رواية الشـــيخين في حاطب بن أبي بلتعة وقد كتب كتاباً إلى أهل مكة قبيل تحرك الجيش الإسلامي لفتح مكة، فقال عمر ائذن لي يا رسول الله أضرب عنقهُ فقال له النبيّ ﷺ : ((**قد شـهد بدراً، وما يدريك لعل الله اطّلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شـــئتم فقد وجبت لكم الجنة، أو قد غفرت لكم**)) فدمعت عينا عمر رضي الله عنه وقال : الله ورسوله أعلم.

هذا بيان شرف أهل بدر وفضله، ولا يسعنا نحن إلا أ، نترضَّ عنهم ونسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم بفضل منه ورحمة إنه بر رحيم وجواد كريم.

نـتائج وعبـر :

إن لهذه المقطوعة من السيرة نتائج وعبراً نجملها في الآتي :

(١) العمل بمشـــروعية جزاء الســـيئة ســـيئة مثلها ؛ إذ قريش طردت المؤمنين وصـــادرت أموالهم ؛ فاعترض عيرها لأخذ ما معها من أموال كان عدلاً لا ظلم فيه

(٢) الأخـذ بمـدأ الـدّفـاع عن النفس عملاً بقول الله تعـالى : ((**أُذِنَ لِلَّـذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ**)) [الحج:٣٩]

(٣) لا إثم ولا عقاب على ترك المندوب من االأقوال والأعمال ؛ إذ لم يعتب على الذين لم يخرجوا إلى غزوة بدر لكون الطلب كان ندباً لا وجوباً .

(٤) مشروعية الشورى وإنها من الواجبات الضرورية في كل ما يهم أمر المسلمين ؛ لا ستشارة رسول الله ﷺ أصحابه في أمر قتال المشركين في بدر.

(٥) وجوب مراعة العهود والمواثيق والالتزام بها تجلّى هذا طلب النبيّ ﷺ بيان موقف الأنصار من القتال معه فيا لو حدث قتال بعد نجاة العير.

(٦) بيان فضل أبي بكر وعمر والمقداد بن عمرو وسعد بن معاذ ، جلى ذلك في كلماتهم التي قالوها للرسول ﷺ عند طلبه المشورة من أفراد أصحابه حيث قرت بذلك عين النبي ﷺ .

(٧) بيان أن من ضروريات الحرب بث العيون للتعرف على تحركات العدو وعلى أماكن وجوده وتقدير قواته وحزر قوته ، ومعرفة مدى ما تقدر عليه .

(٨) مشروعية استعمال الرموز والمعاريض والتورية في الكلام في حالة الحرب والتعمية على العدو ، وقطع الطرق عليه ، والحيلولة بينه وبين المرافق التي قد ينتفع بها في شأن غارته ، والزحف بقواته.

(٩) مشروعية الضرب الخفيف الذي لا يكسر عضواً ولا يشين جارحة من أجل استنطاق أفراد العدو للحاجة إلى ذلك ، وحرمة التنكيل وشدة التعذيب.

(١٠) ضرورة استعمال الرأي والمكيدة في الحرب.

(١١) آية انقلاب العصا سيفاً صارماً في يد عُكاشة بن محصن قاتل به طوال حياته من أعظم آيات النبوة المحمدية.

(١٢) آية حفنة الحصا التي رمى بها النبيّ ﷺ فأصابت جيشاً بكامله فخبّلته ، وأصابته بالتمزق والهزيمة من آيات النبوة المحمدية.

(١٣) تقرير مبدأ: لا موالاة بين الكافر والمؤمن؛ إذ قاتل الرجل ولده وقاتل ابن عمه في معركة بدر.

(١٤) قتال الملائكة في معركة بدر ورؤية بعضهم وظهورهم آثارهم آية النبوة المحمدية.

(١٥) خلان الشيطان إخوانه من المشركين إذ فر هارباً لما رأى الملائكة في ساحة المعركة بعد أن أجارهم ودخل المعركة معهم .

(١٦) بيان هلاك المستهزئين مصداقاً لقول الله تعالى لرسوله وهو في مكة : ((**إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ**)) [الحجر:٩٥] إذ هلك بالمعركة جلّهم كأبي جهل وعتبة وأمية والوليد وعقبة بن أبي معيط .

(١٧) وجوب رد الخلاف إلى الله والرسول في كل ما يشجر بين المسلم والمسلم ، إذ الخلاف الذي تم في شأن الغنائم رد إلى الله والرسول وقضى الله تعالى فيه بما هو العدل والخير.

(١٨) مشـــروعية فداء الأســـرى أو قتلهم أو المن عليهم إذ رُدَ هذا إلى الإمام يحكم بما فيه خير للإسلام والمسلمين.

(١٩) موافقة عمر رضـــي الله عنه ربّه في أســـرى بدر، إذ كان قتلهم أولى من فدائهم.

(٢٠) تجلّى الرحمة المحمدية في وصيته بالأسرى خيراً وبيان مدى طاعة أصحابه له ﷺ

(٢١) تقرير مبدأ الجوار في الإسـلام وأن المسـلمين يجير عليهم أدناهم والمرأة في الجوار كالرجل سواء .

(٢٢) بيـان مـا كـان عليـه العرب في الجـاهليـة من بعض الكمـالات كـالأمـة والنجدة والعفة .

(٢٣) آية النبوة المحمدية في إخباره ﷺ عمير بما قاله في الحجر مع صفوان وليس معهما أحد إلا الله.

(٢٤) بيان تاريخ غزوة بدر وأنها في رمضان من السنة الثانية من الهجرة.[١]

---

(١) جميع النتائج والعبر من كتات (هذه الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم يا محب) لفضيلة الشيخ / أبو بكر جابر الجزائري .

حجة الوداع والبلاغ

هذا الحدث من التاريخ الإسلامي له أهمية عظيمة حيث بيّن رسول الله ﷺ في حجته هذه من شرائع وأحكام وآداب ، وسمّيت حجة الوداع لأن قوله ﷺ فيها : ((**لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا**)) كان مشعراً بالوداع ، وكذلك كان ، إذ لم يعش بعدها ﷺ إلا بضعة شهور وتوفاه الله عز وجل ، وتُسَمَّى أيضاً حجة البلاغ ، لأن الرسول ﷺ بلغ فيها الكثير من الأحكام ، إنه لما دخل شهر ذي القعدة أخذ الرسول ﷺ يتجهز وأمر الناس بالجهاز كذلك معلناً له أنه يريد الحج ، وسمع ذلك مَنْ حول المدينة ، فَقَدِموا يُريدون الحجَّ مع رسولِ الله ﷺ ، ووفاه في الطريق خلائقُ لا يُحصون ، فكانوا مِن بين يديه ، ومن خلفه ، وعن يمينه ، وعن شماله مدَّ البصر ، وخرج من المدينة نهاراً بعد الظهر لِسِتٍّ بَقِينَ مِن ذي القَعدةِ بعد أن صلَّى الظهرَ بها أربعاً ، وخطبهم قبل ذلك خُطبةً علَّمهم فيها الإحرام وواجباته وسننه. (١)

فلما كان بوادي العقيق على سبعة أميال من المدينة نزل عليه جبريل عليه السلام بالسلام من ربِّ العالمين فقال له : ((**إن ربك يقرئك السلام ويقول لك : إنك بالوادي المبارك فصَلِّ فيه وقل عمرة في حجة**)) (٢)

---

(١) انظر (زاد المعاد)(١٠٢/٢) تحقيق شعيب وعبد القادر الأرنؤوط .

(٢) أخرجه البخاري(٣١٠/٣) في الحج : باب قول النبي ﷺ واد مبارك .

وما رواه البخاري من حديث عمر بن الخطاب رضـــي الله عنه قال : سمعتُ رســـول الله ﷺ بوادي العَقيق يقول : ((**أتاني الليلة آت مِنْ رَبِيّ عَزَّ وجل ، فقال : صَلِّ في هذا لوادي المُبارِكِ ، وقل : عُمرةٌ في حجة**)) [١]

وخير أصـحابه بين الإفراد والتمتع والقِران [٢] فمنهم من أهل بحج ، ومنهم من أهل بعمرة، ومنهم من أهل بحج وعمرة ، وســـاروا حتى بلغوا سَـــرِف حيث جاءت عائشـــة رضـــي الله عنها العادة الشـــهرية ، فبكت وطمأنها الحبيب ﷺ بقوله : ((**هذا شـيء كتبه الله على بنات آدم فافعلي يا عائشـة كل ما يفعله الحاج إلا أنك لا تطوفي بالبيت حتى تطهري**)) [٢]

ثم أمر من لم يسق الهدي أن يجعل حجه عمرة تخفيفاً عليهم ورحمة بهم وبمن يأتي بعدهم. [٣] ولما دخل مكة طاف بالبيت وســـعى ولم يتحلل لســـوقه الهدي ، وبقى بعض أصـــحابه مفردين وليس معهم هدي فلم يتحللوا فأمرهم بالتحلل ، وقال مُرَغّباً لهم : ((**لو اسـتقبلت من أمري ما اسـتدبرت لما سـقت الهدي ، ولجعلتها عمرة**)) (فحلّوا من إحرامهم ، وسألوه : هل هذا لعامنا هذا خاصة أي التحلل بالعمرة ؟ فقال: ((**لا ؛ بل لأبد الأبد**)) ، أي يجوز لأي مســـلم يأتي مفرداً بالحج وليس معه هدي أن يفسخ الحج إلى العمرة.

---

(١)البخاري ومسلم.

(٢)تقدم في فقه العبادات تعريف الأنساك.

(٣)أخرجه مسلم من حديث جابر ﷺ.

ومكثوا بمكة محلين حتى يوم **التروية** فأحرموا بالحج وخرجوا إلى منىً وباتوا بها وبعد صلاة الصبح من يوم عرفة (تاسع الحجة) خرجوا إلى عرفة وعلَّمَ أثناء ذلك مَنَاسكهم وحَجّهم ، وخطب بعرفة لم يُسمع مثلها في طولها ولما اشتملت عليه من الشرائع والهدي.

وهذه بعرفة لم يُسمع مثلها في طولها ولما اشتملت عليه من الشرائع والهدى.

وهذه جلُّ فقراتها فلتقْرأ وليُوقف عند كل جملة منها فإنها كواكب هدى تضيء للمسلم الدُجى.

فقد حمد الله تعالى وأثناء عليه بما أهله وقال : ((**أيها الناس اسمعوا قولي : فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً .**

أيها الناس إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا ، وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ، وقد بلغّت . فمن كان عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها ، وإنَّ كل رباً موضوع ، ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تُظلمون قضى الله أنه لا ربا ، وإن ربا العباس بن عبد المطلب موضوع كله.

وإن كل دم كان في الجاهلية موضوع ، وإن أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان مستوضعاً في بني ليث ، فقتلته هُذيل فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية.

أما بعد :

أيها الناس فإن الشيطان قد يئس أن يُعبد بأرضكم هذه أبداً ولكن أن يُطعْ فيما ســـوى ذلك فقد رضـــى به مما تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم.

أيها الناس إن النسِيء[١] زيادة في الكفر يضل به الذين كفرو ، يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ، ليواطئوا عدة ما حرم الله ، فيحلوا ما حرم الله ، ويحرموا ما أحل الله.وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض ، وإن عدة الشـهور عند الله اثنا عشـر شـهراً ، منها أربعة حرم ، ثلاثة متوالية ، ورجب مضر[٢] الذي بين جماد وشعبان.

---

(١) ربا النسِيء مأخوذ من النسء ، وهو التأخير ، وهو نوعان :

أحدهما : قلب الدين على العســر ، وهذا هو أصــل الربا في الجاهلية أن الرجل يكون له على الرجل المال المؤجل ، فإذا حل الأجل ؛ قال له : أتقضـــي أم تربي ؟ فإن وفاه، وإلا زاد في الأجل ، وزاد هذا في المال ، فيتضـــاعف المال في ذمة المدين ، وكان الغريم معسراً ؛ لم يجز أن يقلب الدين عليه ، بل يجب إنظاره ، وإن كان موسراً ؛ كان عليه الوفاء فلا حاجة إلى زيادة الدين مع يسر المدين ولا مع العسر.

النوع الثاني: من ربا النسيئة: ما كان في بيع كل جنسين اتفقا في علة ربا الفضل مع تأخير قبضهما أو قبض أحدهما، كبيع الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والبر بالبر ، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، والملح بالملح ، وكذا بيع جنس بجنس من هذه المذكورات مؤجلا ، وما شارك هذه الأشياء في العلة يجري مجراه . وهو مبسوط في كتب الفقه.

(٢) قيل إنما ذلك لأن ربيعة كانت تحرم رمضان وتسميه رجباً فبيّن ﷺ أنه رجب مضر لا رجب ربيعة .

أما بعد أيها الناس فإن لكم على نســـائكم حقاً ولهن عليكم حقاً ، لكم عيهن أن لا يُوطئن فرشـــكم أحداً تكرهونه ، وعليهن أن لا يأتين بفاحشـــة مبيّنة ، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضـرباً غير مبرّح(٢) فإن انتهين فلهن رِزقهن وكسـوتهن بالمعروف واسـتوصـوا بالنســـاء خيراً فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفســـهن شـــيئاً ، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله واسـتحللتم فروجهن بكلمات الله ، فاعقلوا أيها الناس قولي ، فإني قد بلّغت ؛ وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً ، أمراً بيّناً كتاب وسنة نبيّه.

أيها الناس اسمعوا قولي وأعقلوه تعْلَمُنَّ أن كل مســـلم أخٌ للمســـلم، وأن المســـلمين أخوة ، فلا يحل لامرىء من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه، فلا تظلمنَّ أنفسكم ، اللهم هل بلغت ؟!!!.

فقال الناس: اللهم نعم فقال رسول ﷺ : ((**اللهم فاشهد**)).

أيها الناس إن الله قد أدّى إلى كل ذي حق حقّهُ ، وإنه لا تجوز وصية لوارث والولد للفراش وللعاهر الحجر ، ومن أدَّعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يُقبل منه صرفاً ولا عدل)).

وإنه ﷺ بعد أن زالت الشمس وصلى بالناس وخطبهم أتى جبل عرفه فوقف في سَفحه وقال : ((**وقفت هاهنا وعرفة كلها موقف**)) [١]

ولما غربت الشمس ، ركب إلى مزدلفة ، فوصلها بعد العشاء جمعاً وبات بها ، ولما طلع الفجر صلى الصبح ، ووقف على جبل قزح وقال : ﴿ **وقفت هاهنا ، ومزدلفة كلها موقف**))[٣] ولما أسفر جداً أتى الجمرة فرماها ،ثم المنحر فنحر، ثم : ((**نحرت هاهنا ومنى كلها منحر**))[٤]

ثم أفاض من يومه وعاد إلى منى، وبات بها ثلاث ليال يرمي الجمرات الثلاث بعد زوال كل يوم، يبدأ بالصغرى، ويختم بالكبرى، وخطب أيام منى وعلَّم كل ما الأمة في حاجة إليه إلى يوم الدين، والذى كانت هذه الحجة تسمى حجة البلاغ كما تُسمى حجة الوداع، لأنه ﷺ ودع أمته فيها إذا لم يحج بعدها، فصلى الله عليه وسلم يوم ولد، ويوم دعا وجاهد، ويوم حج واعتمر. ويوم ودع ويوم مات فالتحق بالرفيق الأعلى في جنة عرضها السموات والأرض .

---

(١) أي غير شديد فلا يكسر عضواً ولا يشين جارحة .

(٢) انظر (الفقه المختصر) (ص١٣٣) فقره (١٦٥) مصدر (٧٩) .

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

نتائج وعبر :

إن لهذه المقطوعة من السيرة نتائج وعبراً منها :

(١) وقوع حجة الوداع بعد تطهير الحرم من الشرك والمشركين دالٌ على حصاد جهادٍ دام نيّفاً وعشرين سنة ، وفي هذا عبرة لمن يعتبر .

(٢) بيان أو وادي العقيق مبارك ، وأنه ميقات أهل المدينة إذ ذو الحليفة على شاطئه الأيمن .

(٣) مشـــروعية الإهلال بأيّ نســـك من الأنســـاك الثلاثة ،الإفراد ، والتمتع ، والقِران .

(٤) بيان أن الحائض لا يمنعها الحيض من الإحرام ، إذ تفعل كما يفعل الحاج إلا أنها لا تطوف حتى تطهر .

(٥) من مظاهر الرحمة المحمدية الإذن بفسخ الحج إلى عمرة ، تيسيراً وتسهيلاً على الأمة .

(٦) مشروعية الحرص على مخالفة اليهود والنصارى والمشركين ؛ إذ كان المشركون يعدون الاعتمار في أشـــهر الحج من أفجر الفجور ، وكانوا يقولون : **إذا برأ الدبر ، وعفا الأثر ، وانسلخ صفر ، حلت العمرة لمن اعتمر** ، فلذا أمر

النبي ﷺ أصحابه بالتحلل والاعتمار ولما تردد أصحابه في ذلك غضب حتى أذعنوا لأمره وتحللوا رضي الله عنهم.

(٧) بيان باقي المناسك عمليّاً ؛ كان يقول: ((**حجوا كما رأيتموني أحج**)).

(٨) الإعلان عن حقوق المسلم، وأنه محرم الدم والمال والعرض ٠

(٩) الاعلام عن تحريم الظلم والربا ، وكل عادات الجاهلية.

(١٠) الإعلان عن حقوق النساء، والأمر بالاعتراف بها وأدائها، وكذا حقوق الزوج على زوجته.

(١١) تحريم الوصيّة للوارث، وتقرير قانون التوارث كما في القرآن الكريم.

(١٢) حرمة التبني والانتساب إلى غير الموالي.

(١٣) تقرير أن الولد ينسب إلى من ولد على فراشه، وأن العاهر لا حق له فيه، وإنما له الرجم بالحجارة إذا اعترف بالزنى.

مرض الرسول محمد ﷺ ووفاته

بداية مرضه ﷺ:

في أوائل شـــهر ربيع الأول ، وفي يوم الأربعاء بالذات بدأ وجع الرســـول ﷺ فأصـابه صـداع وحُمَّى . وقبل هذه البداية المؤلمة ببعض الأيام خطب ﷺ الناس فنعى نفسه وهم لا يشعرون . إذ صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله وقال : ((**إن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده ، فاختار ذلك العبد ما عند الله**)) [١] فبكى أبو بكر فعجب الناس من بكائه. بكى لأنه فهم المخير هو رسـول الله ﷺ ، وقال ﷺ : ((**إن من أمنّ الناس عليَّ في صـحبته وماله أبا بكر ، ولكنت متخذاً خليلاً لا تخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن أخوة الإسلام ودعوته ، لا يبقين في المسجد باب إلا سدَّ إلا باب أبي بكر**)) [٢]

وفي جوف الليل يوقظ رسـول الله ﷺ مولاه أبا مُوَيهبة ويقول : ((**يا أبا مُويْهبَة إني قد أمرت أن أسـتغفر لأهل هذا البقيع فانطلق معي**)) ، فلما وقف بين أظهرهم قال : ((**السـلام عليكم يا أهل المقابر ليهنئكم ما أصـبحتم فيه بما أصبح الناس فيه. أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع أولها آخرها ، الآخر شر من الأولى**))[٣] ثم أقبل على أبي مويهبة وقال : ((**يا أبا مويهبة إني قد**

---

(١) ذكره ابن هشـام في (السـيرة النبوية)(٢/٦٤٩) من رواية ابن إسـحاق بسـنده . وقال الألباني في (فقه السـيرة) صحيح .

(٢) المصدر السابق. (٣) أخرجه مسلم والنسائي ، وأحمد .

أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، ثم الجنة فخُيِّرتُ بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة﴾ فقال له أبو مويهبة بأبي أنت وأميّ فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها والجنة ، فقال : ((**لا والله يا أبا مويهبة لقد اخترت لقاء ربي والجنة**)). ثم استغفر ﷺ لأهل البقيع ثم انصرف ، فبدأ برسول الله ﷺ وجعه الذي قُبض فيه ، إذ دخل على عائشة بعد رجوعه من البقيع فوجدها تشكو صداعاً وتقول : وأرأساه ! فقال ﷺ ((**بل أنا والله يا عائشة وارأساه !!**) ثم قال لها : ((**وما ضرك لو متِّ قبلي فقمت إليك وكفنتك ، وصليت عليك ودفنتك**)) فقالت عائشة والله لكأني بك لو قد فعلت ذلك لقد رجعت بيتي فأعرست فيه ببعض نسائك ، قالت عائشة رضي الله عنها : فتبسم رسول الله ﷺ وتَتامَّ به وجعه ، وهو يدور على نسائه حتى استغفر به وهو في بيت ميمونة فدعا نساءه فاستأذنهنَّ أن يمرض في بيتي فأذِنَّ له.

في بيت عائشة رضي الله عنها :

وبعد أن أذن له أمهات المؤمنين في أن يُرض في بيت عائشة رضي الله عنها خرج ﷺ يمشي بين رجلين من أهله هما العباس وعليّ وهو عاصب رأسه تخط قدماه حتى دخل بيت عائشة رضي الله عنها، ثُمَّ حُمَّى ﷺ واشتد به الوجع، فقال: ((**هريقوا عليَّ سبع قرب من ماء حتى أخرج إلى الناس فأعهد إليهم**)) ، قالت عائشة فأقعدناه في مخضب لحفصة بنت عمر ثم صبّ عليه الماء

حتى طفِقَ يقول : ((**حسبكم حسبكم !!**)) ثم خرج إلى الناس فصلى بهم وخطبهم ، ثم زاد مرضه فقال : ((**مروا أبا بكر فليصل بالناس**)) فقالت عائشة إن أبا بكرإذا قام مقامك لا يُسمع الناس من البكاء ، فمُرْ عمر فليصل بالناس ، وكررت عليه عائشة القول فكرر الإجابة حتى قالت عائشة لحفصة ، قولي له : إن أبا بكر إذا قام مقامك لم يسمع الناس من البكاء فمر عمر فليصل بالناس ، فقالت له فقال ﷺ : ((**مَه إنكن لأنتنّ صواحب يوسف ، مُروا أبا بكر فليصل بالناس**)) فقام أبو بكر يصلي بالناس ، ووجد النبي ﷺ من نفسه خِفّةً فخرج بين رجلين العباس وعلي لصلاة الظهر فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر فأومأ إليه أن لا يتأخر ، وقال للرجلين: ((**أجلساني إلى جنبه**)) فأجلساه إلى جنب أبي بكر ، فكان أبو بكر يصلي وهو قائم بصلاة رسول الله ﷺ وهو قاعد والناس يصلون بصلاة أبي بكر.وفي مرضه هذا قال لعائشة : ((**ما زلت أجد ألَمَ الطعام الذي أكلته بخيبر فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم**)) [1] ولما كان يوم الخميس وقبل وفاته ﷺ بأربع ليال اجتمع عنده ناس من أصحابه فقال : ((**ائتوني بكتف** [2] **وداوة أكتب**

---

(١) يعني ﷺ الشاة المسمومة التي قدمت له بخيبر وأكل منها فلم تضره في ذلك الوقت . واستمر الداء كامناً حتى ظهر في هذه الأيام ، وقد مات أحد أصحابه لما أكل منها كما تقدم في فتح خيبر ، الأبهر عرق في الإنسان إذا انقطع هلك صاحبه. (صحيح البخاري)(٦٣٧/٢)

(٣) الكتف : لوح يكتب عليه .

لكم كتاباً لن تضــلوا بعده أبداً)) فتنازعوا عنده وأخذوا يردون عليه ، فقال : ((**دعوني في الذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه**)) ، وأوصاهم بثلاث : فقال : ((**أخرجوا المشــركين من جزيرة العرب ، وأجيزوا الوفود بنحو ما كنت أجيزهم**)) وسكت عن الثالثة.

ولما كان يوم الاثنين الذي قُبض فيه ﷺ والناس في صــلاة الصــبح وأبو بكر يصـلي بالناس لم يفجأهم إلا ورسـول الله يكشـف سـتر حجرة عائشـة فينظر إليهم وهو صفوف في الصلاة ، ثم تبسّم يضحك ، فنكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف وظن أن رسول الله ﷺ يريد أن يخرج إلى الصلاة ، وهَمَّ الناس أن يفتنوا في صـلاتهم فرحاً برسـول الله ﷺ ، فأشـار إليهم بيده أن أتموا صـلاتكم ثم دخل الحجرة وأرخى السـتار ، وانصـرف الناس وهم يرون أن النبي ﷺ قد أفاق من وجعه فرجع أبو بكر إلى أهله بالسنح ٠ ولما ارتفع الضـحى ، دعا النبي ﷺ فاطمة فسارها بشيء فبكت ٠ ثم دعاها ، فسارها بشيء فضحكت ، وقالت عائشة ، فسألنا عن ذلك – فيما بعد – فقالت : سارني النبي ﷺ أنه يُقبض في وجعه الذي توفي فيه ، فبكيتُ ، ثم ســارني فأخبرني أني أول أهله يتبعه فضـحكت [١] وفي بعض الروايات المتقدمة على وفاته أنه بشـر النبي ﷺ فاطمة بأنها سيدة نساء العالمين .[٢]

---

(١) رواه البخاري (٢/٦٤٠).

(٢) (رحمة العالمين) (١/٢٨٢).

ورأت فاطمة ما برسول الله ﷺ من الكرب الشديد الذي يتغشاه ، فقالت : واكرب أباه . فقال : **﴿ ليس على أبيك كرب بعد اليوم ﴾** (١) ودعا الحسن والحسين فقبلهما ، وأوصى بهما خيراً ، ودعا أزواجه فوعظهن وذكرهن .

وطفق الوجع يشتد ويزيد، وأوصى الناس، فقال : ((**الصلاة وما ملكت أيمانكم**))، كرر ذلك مراراً . (٢)

الاحتضار:

وبدأ الاحتضار فأسندته عائشة إليها، وكانت تقول : إن من نعم الله عليَّ أن رسول الله ﷺ توفيَ في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري ، وأن الله جمع بين ريقي وريقه عند موته.

دخل عبد الرحمن – بن أبي بكر – وبيده السواك، وأنا مسندة رسول الله ﷺ ، فرأيته ينظر إليه ، وعرفت أنه يحب السواك ، فقلت : آخذه لك ؟ فأشار برأسه أن نعم ، فتناولته ، فاشتد عليه ، وقلت : ألينه لك ؟ فأشار برأسه أن نعم – وفي رواية أنه استن بها كأحسن ما كان مستناً – وبين يديه ركوة فيها ماء ، فيجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بها وجهه ، يقول : **﴿ لا إله إلا الله ، إن للموت سكرات ﴾** (٣)

---

(١) رواه البخاري (٦٤١/٢) (٢) رواه البخاري (٦٤١/٢)

(٣) رواه البخاري (٦٣٨/٢، ٦٣٩ ، ٦٤٠،٦٤١) .

وما عدا أن فرغ من السواك حتى رفع يده أو إصبعه ، وشخص بصره نحو السقف ، وتحركت شفتاه ، فأصغت إليه عائشة ، وشخص بصره نحو السقف ، وتحركت شفتاه ، فأصغت إليه عائشة وهو يقول : ((**مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، اللهم اغفر لي وارحمني ، وألحقني بالرفيق الأعلى ، اللهم الرفيق الأعلى**))كرر الكلمة الأخيرة ثلاثاً ، ومالت يده ولحق بالرفيق الأعلى ، إنا لله وإنا إليه راجعون.

اشتداد الكرب على الصحابة رضي الله عنهم :

وما أن علم الناس بوفاة الرسول ﷺ حتى طاشت عقولهم ، وعمتهم الحيرة وأقعدتهم الدهشة وأظلمت الحياة في وجوههم ، حتى أن عمر على جلالته قام يحلف للناس بأن الرسول ما مات ، لكن ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران ، فغاب عن قومه أربعين ليلة ، ثم رجع بعد أن قيل قد مات .

موقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه :

جاء أبو بكر الصديق من السنح فدخل على رسول الله ﷺ فوجده مسجّىً في ثوب حِبرَة فكشف عن وجهه وقبله وبكى، ثم قال: بأبي أنت وأمي طِبتَ حيّاً وميّتاً، والذي نفسي بيده لا يُذيقك الله الموتتين أبداً، ثم خرج وعمر يكلم الناس، فقال: اجلس يا عمر، فأبى أن يجلس فأقبل الناس عليه وتركوا عمر.

وقع هذا الحادث حين اشتدت الضحى من يوم الإثنين ١٢ ربيع الأول سنة ١١هـ وقد تم له ﷺ ثلاث وستون سنة وزادت أربعة أيام. فحمد الله تعالى وأثنى عليه ، وقال:

أما بعد : فمن كان يعبد محمداً فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت ، وقال عز وجل : ((**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ**))[الزمر:٣٠] وقال : ((**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ**)) [آل عمران:١٤٤]، فنشج الناس يبكون ، قال ابن عباس : والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقّاها الناس من كلهم ، فما أسمع بشراً من الناس إلا يتلوها .[١]

---

(١) انظر(هذا الحبيب صلى الله عليه وسلم يا محب) لأبي بكر جابر الجزائري – حفظه الله وبارك في عمره (ص٤٧٧) ،(الرحيق المختوم) لصفي الرحمن المباركفوري (ص٥٥٥)،(السيرة النبوية)(٢/٦٥٥- ٦٥٦) ، (البداية والنهاية)(٥/١٦٣) لابن كثير الدمشقي.

غسل النبي ﷺ وكفنه ودفنه :

ولما فرغ الصديق وفرغ الأصحاب من البيعة ، وبويع لأبي بكر الصديق بالخلافة لرسول الله ﷺ على أمته أقبلوا على تجهيز الحبيب ﷺ فتولى غسله آل البيت وهم **علي بن أبي طالب** ، **والعباس بن عبد المطلب** ، **والفضل وقثم ابنا العباس** ، **وأسامة وشقران** يصّبان الماء وعلي يغسله بيده فوق ثيابه ، فلم يفض بيده إلى جسده الطاهر قط فلم ير من رسول الله ﷺ ما يرى من الميت ، وكان علي يغسله ويقول بأبي أنت وأمي ما أطيبك حياً وميتاً وكفن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب ، ثوبين صُحارِيَّيْن وبُرْدٍ حِبرَة ليس فيها قميص ولا عمامة [1]أُدرِجَ فيها ادراجاً.

ومن آيات نبوته ﷺ أنهم اختلفوا هل يُغسلونه كما يغُسل الرجال بأن يُجَرّد من ثوبه ، فأخذهم النوم وهم كذلك ، وإذا بهاتف يقول : غسّلوا رسول الله ﷺ وعليه ثيابُه ففعلوا ، ولما رادوا دفنه اختلفوا في موضع دفنه ، فجاء أبو بكر الصديق رضي الله عنه وقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**ما قُبِضَ نبيّ إلا دُفِنَ حيث قُبض**)) فرفع أبو طلحة فراشه الذي تُوُفي عليه ، فحفر تحته ، وجعل القبر لحداً . [1]

---

(١) رواه البخاري ومسلم وانظر ، المصدر السابق .

ودخل الناس الحجرة أرسالا عشرة فعشرة، يصلون على رسول الله ﷺ ولا يؤمهم أحد ، وصلى عليه أولاً أهل عشيرته ، ثم المهاجرون ، ثم الأنصار ، وصلت عليه النساء بعد الرجال ، ثم صلى عليه الصبيان ، وكان الذي نزل في قبره علي بن أبي طالب ، والفضل وقثم ابنا العباس وشقران ، وأثناء ذلك قال أوس بن حولي الأنصاري لعليّ : أنشدك الله وحظَّنا من رسول الله ﷺ فأذن له بالنزول في القبر معهم فنزل ، وسووا عليه التراب ورفعوه مقدار شبر عن الأرض.

وقبض رسول الله ﷺ ولم يخلف من متاع الدنيا ديناراً ولا درهماً، بل مات ودرعه مرهونة في كذا صاعاً من شعير فصلى الله عليه وسلم يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حياً.

خمسون حديثاً في فضائل الأعمال

(١) (من قرأ (قل هو الله أحد) حتى يختمها عشر مرات بنى الله له قصراً في الجنة فقال عُمر – رضي الله عنه – : إذاً نستكثر قصوراً يا رسول الله فقال : (الله أكثر وأطيب)[الصحيحة- ٥٨٩/١]

(٢) (من قرأ سورة (الكهف) في الجمعة ، أضاء له من النور ما بين الجمعتين .) [صحيح الجامع الصغير وزيادته]

(٢) (من حفِظَ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصِمَ من فتنة الدجال .) [صحيح الجامع]

(٣) (من قرأ آية الكرسي دُبُرَ كلِّ صلاةٍ مكتوبةٍ لم يمنعه من دخول الجنَّة إلا أن يموت .)

[صحيح الجامع الصغير وزيادته]

(٤) (إذا أخذت مضجعك من الليل فاقرأ (قل يا أيَّها الكافرون) ثمَّ نمْ على خاتمتِها فإنَّها براءةٌ من الشركِ .)[صحيح الجامع]

(٥) (من توضأ فأحسن الوضوء ، ثم قال : اشهد أن لا إله غلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبدُه ورسوله اللهم اجعلني من التوابين ، واجعلني من المتطهرين ، فُتِحت له ثمانية أبوابِ الجنَّة ، يدخل من أيها شاء .)[صحيح الجامع الصغير]

(٦) (من توضأ فقال بعد فراغه من وضوئه : سبحنك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك ، كُتِب في رَق ثم جُعِل في طابع ، فلم يُكسرْ على يوم القيامة)[صحيح الجامع الصغير]

(٧) (بينما نحن نصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ قال رجل من القوم : الله أكبرُ كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ك (من القائلُ كلمة كذا وكذا ؟) فقال رجلٌ من القوم : أنا يا رسول الله ! قال : (عجبتُ لها ، فُتِحتْ لها أبوابُ السماء) قال ابن عمر : فما تركتُهنَّ منذُ سمعت رسول الله يقولُ ذلك)[صحيح مسلم]

(٨) (كنا نصلي يوما وراء النبي صلى الله عليه وسلم فلما رفع رأسه من الركعةِ قال : (سمع الله لمن حمده) قال رجلٌ : سمع الله لمن حمد ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه . فلما انصرف قال : (من المُتكلِّم ؟) قال : أنا ؟ قال : (رأيت بُضعة وثلاثين ملكاً يَبتدرونها أيّهُم يَكتبها أوّلُ)[مالك والبخاري وأبو داود]

(٩) (من صلى في اليوم والليلة أثنتي عشرة ركعة تطوعاً بنى الله له بيتاً في الجنة.)[صحيح الجامع]

(١٠) (من حافظ على أربع ركعاتٍ قبل الظهر ، وأربع بعدَها حُرِّم على النار)[صحيح الجامع]

(١١) (رحِمَ الله أمرا صلى قبل العصر أربعاً)[صحيح الجامع]

(١٢) (من قام بعشـــر آيات لم يُكتب من الغافلين ، ومن قام بمائة آية كُتِبَ من القانتين ، ومن قام بألف آية كُتِبَ من المقنطرينَ)[صحيح الجامع]

(١٣) (صـــلاة الرجلِ تطوعاً حيثُ لا يراه الناسُ تعدِلُ صـــلاتهُ على أعينِ الناسِ خمســـاً وعِشرينَ)[صحيح الجامع]

(١٤) (من صلى الضحى أربعاً، وقبل الأولى أربعاً بُنِيَ له بيتٌ في الجنة .) [صحيح الجامع]

(١٥) (إن الله وملائكتهُ يُصلُّونَ على الذين يَصِلونَ الصَّفوفَ ومن سدَّ فُرجةٌ بَنَى الله له بيتاً في الجنة ورفعهُ بها درجة .)[الصحيحة ١٨٩٢/٤]

(١٦) (ما من عبدٍ يسجد لله سجدةً إلا كتب الله له بها حسنة ، وحط عنه بها سيئة ، ورفع له بها درجة فاستكثِروا من السجود)[صحيح الجامع]

(١٧) (من صـلى الفجر في جماعةٍ، ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشـمس ثم صـلى ركعتين، كانت له كأجر حجَّةٍ وعمرةٍ، تامةٍ، تامةٍ، تامةٍ) [صحيح الجامع]

(١٨) (من صـــلى أربعين يوماً في جماعٍ ، يدرك التكبيرة الأولى ، كُتِبَ له برآءتان : براءة من النار وبراءة من النفاق)[صحيح الجامع]

(١٩) (أفضل الصلوات عند الله صلاة الصبح يوم الجمعة في جماعة) [الصحيحة ١٥٦٦/٤]

(٢٠) (من قال سبحان الله العظيم وبحمده ، غُرست له نخلة في الجنة .)[صحيح الجامع الصغير]

(٢١) (من قال سبحان الله وبحمدهِ ، سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهدُ أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك ، فإن قالها في مجلسِ ذِكْرٍ ، كانت كالطابع يُطبعُ عليه ، ومن قالها في مجلسِ لغوٍ ، كانت كفارة له .)[صحيح الجامع]

(٢٢) (إنَّ سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر تنفضُ الخطايا كما تنفضُ الشجرةُ ورقها .)[صحيح الجامع]

(٢٣)(أيُعجزُ أحدكم ، أن يكسِبَ كل يوم ألف حسنةٍ ؟ يسبح الله مائة تسبيحة، فيكُتبُ له بها ألف حسنةٍ، أو يحطَّ عنهُ بها ألف خطيئةٍ) [صحيح الجامع]

(٢٤) (إن الله تعالى أصطفى من لكلام أربعاً: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر . فمن قال سبحان الله كُتِبتْ له عشرون حسنة ، وحُطتْ عنه عِشرون سيئة . ومن قال : الله أكبرُ ، مثل ذلك ، ومن قال : لا إله إلا الله مثلُ ذلك ،ومن قال:الحمد لله ربِّ العالمين ،من قِبلِ نفسهِ كُتِبت له ثلاثون حسنة وحُط عنه ثلاثون خطيئة .)[صحيح الجامع]

(٢٥) (ألا أدلك على غراسٍ ، هو خيرٌ من هذا ؟ تقولُ : سبحان الله، والحمد لله ، ولا غله إلا الله ، والله أكبر يُغرسُ لك بكلِّ كلمةٍ منها شجرةٌ في الجنة .)[صحيح الجامع]

(٢٦) من ضنَّ بالمال أن ينفقهُ ، وبالليل أن يكابدهُ ، فعليه بسبحان الله وبحمده)[صحيح الجامع]

(٢٧) (من دخل السوق فقال : لا غله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، يحيي ويميت ، وهو حيٌ لا يموت بيدهِ الخيرُ ، وهو على كلِّ شيءٌ قديرٌ ، كَتَبَ الله له ألف حسنة ، ومحا عنه ألف ألف سيئة ، ورفع له ألف ألف درجة ، وبنى له بيتاً في الجنة .)

[صحيح الجامع]

(٢٨) (ألا أدلَّكَ على ما هو أكثرُ من ذكرك الله الليلَ مع النهار ؟ تقولُ : الحمد لله عدد ما خلقَ ، الحمد لله ملء ما خلق ، الحمد لله عدد ما في السموات وما في الأرض ، الحمد لله عدد ما أحصى كتابهُ ، والحمدُ لله على ما أحصى كتابهُ ، والحمد لله عدد كلِّ شيءٍ والحمد لله ملء كلِّ شيء ، وتُسبّحُ الله مثلهُنَّ تعلَّمْهُنَّ وعَلِّمْهُنَّ عِقبكَ منْ بعدِكَ)[صحيح الجامع]

(٢٩) (من صلى عليَّ حين يُصبحُ عشراً ، وحين يُمسي عشراً أدركتهُ شفاعتي يوم القيامة .)

[صحيح الجامع]

(٣٠) (من قال رضيت بالله رباً، بالإسلام ديناً، وبمحمدٍ نبياً، وجبت له الجنة.)[صحيح الجامع]

(٣١) (من دعا لأخيه بظهر الغيب قال الملك الموكَّل به : آمين ولك بمثله .)[صحيح الجامع الصغير]

(٣٢) (من ذبَّ عن عِرض أخيه بالغيْبة، كان حقاً على الله أن يُعْتِقهُ من النَّار.)[صحيح الجامع]

(٣٣) (من أخرج من طريق المسلمين شيئاً يؤذيهم ، كتب الله له به حسنة ، ومن كتب له عنده حسنة أدخله بها الجنة .)[صحيح الجامع]

(٣٤) (من نفَّسَ عن غريمِهِ ،أو محا عنهُ ، كان في ظلِّ العرشِ يومِ القيامةِ .)[صحيح الجامع]

(٣٥) (من أنظرَ مُعْسِراً ، أو وضع له ، أظلهُ الله يوم القيامة تحت ظلِّ عرشهِ ، يوم لا ظلَّ إلا ظلُّهُ .)[صحيح الجامع]

(٣٦)(من كتم غيظاً ، وهو قادرٌ على أن يُنْفِذَهُ ، دعاهُ الله على رؤوس الخلائق ، حتى يُخَيِّرَه من الحور العين يزوجه منها ما شاء)[صحيح الجامع]

(٣٧)(من كان سهلاً هيناً ليناً ، حرَّمه الله على النار .)[صحيح الجامع]

(٣٨) (من يَتكفلْ أن لا يسألَ الناس شيئاً ، أتكفَلْ له بالجنةِ .)[صحيح الجامع]

(٣٩) (من بنى لله مسجداً ، ولو كمفْحَصِ قطاةٍ لبيَضها ، بنى الله له بيتاً في الجنَّة .)[صحيح الجامع]

(٤٠) (إن في الجَنَّةِ غُرفاً يُرى ظاهرُها منْ باطِنها وباطِنها من ظاهرها ، أعدَّها الله تعالى لمن أطعمْ الطعام وألان الكلام ، وتابع الصيام ، وصلى بالليل والنَّاس نيام .)[صحيح الجامع]

(٤١) (من قتل وزغة في أوَّل ضربةٍ كُتِبَ له مائة حَسنةٍ ومن قتلها في الضربة الثانية ، فله كذا وكذا حسنة وإن قتلها في الضربة الثالثة فله كذا وكذا حسنة)[صحيح الجامع]

(٤٢) (من عاد مريضاً ، أو زار أخاً في الله ، ناداه منادٍ أن طبتَ وطابَ ممشاك ، وتبوّأ من الجنة منزلاً)[صحيح الجامع]

(٤٣) (من أتى أخاهُ المسلم عائداً ، مشى في خِرافة الجنةِ حتى يجلس ، فإذا جلس غمرتهُ الرحمة ن فإن كان غدْوة ، صلى عليه سبعون ألف ملَكٍ حتى يُمسي وإن كان مساءاً ، صلَّى عليه سبعون ألف ملَكٍ حتى يُصبحَ)[صحيح الجامع]

(٤٤) (من قال أسْتغفر الله الذي لا إله إلا هو لحيَّ القيومُ وأتوبُ إليه ، غفَرَ الله له وإن كان فرَّ من الزحفِ)[صحيح الترمذي ٢٨٣/٣]

(٤٥) (ألا أعلِّمك كلماتِ إذا قلتَهن غفر اللهُ لك ، وإن كنت مغفوراً لك ؟ قل : لا إله إلا الله العلي العظيم ، لا إله إلا الله الحكيم الكريم ، لا إله إلا الله سبحان ربِّ السموات السَّبع وربِّ العرشِ العظيم ، الحمد لله ربِ العالمينَ .)[صحيح الجامع]

(٤٦)(إنَّ موجبات المغفرةِ بذلَ السلام،وحسُنَ الكلام .)[صحيح الجامع]

(٤٧) (طوبى لمن وَجَدَ في صحيفتهِ استغفارً كثيراً .)[صحيح الجامع]

(٤٨) (من أكل طعاماً ثم قال : الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام ، ورزقناه من غبر حولٍ مني ولا قوةٍ ، غُفِرَ له ما تقدم من ذنبهِ ، ومن لبس ثوباً فقال : الحمد لله الذي كساني هذا ، ورزقناه من غير حولٍ مني ولا قوةٍ ، غُفِرَ له ما تقدم من ذنبهِ وما تأخر .)[صحيح الجامع]

(٤٩) (من استغفر للمؤمنين والمؤمنات ، كتب الله له بكل مؤمنٍ ومؤمنة حسنة .)[صحيح الجامع]

(٥٠) (سَيِّد الاستغفارِ أن تقولَ : اللهمَّ أنتَ ربي ، لا إله إلاَّ أنت ، خلقتني وأنا عَبدُكَ ، وأنا على عَهدِكَ ووعدِكَ ما استطعت ، أعوذُ بكَ منْ شرِّ ما صنعتُ ، أبُوء لكَ بنعمتكَ

عليَّ ، وأبُوءِ لك بذنبي ن فاغفر لي ، فإنَّهُ لا يغفِرُ الذُّنوبَ إلا أنت . من قالها من النهار مُوقِناً بها ن فمات من يومهِ قبل أن يمسي فهوَ من أهل الجنة . من قالها من الليل وهو موقنٌ بها، فمات قبل أنْ يُصبح فهو من أهل الجنَّةِ.)[صحيح الجامع]

تم بحمد الله منهج النشاط الدعوي في فترة صلاحية التصريح

والحمد لله رب العالمين